عاطف عزت

السّامري

الساحر المصري الذي أسس الماسونية



السامري

الساحر المصري الذي أسس الماسونية!!

السامري (الساحر المصري الذي أسس الماسونية!!)

عاطف عزت

■ **الطبعة الأولى** .... **يناير** 2018

الغلاف: **أحمد مراد**

التصحيح اللغوي: **محمد حمدي**

رقم الإيداع: 29309 / 2017

الترقيم الدولي: 4 - 034 - 824 - 977 - 978



186 **عمارات امتداد رمسيس** 2 – **أمام أرض المعارض – مدينة نصر**

هاتف: 0220812006

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/Rewaq.Publishing

السامري

الساحر المصري الذي أسس الماسونية!!

عاطف عـزت

الرواق للنشر والتوزيع

مقدمة

لم يتعرض شعب أو دولة على مدار التاريخ للظلم مثلما تعرضت بلادنا، صحيح توجد دول كثيرة مثلنا غيروا ديانتها وثقافتها، لكن أن يغيروا اسمها وتأخذ اسما آخر، ويغيروا قوميتها وينسبوها لجيرانها، ويسرقوا علومها وحكمتها ويتباهى السارق بما سرق، ويكفروا ماضيها ويخلخلوا حاضرها ويصادروا مستقبلها، ويتم كل هذا باسم الدين حينا وباسم القومية حينا آخر، فهذا ما لم يحدث مع شعب آخر أو دولة أخرى.

هذا الكتاب فيه من حقائق التاريخ ما يكفي ليكون الفصل الثاني ضمن كتاب ضخم اسمه "إضاءة ما تم تعتيمه، والجهر بالمسكوت عنه من تاريخ بلادنا"، صدر الفصل الأول في كتاب بعنوان "فرعون موسى من قوم موسى"، وأتينا في الفصل الثاني وهو الكتاب الذي بين أيديكم بمثل ما أتينا في الكتاب الأول بكلام جديد قد يثير الدهشة والاستغراب بل والنكران، ويأتي بمن يقف في صفنا ويأتي أيضًا بمن يعارضنا اعتقادا منه أن الخروج عن الحكي المتداول وإعمال العقل يؤدي للكفر.

سأقدم الحقيقة كاملة وبصوت عال بلا هوادة، فأنا لست سياسيًا ينتقى الكلمات ويلطف في الحديث ويبتعد عن نقاط الاختلاف

ويبحث عن نقاط الائتلاف ليقتنع بها، لا... فأنا مفكر أبحث عن إعادة مجد بلدي ولا أهتم بتلطيف الحديث قدر اهتمامي بالحقيقة؛ أعرف أن التطرف مذموم ولكنه مطلوب في ظرف معين ـ مثل ظرفنا هذا ـ إذ المجتمع يغط في نوم عميق، فلا يصلح لإيقاظه الهمس أو الوسطية بل لا بد من صوت مزلزل عال وصيحة مدوية، ذلك لأن وضع النوم والتخدير الذي وضعونا فيه يدفعني ومعي كل من يملك جذورًا في أعماق هذا البلد للذهاب إلى آخر مدى لإعادة مجد بلادنا.

في هذا الكتاب ثلاثة أسئلة:

- هل السامري كان من بني إسرائيل، وكفر وأضلهم؟ أم العكس!
- هل الماسونية تسعى لتقويض أركان المجتمعات وهز العروش ومحاربة الأديان؟ أم أن هذه أقوال من يريدون إخفاء النور، لأننا نحن الماسون الأصليين، حكماء الكون!
- هل علومنا وحكمتنا، وأسرار بلادنا "أرض الإله" تلاشت واندثرت، أم ما زالت مسيطرة وتحكم العالم؟

للرد على التساؤلات الحائرة قررنا الملاحة في البحار المجهولة، سنكتب ما توصلنا إليه، ولن نأتي بأي خنوع أو تخاذل اتقاء لعداوات أو كسبا لصداقات، فأي تخاذل مهما ضعف سينقص من قوة الدفع للإصلاح والتغيير.

عاطف عزت

ما قبل البداية

مع بدايات شهر توت ونحن في طريقنا للاعتدال الخريفي ونهاية لعام ٦٢٥٩ وبداية عام جديد تبعًا لتقويمنا الأول القديم، الموافق لشهر سبتمبر ٢٠١٧ حسب التقويم الدخيل، أتذكر أنا كاتب هذه السطور، والذي ولدتُ وتربيتُ على أرض هذه البلاد التي أطلقوا عليها أرض الإله، كانت مصادفة أن يكون لاسمي معان تربطني بتاريخ بلدي، وللحق كانت هذه المصادفة غير المقصودة مصدر فخر لي. لم يتردد والدي في أن يبث بأعماقي الانتماء وفخر الانتساب لهذه البلاد، أحببت هذا الرجل الذي عاش حياة هادئة لا تخلو أحيانًا من اندفاع لمغامرة هنا أو هناك، كان دائم الجلوس على كرسيه وكتاب في يده أو ممسكًا بقلمه يدون شيئًا ما، كنت قريبًا منه وورثت الكثير من عاداته وطباعه الحميدة خاصة حبه للقراءة، ومثلما خيم الهدوء على حياته خيم كذلك على مماته، فقد خرج للنهار مبتسمًا كأنه يرى ما لا نرى.

قبل انتقاله سألني أين كتاب الجبتانا "أسفار التكوين المصرية" التي كتبها مانيتون السمنودي، تلك الأسفار التي عاشت وتناقلت من جيل لجيل حتى وصلت للراهب أبيب النقادي الذي حفظها عن ظهر قلب ورواها؛ وعندما أتيت بالكتاب ووضعته أمامه تفحصني

بقوة حانية ممزوجة بشفقة مما سيحملني إياه، قائلاً: أريدك أن تتذكر ما فعل الراهب أبيب النقادي، عليك أن تخطو خطاه وتكتب الجبتانا الثانية، فمثلما حفظ وكتب الجبتانا الأولى على اسم بلادنا "إيجبت" وهى أسفار التكوين[١] القديمة لبلادنا، عليك أن تحزو حزوه وتجمع ما جد من أسفار التكوين الحديثة. واستطرد: كنت أتمنى أن أقوم أنا بهذا المشوار لكنه حمل ثقيل على أمثالي أراه قد أصبح سهلاً على من هو مثلك ويملك الوسائل الحديثة، ها هي المخطوطات التي ورثناها عن أجدادنا العظماء، فلقد احتفظ كل واحد منهم بما أتاه من سابقيه ثم أضاف ما شاهد وسمع من أحداث واستنتج من ملاحظات، سلمني المخطوطات كأنه تخلص من حمل ثقيل شعر بعده أنه قد أتم مهمته في الحياة، قضى بعد هذا اليوم عدة أيام هادئ البال صامتًا مبتسمًا، ثم فاضت روحه وخرجت للنهار، نهار عالم آخر.

حملتُ المخطوطات، كان الأول وهو أصغرها مكتوبًا بالنقش المقدس ـ الذي أَطلق عليه الإغريق الخط الهيروغليفي ـ وكانت الكتابة بخط جميل على لفائف البردي، والمخطوط الثاني كالأول بلغتنا ولساننا لكن نقشه كان بالقلم اليوناني، وهو ما درجنا أن نسميه بالخطأ اللغة القبطية، أما المخطوط الثالث فكان مكتوبًا بالعبرية، والمخطوطتان الأخريان باللغة العربية، وفي نهاية المخطوط الخامس والآخير توجد بعض صفحات تركها أبي بيضاء متوقعًا أن أضيف شيئًا.

(١) الجبتانا أسـفار التكوين المصرية، جمع الأصل اللاهوتي الديموطيقي المؤرخ مانيتون السـمنودي، بروايـة الراهـب أبيب النقـادي، الجمـع والتحقيـق والمراجعـة التاريخية والصياغة العربية للأستاذ علي علي الألفي، روافد للنشر والتوزيع.

الفصل الأول

في البدء كانت إيجبت[1]

لا يلزم أن يكون كل ما وصلنا صوابًا.. وإنما هو عرضة لكل ما أصاب هذه الأزمنة القديمة من تحريف وتشويه وحذف وإضافة، لكن جوهر الفكر سليم.

(١) اعتمدنا في هذا الفصل على أهم الأفكار التي جاءت في كتابنا «فرعون موسى من قوم موسى» - من منشورات دار الرواق لا بد من أن نعود إليه لنلتمس الحقيقة، ونقرأ بأعيننا ونتأكد بعقولنا كيف حكى القرآن، وبعشرات الآيات البينات، القصة الحقيقية الواضحة، وكيف صحح تاريخنا ورفع الغبن عنا وعن حضارتنا ونحن غافلون، أنا لا أعمل دعاية للكتاب، ولكن أوجه النظر لمن يريد المزيد من البراهين.

(١)

أنا السامري، أخط الكلمة الأولى من السطر الأول، بعدما قررت أن أكتب يومياتي وأنا أستعد لمغادرة أرض الإله "إيجبت" مع من خرجوا مع موسى متجهين شرقًا. لقد خط الشيب رأسي وأنا كبير الحكماء السحرة الذين قضوا حياتهم يتعلمون الحكمة في بيت الحياة، على يد حكماء أرض الإله سادة حكماء الكون، ولقد اخترت الانضمام مع حشد من الحكماء لمساعدة هذا الذي يدعى موسى، والذي كان في حرب مع ملك قومه، كان هذا الملك حاكمًا لمجموعة من العشائر البربرية التي غزت بلادنا وأكثروا فيها الفساد، وأطلقنا عليهم الملوك الرعاة "الهكسوس"، استطاع ملوكنا العظماء هزيمتهم ودحرهم حتى استقروا على الحدود الشرقية داخل قرية أطلقوا عليها بلغتهم اسم "المدينة". تقع تلك "المدينة" بالقرب من مقاطعة "مصر" الموجودة بأرض القمر "سيناء" التي تفصلنا عن بلاد العرب.

ذات يوم خرج من وسط هذا الجمع، وبالتحديد من عشيرة يعقوب التي يطلقون عليها عشيرة بني إسرائيل، رجل يدعى موسى قال إنه نبي مُرسل لزعيم قومه "فرعون" يطلب منه السماح بالخروج مع عشيرته بني إسرائيل من تحالف الهكسوس. وكان من الطبيعي أن يرفض فرعون خروجهم حتى لا يحدث انشقاق بين أعضاء التحالف، كما أن هذا الخروج كان سيشجع أي طائفة مستضعفة

أخرى على أن تطلب الرحيل والعودة إلى موطنها الأصلي، خاصة وتحالف الهكسوس في أسوأ حالاته بعد الضربات المتتالية التي وجهها لهم الملك سقنن رع والتي انتهت بالحصار الذي ضربه حولهم جيش أحمس، وأصبح التحالف بقيادة فرعون محاصرًا داخل المدينة.

أراك متعجلاً.. تسألني من أنا، وما هي علاقتي بموسى نبي بني إسرائيل ولماذا انضممت إليه؟

وأراني مضطرًا للعودة إلى البدء.

(٢)

في البـدء كانـت إيجبت أرض الإله، عندما صـاح أول ديك معلنا بـزوغ فجر الحضارة أطلقنـا على بلادنا الأسـطورية الموغلة في القدم اسـمًا أسـطوريًا هو "إيجبت" ويرمز في المتون القديمـة إلى الماء الأزلي الذي كان عرش رب السـماء عليـه، ثم برزت منه الأرض السـوداء الفـذة الخصبة الغنية، أرض الرخاء الوافر، وأطلقنا على تلك الأرض السـاحرة الأسـطورية الموغلـة في عمق الزمان اسـمها الأسـطوري "إيجبت".

إي جبت...

إي : بمعنى أرض

جب : بمعنى إله الأرض

إ ج ب

إي جب: أرض إله الأرض، أرض الإله.

ثـم وضعنا في آخر اسـم بلادنا رمز النهـر بضفتيه في الأسـفل وفوقـه رمـز الماء مكـررًا ثلاثـًا، كمخصص لاسـم بلادنـا حتـى تتيـه وتختلـف عـما حولها مـن بـلاد الصحراء والجفاف والندرة، وتعرف بأنهـا أرض النهر والماء الغزير، وتوصف بأنهـا "الجنة"، وثبتـت الكلمة نطقا ولفظا ومعنى في اسـتعمالات كل الشـعوب قديـمًا وحديثًا، منـذ أن دونت في متـون بردياتنـا القديمة وحتى اليوم.

ولأنهـا أم الدنيـا أخـذت تـاء التأنيـث وأصبحـت "إي جبت"، هكـذا.. أطلقنا عـلى بلادنا السـاحرة الأسـطورية الموغلـة في عمق الزمان اسمها الأسطوري "إيجبت" وسوف نجدها في كل النصوص القديمة السـحيقة، وحتى قبل تكويـن الأسرات القديمة. إيجبت هو اسـم بلادنا الذي كنا نسـتخدمه في كل حياتنا وكتابتنا ومراسـلاتنا، ولكن فجـأة وبعدما سـلمتم عقولكم يـا أحفادي لغيركـم وتركتم

تاريخكم المجيد يكتبه غيركم، تغيرت الحقائق وظهر من أقنعكم أن كلمة "إيجبت" ليست الاسم الحقيقي لبلادنا بلغتنا المقدسة، وردوها إلى مصدر إغريقي AEGYPTOS وظنوا أن هذا المصدر مشتق من كلمة (حت ـ كا ـ بتاح) الذي هو اسم معبد الإله بتاح في مدينة منف (ميت رهينة مركز البدرشين) والذي أقيم في الدولة الحديثة (!) وهذا شيء بعيد أقروه لمجرد أن تصادف وجود حرفين في المقطع الأخير في الكلمتين متشابهًا، فألصقوه به في الاشتقاق رغم اختلاف المعنى والنطق، ووضوح التكلف في لي الحروف لكي تنتهي بلفظ إجيبتوس.

منذ الأزل أطلقنا على بلادنا اسم "إيجبت"، وكان هو الاسم السائد والوحيد، والمعتمد لبلادنا بكل لغات العالم، وتم حفظ نطقه ومشتقاته بتعدد الألسنة المحيطة بنا؛ ثم ترتلت لفظة "إيجبت" بين ألسنه الأمم، فباليوناني آيجبتوس Aegyptus، وبالروماني أجيبتف Aegyptv، وبباقي اللغات إيجبتو eggito، وإجبتي egypte، وإيچبت Egyp، وإيجبتين Agypten وبالصيني إيجي، وباللسان الفينيقي كوبتو (Kopto)، وبالفارسي والعربي والآرامي القبط. ومن القبط اشتقت "قبطي" التي تعني المواطن الذي يعيش في بلاد القبط "إيجبت".

هل يعقل أن تقوم حضارة في بلد يشب وينمو ويتوسع ويعظم هندسيا وفلكيا وطبيا ويصبح إمبراطورية هائلة وقبلة الكرة الأرضية وهو من دون اسم (!) ويستمر هكذا آلاف السنين في انتظار غريب مار ليعطيه اسمًا، وتأتي المصادفة بغريب إغريقي فيسميه "إيجبت".

هل هذا منطق؟

حفظ لنا العالم اســم بلادنا كما أســميناها "إيجبت" ولحكمة غائبة يتداول الاسم ويستمر لليوم على كل ألسنة شعوب العالم، عدا نحن.

كانت بداية مثيرة من ـ السامري ـ جدي الأكبر صاحب المخطوط الأول، فأثارت الشجون وهزت الوجدان، فحلق العقل يربط الأحداث ويحلل ويستنتج عله يفهم.

إيجبت وليس مصر، أحقًا إيجبت ليست مصر؟!

إلى أين أنت ذاهب بنا يا سامري؟

جلستُ في زاوية أعيد بيني وبين نفسي ما قرأتُ، أعرضه على عقلي دامجًا بينه وبين ما طرأ على الأرض من أحداث وما ظهر واستجد من معلومات، فقد تغيرت الدنيا وجاء بعد زمن موسى والسامري بما يزيد على ألفين من السنين نبي قيل إنه خاتم النبيين وآخر الرسل، ومعه كتاب نُزل عليه اسمه القرآن الكريم، كتاب أتى في كثير من مواضعه بما لم تأت به التوراة، ومصدقا لكثير من أقوال السامري.

فتشوا في أرضنا وبحثوا في كل تاريخنا وبردياتنا فلم يجدوا أي أثر ميداني لإبراهيم ولا ليعقوب ولا ليوسف ولا لموسى ولا حتى لملك اسمه أو لقبه فرعون، وعلى النقيض أفردت الكتب السماوية مساحات واسعة لذكر هؤلاء الأنبياء في "مصر" وكانت من الكثرة بحيث أثارت الانتباه والتساؤل بل والدهشة.

تقــرر التــوراة المكتوبــة بالعبريــة وأيضًــا المكتوبة بالســامرية أن قصصهــم وحكاياتهم وكل مغامراتهم كانــت في "مصرايم"، وعندما

ترجمت التوراة إلى اللغة العربية تُرجمت "مصرايم" إلى "مصر" وهي التي تم ذكرها بالقرآن.

الآن فهمتك يا سامري، فمصرايم التي ذكرتها التوراة ومصر التي ذكرها القرآن هي الإقليم الموجود في سيناء والذي حدثت به قصص وحكايات بني إسرائيل، حيث عاش وأُرسل كل أنبياء بني إسرائيل بلا استثناء، تبعًا لقانون السماء والعقل والمنطق الذي يقرر أن كل رسول يُرسل لقومه هو خاصة، وبلسانهم ليبين لهم، وهذا هو العدل[١].

رغم كل محاولات إيمانويل فلايكوفسكي لخلق أصل وصفة لليهود في بلادنا فإنه في الصفحة ٤٨ من كتابه "عصور في فوضى" تحدث عن "تشالز بيك" وهو باحث توراتي متخصص، بريطاني الجنسية تميز برؤية غير تقليدية للأمور، وضع كتابًا يوضح فيه التصور الخاطئ الذي رسخ في أذهان الناس من أن "مصرايم" التي وردت في النص التوراتي هي بلاد إيجبت Egypt التي يعرفها الجميع بهذا الاسم، وقال إن مصرايم مملكة زائلة كانت موجودة على أرض شبة جزيرة سيناء، وأن الإسرائيليين خرجوا من تلك المملكة... وأضاف أنه يراهن على صحة ذلك بسمعته كرحالة وباحث توراتي متخصص، ما أكسبه دعمًا عامًا.

(١) في القرآن الكريم (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)، وفي حديث شريف قال الرسول: «أُرسل كل رسول إلى قومه خاصة إلا أنا أُرسلتُ للعالمين».

لكن... هل يوجد فعلاً إقليم اسمه مصر في سيناء؟

نعم إقليم مصر يوجد في سيناء، إنه الإقليم الرابع عشر، فقد كانت بلادنا مقسمة إلى اثنين وأربعين إقليما[1]، وأطلقنا على الإقليم الرابع عشر اسم الإقليم الذي في نهاية الشرق وعاصمته "مسن" وبها المعبد الكبير (بر حور نب مسن) أي مسكن حور رب مسن، ذلك لأن رب الإقليم هو "حور" الذي كان مستقرا في مواقع مناجم استخراج كنوز الفيروز والذهب والنحاس، التي استقر فيها الهكسوس وخاصة قبيلة بني إسرائيل، وهي الكنوز التي وضع قارون يده عليها.

كانت مدينة "مسن" عاصمة الإقليم تقع بالقرب من مدينة القنطرة[2] ومن كلمة "مسن" هذه جاءت كلمة "مسر ـ مصر" أو تحورت عنها بالقلب اللساني بين النون والراء، ولاحظ أنها تقترب من كلمة "سين" التوراتية؛ فقد ذكرت التوراة مدينة الفرما باسم "سين" ومعناة "حصن مصر"[3] وتقع على بعد مسافة ٢٠ ميلًا شمال شرقي القنطرة. وربما تكون كلمة سيناء مشتقة من اسم هذه المدينة "سين".

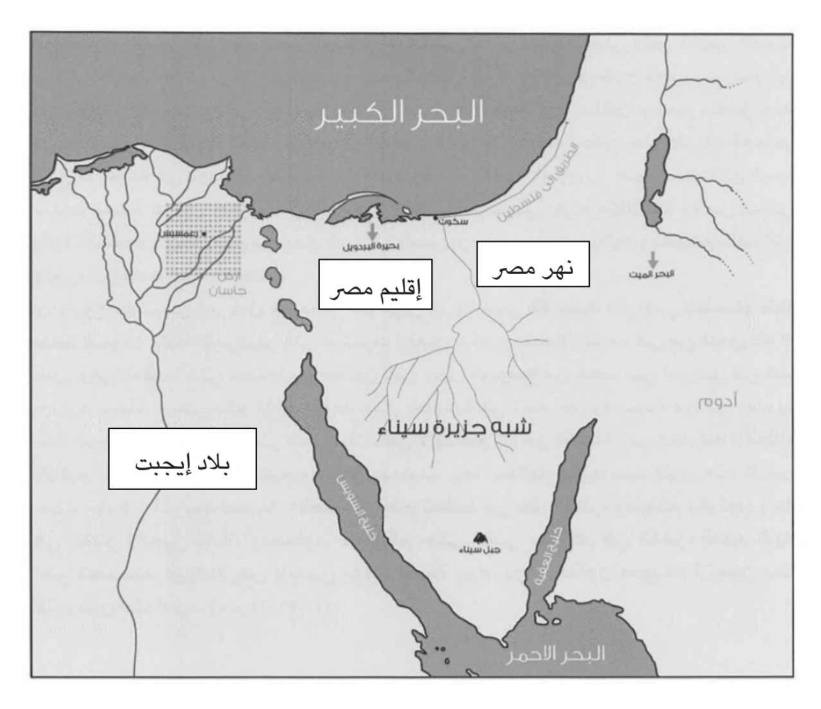
تبين الخريطة التالية إقليم مصر وما كان فيه من أنهار، تلك الأنهار التي افتخر بها فرعون عندما قال: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي.

---

(١) على جدران المقصورة البيضاء بالكرنك سجل الملك سنوسرت الأول قائمة بأقاليم مصر بما في ذلك أقاليم مصر العليا (الصعيد) وعددها ٢٢ إقليمًا، وأقاليم مصر السفلى وعددها ٢٠ إقليمًا، وقد ذكر اسم كل إقليم متبوعًا باسم عاصمته.

(٢) المعجم الوجيز في اللغة المصرية بالخط الهيروغليفي – برناديت موني صفحة ٣٠٤، كذلك في المعجم الوجيز «هيروغليفي – عربي» ص ٥١٤– سامح مقار.

(٣) حزقيال ٣٠: ١٥ و١٦



إقليم مصر والأنهار التي كانت تجري من تحت فرعون

كأن السامري قد أعاد ترتيب مخازن عقولنا وتنظيم الملفات التي تحوي ماضينا، فانطلقت الطاقة المنظمة تربط الماضي البعيد بالماضي القريب، ففي سيرة رسول الإسلام ﷺ سنجد أن الرسول قد أرسل إلى حاكم بلاد القبط رسالة يقول فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت

فإنما عليك إثم القبط، ويرد عليه حاكم بلاد القبط: لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم.

بعث الرسول برسائله إلى الدول والشعوب بأسمائها المعروفة، فبعث إلى القبط وعظيم القبط (حتى لو كان حاكمًا أجنبيًا)، والرومان وعظيم الروم، والفرس وكسرى ملك الفرس، والأحباش والنجاشي عظيم الحبشة... هذه هي أسماء الأمم وحكامها التي ذهبت إليها الرسائل والبعثات في عهد الرسول.

يتحدث الرسول عن بلادنا بمسمى القبط وليس مصر، فهو لم يرسل برسالته لعظيم المصريين أو عظيم مصر، ويرد المقوقس على خطاب الرسول ويرسل له بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، فالبلاد تُدعى بلاد القبط، ولا توجد دولة اسمها مصر.

القبطية قومية وليست ديانة، وإلا تحولت مارية القبطية إلى مارية المسلمة بعد إسلامها، وبعد أن أصبحت أمًا لابن الرسول؛ مارية القبطية، هي مارية التي من بلاد القبط، مثلها مثل سليمان الفارسي الذي من بلاد فارس، وبلال الحبشي الذي من بلاد الحبشة، وكذا صهيب الرومي.

يروي أبي ذر الغفاري عَن الرسول ﷺ، أنه قال: **"إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا"**

الغريب أن الرسول عندما أراد أن يحدد بلادنا قال إنها أرض يذكر

فيها القيراط، وفي حديث آخر وصف أهل بلادنا بأن شعرهم جُعد، كأن القيراط والشعر المجعد هو الشيء المميز لهذه البلاد، فلم يقل ستفتحون أرضًا زارها إبراهيم أو أرضًا تربى فيها يوسف وموسى، أو حتى يلعنها ويقول ستفتحون أرض فرعون الجبار المتأله، أليس غريبا ألا يقول هذا؟ ألم يكن هذا أكثر مدعاة لوصف بلادنا لو كانت هي حقًا البلاد التي عاش فيها إبراهيم ويوسف وموسى وفرعون؟ فهؤلاء أشهر من القيراط والشعر الجعد ألف مرة، أليس كذلك!

وعندما أراد الرسول أن يتكلم عن إقليم مصر الموجود بسيناء قال: "سيفتح اللـه عليكم مصر، فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لكم (أيها العرب) فيها صهرًا وذمة" وفي قول آخر "ذمة ورحمًا"، فالذمة هي العهد والاتفاق الذي تم بين قبائل العرب الهكسوس الذين سكنوا مدينة مصر في سيناء وبين ملوك بلادنا عندما طردناهم في المرة الأولى، أما المصاهرة أو الرحم فهي زواج إبراهيم عليه السلام بهاجر التي كانت من قرية أم العرب (!) بجوار الفرما بمدينة مصر بسيناء.

وسوف نلاحظ أن هاجر زوجة إبراهيم سميت هاجر المصرية التي من إقليم مصر، ولم تسم هاجر القبطية لأنها ليست من بلاد القبط إيجبت؛ بينما سميت مارية زوجة الرسول بمارية القبطية التي من بلاد القبط، فقد كانت من محافظة المنيا حاليًا، ولم تُسمَّ بمارية المصرية.

* * *

يذهب بنا هذا للأرض الموعودة، الأرض التي وعد بها اللـه بني إسرائيل، إذ يقول الوعد:

"لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات،

أرض القينيين والقنزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين" تكوين ١٨ ـ ٢١/ ١٥

يقول هذا النص إن الله وعد إبراهيم بأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، ويشتمل هذا الوعد على قائمة بأسماء القبائل المقيمة بين نهر مصر "حيث عاشوا فعلاً" ونهر الفرات، ونلاحظ عدم وجود القبطيين "الإيجبتيين" بينهم، وهم المفروض وجودهم إن كان المقصود بنهر مصر "نهر النيل".

من ناحية أخرى من المستحيل أن يكون نهر مصر مقصودًا به نهر النيل، لأنه لا ينبغي أن يوصف نهر الفرات بأنه النهر الكبير إذا ما ذكر بجانب نهر النيل أعظم وأطول أنهار الدنيا.

فنهـر مـصر، هو فعـلاً نهر مـصر الموجـود في إقليم مـصر الذي عاشوا فيه، وهو "نهر وادي العريش"، بهذا تنعدم مقولة من النيل إلى الفرات، فهم ـ للحق ـ قالوا نهر مصر ولم يقولوا نهر النيل أو نهر بلاد القبط "إيجبت".

* * *

شرح الســامري، في المخطوط الثاني، وكان أكـبر قليلاً من الأول ومكتوبًـا بالقلـم اليونـاني، ما تم طمســه على مـدار الأجيـال، فقد تحـدث في أغلبـه عن حيـاة الإغريـق في بلادنا في أثنـاء احتلالهم لها، وعـن ثقافاتهم التي عمـت ولغتهم التي انتـشرت، وأصبحت هناك ضرورة ملحـة لترجمـة التـوراة للغـة اليونانية، خاصـة بعدما زادت أعداد اليهود بالإسـكندرية، فاجتمع سـبعون حاخامًا يهوديًا وقاموا بالترجمة، فسميت بالترجمة السـبعينية. لكن كل مشكلاتنا تبدأ عندما

وقع الشيوخ في خطأ قاتل رهيب أضاع بلادنا - ولا نعلم هل كان مقصودًا أم لا - حين استبدلوا كلمة واحدة لا غير، فقد رفعوا كلمة "مصرايم" من التوراة العبرية ووضعوا مكانها كلمة "إيجبت"؛ فقط لا غير.

تم الاستبدال... فاختفت مصرايم (مصر) من متون التوراة اليونانية وظهرت إيجبت، أي حلت مصر التي هي مجرد مقاطعة حدودية تابعة لبلاد إيجبت محل بلاد إيجبت نفسها، فانتقلت - وبمنتهى البساطة - كل أحداث وقصص موسى ويوسف وبني إسرائيل وفرعون من إقليم على الحدود يدعى مصر، إلى بلاد إيجبت أرض الإله الأسطورية العملاقة. وبالتالي انتقلت إليهم حكمتنا وعلومنا وأمجادنا، ثم تضاعفت المأساة عندما تُرجمت التوراة اليونانية لكل لغات العالم، وانتشر مفهوم حضور بني إسرائيل وأنبيائهم لبلادنا إيجبت، واستمر لليوم.

أصبحنا الآن في مفترق ثلاثة طرق، طريق التوراة باللغة العبرية التي تقول إن أحداث بني إسرائيل حدثت في مصرايم، وطريق القرآن باللغة العربية الذي يقول إنها حدثت في مصر، ثم طريق التوراة باللغة اليونانية التي تقول إنها حدثت في إيجبت؛ ومن سوء الحظ أن التوراة اليونانية بالذات هي التي تمت ترجمتها لكل لغات العالم.

وتم حل الإشكال بأن أصبحت مصر القرآن بالعربية، هي مصرايم التوراة بالعبرية، هي إيجبت التوراة بكل لغات العالم.

لكننا الآن فصلناها وأخرجنا "إيجبت" التي حشروها بين مصر القرآن ومصرايم التوراة.

(٣)

ذكرت التوراة العبرية أن حكاياتهم وقصصهم دارت في "مصرايم" التي أصبحت "مصر" في التوراة العربية؛ ونسبوا هذا الاسم إلى مصرايم بن نوح الذي كان أول من نزل تلك المنطقة وسميت على اسمه، معهم الحق ونحن معهم. وضد أصحاب التوراة اليونانية الذين وضعوا إيجبت مكان مصرايم، فسادت الحكايات بأن مصرايم ابن نوح قد نزل بلادنا وسُميت على اسمه، رغم أن بلادنا اسمها "إيجبت" قبل أن يخلق مصرايم وجده نوح بآلاف السنين، بل قبل خلق آدم التوراتي نفسه؛ فحسب حسابات التوراة في الإصحاح الخامس من سفر التكوين تذكر التوراة تسلسل أعمار الأشخاص بدءًا من آدم ثم نوح حتى إبراهيم، وعلى أساس من جمع أعمار تلك الشخصيات تم تحديد خلق آدم في الساعة التاسعة يوم ٢٦ أكتوبر عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد. أي أن أجدادنا كانوا يضعون أسس الحضارة والعلم والحكمة والأديان قبل خلق آدم التوراتي نفسه حسب حساباتهم!

عاش بنو إسرائيل وكل أنبيائهم في حدود إقليم "مصر"، وحدثت حكاياتهم، وهي حكايات عادية وقصص بسيطة أضاف إليها الدراويش مبالغات وبطولات للإثارة وزيادة الحبكة الدرامية، ولكن وبعدما أصبحت مصر هي إيجبت، وجب عليهم الآن إخفاء هذا المصر الملعون تمامًا من الوجود بحيث لا يتم ذكره أو يتذكره أحد، ولم يعد أحد ـ من غير المتكلمين بالعربية ـ يسمع عن مصر بعد أن طمسته التوراة اليونانية

ومسحته من الوجود الثقافي، وغدت بلاد إيجبت وشعبها وحضارتها وعراقتها وسمعتها الراقية ملكًا ثقافيًا خالصًا لليهود دون أي مجهود في بناء أوعناء في فكر أو حتى مشقة كتابة سطر من الحكمة، تحققت كل تلك المكاسب لقبيلة أولاد يعقوب البدوية، وأصبحت بلادنا بكل تاريخها وحكمتها رهينة أحداث موسى وفرعون وبني إسرائيل.

تم تثبيت كذبة "أن قصص بني إسرائيل حدثت في بلاد إيجبت" بنشرها وتسجيلها في كل كتاب وتكرارها في كل موقف، حتى تقررت وترسخت في وعي الأجيال المتلاحقة وتحولت لحقائق تاريخية وثوابت دينية، وتبعًا لهذا المفهوم أصبحنا ملعونين، ذلك لأننا حاربنا أنبياء بني إسرائيل، فوجب علينا تحطيم ماضينا بتهمة الشرك ومحاربة الأنبياء. وتقرر هذا المفهوم وترسخ دينيًا في وعي الأجيال المتلاحقة من أتباع الأديان السماوية الثلاثة، على شكل طوفان ديني مقدس تحول إلى هوس هيمن على العقول فمنعها من التفكير، وسيطر على القلوب فاندفعنا دفعًا لكراهية بلادنا وتاريخنا وحضارتنا دون الحاجة لمنطق أو برهان. حطمنا جذور ماضينا العظيم بخلق لعنة أصابت هذا الماضي فأضحى تراثًا كافرًا وأصبح واجبًا شرعيًا إحالة التراب عليه وسبه وسب الذين صنعوه، وانقلبت الأمور، وأصبح واجبًا علينا نحن التسبيح والتمجيد والفخر بأساطير بني إسرائيل الذين أكرمونا بالعلم والإيمان والحكمة، وهو ذات المثلث الذي سرقوه منا كما سترى ما تيسر منه في هذا الكتاب.

(٤)

أصل الحكاية، سأقصها عليكم أنا السامري، أنا الساحر العليم فاستمعوا لما أقول:

ترددت في البلاد حكايات موسى وفرعون، ووصلت لأسماعنا التحديات والمعارك الكلامية المتبادلة التي كانت تحدث بينهما في إقليم مسن (مصر) الإقليم الرابع عشر الذي يقع شمال أرض القمر سين (سيناء) وهي المناطق الحدودية التابعة لبلاد إيجبت، ولما كانت الرغبة تسيطر على كل من أحمس ملك الإيجبتيين وموسى نبي بني إسرائيل، للتخلص من فرعون ملك الهكسوس ـ عدوهما المشترك ـ الذي يحتل إقليم مصر؛ ولما كان كل منهما يؤمن بمقدرة الآخر وما يمتلكه، فنحن نعرف منزلة موسى بعدما جاءنا من بينات نبوته، فقلناها صريحة لفرعون:

﴿لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات..﴾ ٧٢ طه

وأيضًا موسى يعرف تمامًا قدرتنا وقوتنا العسكرية والعلمية وحاجته إليها، فقد تعلم في معابدنا داخل سيناء ووصل لدرجة كبير، ولقد تنبه فرعون لهذا ذات يوم عندما صاح فينا قائلاً:

﴿إنه كبيركم الذي علمكم السحر..﴾

ها هو ذا موسى يتحدى فرعون، الذي يشعر بالضعف بعدما تمت محاصرته داخل "المدينة"، لكنه أبدى ذكاء عندما فكر في الاستعانة بنا نحن أصحاب البلد وأصحاب العلوم، فنحن وحدنا القادرون على هزيمة موسى، فأرسل في "المدائن" الأخرى الموجودة ببلاد إيجبت حاشرين يحشرون له السحرة.

جاءتنا الأوامر للذهاب للمدينة التي يعيش فيها فرعون، لننضم له ضد موسى، كان هذا في الظاهر أما في الحقيقة فقد كنا نخفي مكرًا وخطة مبيتة ومدبرة للوقوف بجانب موسى وهزيمة فرعون. فعندما أكرهنا فرعون على القيام بتجربة السحر ضد موسى[1] قبلنا تبعًا للخطة الموضوعة، ثم ساومناه بأن لنا أجرًا إن كنا نحن الغالبين، فوافق وزاد بوعد أن نكون من المقربين.

﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إنّ لنا لأجرًا إن كنّا نحن الغالبين، قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ ١١٣ الأعـراف

لم يفطنوا لمساوماتنا لفرعون، ولا لماذا ساومناه ـ وهل كنا نجرؤ أن نساومه لو كان ملك بلادنا ـ كما لم يفطنوا لعبارة ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ ألا يدل لفظ (إن) على استهزأنا وتأكدنا من عدم الفوز ذلك لأن التعبير بلفظ (إن) إشارة إلى أصالة الشك في تحقيق الفعل، وإلا كنا استخدمنا عبارة إنّ لنا لأجرًا عندما نغلب؛ وفي موضع آخر أقسمنا بعزة فرعون زيادة في الاستهزاء. كما لم يفسر الذين يعتقدون أننا كنا من أتباع فرعون لماذا أرسل بمن يأتي له بكل ساحر عليم، أليس الوضع الطبيعي المعتاد في بلاط الملوك أن يكون الحكماء والسحرة العلماء بالقرب من الملك ورهن إشارته، بالذات في أوقات

---

(١) **﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر﴾** ٧٣ طه

الحروب، ولا ينتظر حتى تقع الكارثة ويرسل الحاشرين؟!

على كل حال تنبه فرعون لمكرنا متأخرًا وبعد فوات الأوان عندما صاح قائلاً:

﴿إن هذا لمكر مكر تموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾

وهذا للحق عين ما حدث.

أنا السامري انتبهوا لما أقول: *"كان يوجد ذات يوم ملك اسمهُ فرعون غريب عن بلادنا، استدعاني ومعي زملائي من السحرة العلماء لنقف معه ضد موسى الذي كان من قومه، رفضنا فأكرهنا على السحر، فطلبنا أجرا كنوع من التعجيز، فوافق وزادنا وجعلنا من المقربين. رغم ذلك تسببنا في هزيمته ونصرنا موسى".*

دخلنا معركة السحرة في اليوم الموعود، وأتينا بسحر حقيقي عظيم لا يثير أي شك أو ريبة لدى فرعون، وأخذنا مواقف متساهلة دون أي تعنت، وانتظرنا اللحظة المناسبة لإعلان هزيمتنا دون أن ندخل في جدال. وقبل أن يتهمنا أحد بالخداع عليه أن يتذكر أن الحرب خدعة، ومثل هذه الاتفاقات في أثناء المعارك والحروب متاحة ومباحة. وعليه ألا ينسى أننا كنا نعمل على تحرير بلادنا كهدف رئيس، ومساعدتنا لموسى كانت من باب تبادل المصالح.

ـ علمنا أن موسى كان قد سبق وألقى عصاه أمام ربه وتحولت إلى ثعبان، كان هدف ربه تدريبه على عدم الخوف، ثم كرر التجربة مرة أخرى أمام فرعون بعد عودته مباشرة من مدين، لهذا اخترنا هذا النوع من السحر بالذات، أعني سحر تحويل العصا إلى حية تسعى لتكون مادة سحرنا، اخترنا شيئًا يعرفه موسى جيدًا وتدرب عليه

أكثر من مرة، بل ومارسه فعليًا من قبل، ولو كنا نريد هزيمته لاخترنا أشياء أخرى لا يعرفها موسى.

ـ ما إن بدأت المناظرة حتى أعطينا لموسى حرية الاختيار، سألناه إما أن تلقي وإما أن نكون أول من يلقي، لم نشأ أن نرغمه على شيء لنساعده على الانتصار.

ـ ألقينا حبالنا، وجئنا بسحر عظيم، جعل موسى يتوجس في نفسه خائفًا.

ـ لكنه تشجع بدعم ربه وألقى عصاه فتحولت إلى ثعبان مبين، بمجرد أن تغلب ثعبان موسى على ثعابيننا، أعلنا هزيمتنا ورفعنا راية الاستسلام وأعلنا تفوق موسى وإيماننا به وسجدنا لربه رب العالمين، قمنا بأسهل وأسرع استسلام، لم نجادل بل حتى لم نطلب استخدام نوع آخر من السحر أو حتى مجرد إعادة التجربة، بمعنى آخر تلككنا لإعلان هزيمتنا.

لم نصبر حتى يأخذ فرعون قرارًا أو يأذن لنا، وكان هذا خطأ لا مبرر له، جعله يفطن للاتفاق الذي تم بيننا وبين موسى وللخطر القادم إليه، فاتهمنا بالمكر وعمل الحيلة لإخراج بني إسرائيل من تحت يده وقال صادقًا:

﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ ١٢٣ الأعراف

وهذا فعلاً ما حدث، فقد خرج بنو إسرائيل وخرجتُ أنا السامري ومعي عدد كبير من أتباعي وتلاميذي السحرة ضمن الخارجين مع موسى، وعندما اطلعتُ على التوراة فيما بعد لاحظت أنهم كتبوا:

"ففعل هكذا موسى وهارون كما أمر الرب، رفع العصا وضرب

الماء في النهر أمام عيون فرعون وأمام عيون عبيده فتحول كل الماء الذي في النهر دماء،... وفعل عرافو مصر كذلك بسحرهم، فاشتد قلب فرعون" ٧ خروج

وكررت التوراة السامرية نفس المشهد تقريبا، لكنها قالت في نهايته:

"وصنع كذلك فلاسفة مصر بلطفهم واشتد قلب فرعون"

صدق كتبة التوراة، فنحن فعلاً "فلاسفة وعرافون" وكنا نفعل نفس الشيء الذي يفعله موسى في حربه فيشتد قلب فرعون! فعندما كان موسى يحول النهر إلى دم، كنا نفعل نفس الشيء الذي يفعله موسى، في حين أنه من المفروض أن نفعل العكس ـ لو كنا أتباعه ـ فإن حول موسى النهر إلى دم، علينا نحن إرجاعه إلى ماء كما كان، لكننا كنا نفعل ما يفعله موسى لمساعدته، ما جعل قلب فرعون يشتد. فنحن مع موسى في خندق واحد، ونقوم بحرب واحدة ضد شخص واحد، وذات أهداف ومصالح مشتركة واحدة!

على هوامش البردية وجدتُ شكرًا خاصًا من السامري لكتبة التوراة السامرية، لأنهم أطلقوا عليه وعلى أتباعه لقب الفلاسفة وليس السحرة. عدتُ للمتن سريعًا فوجدته يضع خطًا أحمر تحت عبارة: *أعلنا هزيمتنا وانتصرنا لموسى، وأهم من ذلك قضينا على فرعون معنويًا، وانتظرنا جميعا النصر المادي العسكري لأحمس المعظم ملك بلادنا الخالدة.*

هاج فرعون وأمر بتقطيع أيدينا وأرجلنا من خلاف وصلبنا أجمعين، والحق أقول لكم لقد ضحكنا جميعًا من طرق التعذيب التي

حددها فرعون، لقد أراد أن يمارس معنا نفس طرق التعذيب البدوية التي يمارسها مع أهله وعشيرته من البدو الهكسوس، خاصة طريقة الصلب التي لم نمارسها أو حتى نعرفها طوال تاريخنا المجيد؛ فقد قال لنا:

﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم في جذوع النخل﴾ ٧١ طه

وعندما تعود بي الذاكرة لهذا اليوم، أتذكر صديقي الحكيم الساحر مسبتاح الذي حضر معنا المناظرة، عندما سألني بصوت عال: لماذا أصدر فرعون حُكمهُ بقتلنا وصلبنا فورًا دون تردد أو محاكمة، ولم يفعل ذلك مع موسى أو هارون رغم أنهما رأس المشكلة وسبب الصراع؟! ولماذا لم يفعل ذلك طوال عمره مع عشائر بني إسرائيل؟ الذين هددهم أكثر من مرة بأنه سيقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم. أتركهم جميعًا لأنهم أهله وعشيرته، وحاكمنا نحن الإيجبتيين لأننا أغراب عنه؟

صدق الحكيم مسبتاح فقد كان الحق كاملاً معه، فهم فعلاً غرباء عنا، وهم أهل وعشيره وقبائل متعددة لكن من منابت واحدة، ولم يستطع فرعون تقطيعهم أو صلبهم واكتفى أمامهم ـ طوال عمره ـ بالتهديد بالقول دون الفعل، بدليل خروجهم بكامل عددتهم وعتادهم وأبنائهم في جيش جرار.

أخذتُ أنا ومسبتاح نتساءل عن معنى "لأصلبنكم" ونتعجب من تلك الطريقة البربرية البدوية العجيبة التي يستخدمها البدو في التعذيب، والتي ليس لها مثيل في بلادنا وعلى طول تاريخنا، ووقع صديقي من الضحك وهو يكرر عبارة "في جذوع النخل" ويتساءل

أليس عندهم مبان وأسوار وحوائط؟ ألا يعرف البدو إلا النخل؟!
صمت مسبتاح عندما وجدني أتمتم: البدو لا يقيمون حجرًا فوق حجر، أصحاب الحضارة هم فقط البناؤون.

(٥)

أبدى فرعون فطنة وذكاء عندما انتبه للخطة والاتفاق الذي تم بيننا وبين موسى، ورغم ذلك ترك موسى وهارون وتوجه إلينا غاضبًا مهددًا متوعدًا، لم نهتز أو نخاف وواجهناه بقوة قائلين:

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ ٧٢ طه

﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَآ﴾ ٧٢طه

﴿... لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون﴾ ٥٠ الشعراء

ووجدناها فرصة لننطق بكل أسرار عقيدتنا، نطقنا بحكمة تعلمناها وحفظناها ورددناها قبل ظهور حكماء وأنبياء بني إسرائيل بآلاف السنين.

فقد عَلمنا فرعون وعَلمنا بني إسرائيل وعَلمنا البشرية أن:

﴿... اللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾

﴿لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى﴾

﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾

﴿جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾ ٧٤ طه

وعندما وجدنا الدهشة في عيني فرعون لِما قُلنا، استثمرنا الموقف وأعلنا براءتنا وأن ما أتيناه من سحر كنا مكرهين عليه، وصحنا أمام الجميع:

﴿إِنَّآ آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ ٧٣ طه

لم نهَب الموت ورحبنا به ما دمنا سنموت مسلمين لرب العالمين، ورفعنا أيدينا داعين:

﴿ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين﴾ ١٢٥ الأعراف

وتوفنا مسلمين؟! نعم مسلمين!

سجل القرآن موقفنا، والمدهش أنه لم يأت بذكر لمخلوق قال مثل ما قلنا من عبارات الإيمان والحكمة والمعرفة قبلنا؟ معرفة وإيمان بالآخرة والجنة ونعيمها ودرجاتها ومنها الدرجات العلا، وجهنم تلك التي من يدخلها لا يموت فيها ولا يحيا، كأننا وضعنا تعريف لحالة وحفرنا مصطلح لا يعرفه أحد غيرنا.

لم تخطر تلك التعاليم على بال موسى ولم يقل بمثلها، فتلك اللحظة كانت في بدايات المعركة بين موسى وفرعون، وكان طلب موسى الوحيد "أن أرسل معنا بني إسرائيل" ولم يتكلم عن الإيمان والشريعة والجنة والنار، بل إن ألواح التوراة نفسها حتى هذه اللحظة لم تكن قد نزلت بعد.

صحيح أن النبيين إبراهيم ويوسف عليهما السلام كانا قبل موسى

وقد أتيا بتعاليم، لكن كلاً منهما وجه تعاليمه لقومه وليس لنا، ذلك لأن كل رسول أتى لقومه خاصة وبلسانهم وفي بلدانهم وقراهم.

كنتُ أرى على الأوراق غيرة السامري ودفاعه عن بلده، من خلال ضغطه على الحروف التي كانت تئن وتجعله يصيح: حتى إذا افترضنا أن تلك التعاليم قد سمعناها بطريقة ما، فإنها ستكون تعاليم كافرة بالنسبة لمعتقدنا وسنعمل على محوها وليس حفظها وترديدها، وإن حفظناها فمن المستحيل أن نكررها ونلقيها بمثل هذه البلاغة والطلاقة، ويجب ألا يخطر على البال أن ما قلناه كان مجرد خاطر جاء من وحي لحظة هزيمة، لأن ما قيل كان قولاً جماعيًا نطقنا به جميعًا وفي نفس اللحظة، إننا نطقنا بما نعتقد، وبما هو نابع عن ثقافتنا الدينية والحضارية العامة والشاملة للشعب كله.

المؤكد أننا نطقنا بأكثر مما تعرفه البشرية في هذا الوقت، ورغم كل التدليل لبني إسرائيل لم يأت على لسان أي من أنبيائهم، أو حتى من أتى قبلهم، مثل ما أتينا به نحن الفلاسفة السحرة والحكماء الإيجبتيين من عمق الإيمان. فلقد اطلعتُ على صحف موسى وصحف من سبقوه أو لحقوه من أنبياء بني إسرائيل، وهي جميعًا بين يدي، ولم أر بأي منها مثل ما قلنا، وهو عين ما نؤمن به.

الغريب أن أتباع موسى لم يفقهوا كلمة واحدة مما قلنا، ذلك لأن الإيمان لم يتغلغل في قلوبهم، فلقد ارتد معظمهم للوثنية فور انتهاء معجزة العبور، وعبدوا العجل الذهبي بمجرد خروجهم بل وشربوه في قلوبهم، وطلبوا رؤية الله جهرا، بل إن موسى نفسه كسر ألواح التوراة التي نُزلت إليه في ثورة غضب، وربما قبل أن يقرأها.

والأغرب أنه لا مكان في أي موضع من كتب أسفار العهد القديم يتضمن ولو زلة لسان تُوحي بوجود إيمان بالبعث والحساب، بل على العكس من ذلك نجد العديد من النصوص تنفي البعث والحساب، وتعد الموت نهاية أبدية.

اشتهرنا نحن أبناء أرض الإله "الإيجبتيين" منذ القدم، وقبل أن يظهر أي من أنبياء بني إسرائيل الكرام، بالتعمق في علوم الطبيعة وعلوم ما وراء الطبيعة وبرعنا في تكنولوجيا خفية غير معروفة سُميت (السحر) ووصلنا فيها لدرجة العليم؛ فهناك الساحر وهناك السحار، وهناك على قمة العلم الساحر العليم.

﴿... وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم﴾ ١١١ الأعراف

ووصلت المهارة لدرجة أن يصفها الخالق بصفة (عظيم)، وهي المرة الوحيدة التي أتى فيها وصف عظيم لعمل قام به بشر:

﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ ١١٢ الأعراف

لم نؤثر بهذا السحر العظيم على أعين العامة من الناس فقط، بل أثرنا على موسى نفسه بكل ما يملك من طاقة وقدرة روحانية عالية، حيث خيل إليه من سحرنا أن العصا تسعى، بل وتوجس في نفسه خيفة، رغم أنه تدرب أكثر من مرة على نفس الموقف حتى لا يخاف، رغم ذلك خاف. تدخل الخالق وأمر موسى ألا يخاف، فتلاشى السحر العظيم أمام قدرة الخالق الأعظم، وسجدنا لإله موسى، ولم يستطع فرعون تنفيذ تهديده بصلبنا، فقد توالت الأحداث بسرعة، وغرق فرعون وخرجنا مع موسى.

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾

(ومن معه) إشارة لوجودنا ووجود جموع أخرى مع موسى وفي نفس خندقه، ولكن ليس من قومه، ويؤكد هذا المعنى كلمة أجمعين.

الفصل الثاني

كشف المستور

«يوجد بيت للسكن ويوجد مقر للحكمة،
تبنى بيوت السكن بالأحجار المادية، وتبنى
مقار الحكمة بالمعرفة المقدسة»

وضعتُ المجلد الأول جانبا على أمل أن أعود إليه مرة أخرى، وقبل أن تمهلني عيناي للراحة لمحتُ المجلد الثالث، وأبى عقلي أن يعطيني مهلة للتفكير، فممدت له يدى فقفز بي للعصور الوسطى إلى خضم الحروب الصليبية.

(٦)

الفرسان، كانوا تسعة ظهروا في خضم الحروب الصليبية وبالضبط خلال الحملة الصليبية الثانية، أتوا من بلاد الفايكنج "إسكندنافيا" وكونوا فرقة عسكرية أطلقوا عليها فرسان المسيحية، بحجة أنهم يقومون بحماية الحجاج المسيحيين عند زيارتهم للأماكن المقدسة في بيت المقدس[١]، وذهبوا البيت المقدس واتخذوا من فكرة حماية الحجاج المسيحيين غطاء للحصول على وثائق سرية كانوا متأكدين أنها مدفونة تحت أنقاض معبد هيرودوت، الذي كان مبنيًا على أنقاض معبد سليمان والذي كان بدورة مبنيًا على أنقاض معبد إيجبتي أكثر قدمًا. وهذا يفسر لماذا لم يطالبوا بأي مقابل مادي نظير حماية الحجاج ولماذا تمسكوا بأن يظلوا فقراء لا يلتفتون للمال ولا يريدونه، إنهم يبحثون عما هو أعظم، عما سيجعلهم نافذين للأبد ويجعل الكنيسة مستعدة لدفع أي شيء مقابل حصولها على تلك الوثائق، أو على الأقل سكوتهم.

بمجرد وصول الفرسان لمدينة القدس طلبوا عن قصد وألحوا

---

(١) لم يكن هذا سوى حجة يغطون بها أهدافهم الحقيقية، فليس من المعقول أن يقوم تسعة أفراد بتأمين طرق الحج الطويلة من يافا إلى أورشليم، كما أنهم جعلوا مقر قيادتهم في المسجد الأقصى، وليس على طريق الحج كما يُفترض.

أن يكون مسكنهم في الإسطبل، وهو مجرد مكان حقير موجود تحت أنقاض المعبد، وفي الخفاء تحت الأنقاض نقبوا وحفروا وبحثوا في صمت وسرية كاملة، لم يفعلوا شيئا له علاقة بالمهمة التي ادعوها، وبعد تسع سنوات وصلوا لحجرة تحت قدس أقداس المعبد ووجدوا مخطوطات مدفونة، وبرديات تحوي علومًا ورموزًا غامضة جمعها سليمان من بلاد أرض الإله "إيجبت" ودفنها تحت عرشه، كما وجدوا أدوات وأسرارًا كانت موجودة حتى من قبل سليمان وأبيه داوود[١].

منذ تلك اللحظة تنكر فرسان المسيحية لما ادعوه عن سبب تكوينهم ومجيئهم، وعادوا لحقيقتهم واستغلوا عملهم الميداني الحربي في البحث عن مزيد من الكتب والأسرار والمعارف القديمة، ومع تغيير تفكيرهم غيروا اسمهم من فرسان المسيحية إلى فرسان المعبد أو فرسان الهيكل.

صحيح حقق الفرسان هدفهم ومقصدهم عندما حصلوا على مخطوطات أسرار العلوم القديمة، لكن اللحظة الفارقة حدثت عندما تقابلوا مع جماعة تعيش منغلقة وتتجنب الناس والتماس معهم، وقيل لهم إنهم أصحاب تلك العلوم والمعرفة الباطنية والتعاليم القديمة (esoteric)، تقابلوا وعرفوا الكثير من أسرارهم وغيروا العالم؛ تقابل الفرسان مع الحكماء الإيجبتيين أساتذة تلك العلوم وأصحابها الذين "عندهم علم من الكتاب" ويعرفون مفاتيحه وسبر أغواره وحل رموزه، وكان يستعين بهم سليمان الحكيم في معجزاته.

---

(١) اكتشف الكابتن البريطاني وارين في سنة ١٨٦٧ الأنفاق التي حفرها فرسان الهيكل، وفيها بعض آثارهم من تروس وصلبان.

كان اسم هذه الجماعة الإيجبتية "الماسون".

عاد فرسان الهيكل إلى أوروبا وكونوا قوة عظمى بما وجدوا من المسروق والمكنوز من معارفنا وعلومنا، وبدأوا في ممارسة الطقوس والمعارف الجديدة ـ القديمة ـ وما تحوي من علوم تفوق مدارك العصر الذي وجدت فيه. أرعبت الأسرار والمعارف القديمة الكنيسة، ما جعل البابا إينوسنت الثاني يصدر أمر بابويًا يعطي لفرسان الهيكل الحق في سن قوانينهم الخاصة وبناء قوة عسكرية ودينية وسياسية، مستقلة تمامًا عن الملوك حكام أوروبا وعن الكنيسة المسيطرة، فأصبحت لهم سلطة غير محدودة.

كون فرسان الهيكل فرقًا عسكرية، للحفاظ على ما بحوزتهم من كنوز الأسرار والتعاليم الغامضة عن النفس والروح وطاقات العقل البشري الخفية، تحالفوا مع جميع الطوائف، وأنشأوا شبكات للدعم والمساندة شملت كل أوروبا خاصة في مجال الأعمال المصرفية، وأوجدوا فكرة النظام البنكي الدولي، عن طريق السماح للحجاج إلى الأراضي المقدسة في القدس بإيداع أموالهم في أي كنيس أو دير تابع لهم، مقابل صك بالقيمة المودعة، وكان في استطاعة صاحب الصك استرداد أمواله من أي كنيس أو دير تابع لهم في أي مكان بأوروبا متى شاء ناقصًا نسبة معينة تحفظ للفرسان، فظهرت معهم أموال طائلة، وصاروا بمثابة شركات متعددة القوميات وعابرة للبحار تستثمر أموال الأمراء والنبلاء وتدير أراضي الإقطاعيين وتؤجر ما تمتلكه من أراض للمزارعين، وتحولوا إلى مؤسسة مالية عُدت الأكثر قوة في أوروبا، بل وأصبحت أول وأهم مؤسسة متعددة الجنسيات في العالم، وبعد خمسين عامًا من تكوينها صارت قوتها الاقتصادية تفوق قوة دول غرب أوروبا مجتمعة.

بل واستطاعت إعادة بناء اقتصاد أوروبا كله. امتلك فرسان الهيكل المال والقوة فتحكموا في أوروبا سياسيا واقتصاديا ودينيا واجتماعيا لمدة تزيد على ٣٢٠ سنة، ولمَ لا وقد عرفوا مصادر القوة وامتلكوا أسبابها فهم أصحاب مال ونفوذ وتمرس في القتال... ويملكون قوى العلوم الإيجبتية الغامضة.

* * *

هزت المخطوطات كياني، ولما كنت مطلعًا على القصص التي أتت بالقرآن، لاحظت أن معظم شخصيات قصص بني إسرائيل كما أتت في التوراة كذلك أتت بالقرآن، بيد أن التوراة أخفت عدة شخصيات أتى ذكرها بالقرآن الكريم وتفرد بقصصهم، شخصيات غيرت وجه التاريخ، إحدى تلك الشخصيات الشديدة الأهمية والتي أخفتها التوراة تمامًا كان جدى "السامري" ذلك الذي لقصته مدلول كبير.

حكى السامري قصته، والغريب أنني وجدت تطابق كامل بين ما كتبه وحكاه وبين ما بين أيدينا من آيات القرآن الكريم، وكانت تلك هي النقطة التي يجب أن نبدأ من عندها[١].

(٧)

من هنا نبدأ... من عند السامري، ذلك الرجل الذي يشدني شدًا لأعود إليه كلما بعدتُ، فعنده من الخيول ما يكفي ليجري بنا في كل

(١) في كتاب «فرعون موسى من قوم موسى» سنلتمس الحقيقة ونقرأ بأعيننا ولساننا، ونتأكد بعقولنا أننا كنا نقرأ القرآن طوال ١٤٤٠ سنة وبطول وعرض بلاد الدنيا، وعقولنا موجهة ومبرمجة على شيء محدد لا نحيد عنه يمجد بني إسرائيل، ويلعننا ويلعن بلادنا.

مضمار خفي، وجرى السامري ساردًا:

بعد هزيمة فرعون وغرقه مع بقايا جنده وقومه من الهكسوس فضلتُ أنا السامري كبير العلماء والحكماء، الانضمام لموسى والخروج معه، وخرج معنا عدد من السحرة الايجبتيين؛ وكنا أنا وزميلي "حور" قريبين من موسى، نسترجع معًا الذكريات ويأخذ رأينا في كثير من الأمور؛ لكن ذات يوم تركنا موسى مع قومه وذهب إلى ربه متعجلا، فسأله:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى...﴾

رد موسى: إنهم آتون بعدي ولكني عجلت لترضى[1]

ولم نعرف لماذا عَجل موسى في الذهاب إلى ربه، هل فقط ليرضى أم توجد حكمة أخرى لا ندريها؟

في أثناء وجود موسى عند ربه فوق الجبل، قذف قوم موسى ما يحملون من الذهب الذي يتزينون به. لاحظ أنهم هم الذين جمعوا الذهب وهم الذين قذفوه، فقد قالوا بالحرف الواحد:

﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا﴾

ويشهد الله أنني لم أفعل أكثر مما فعلوا

اقتباس: ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾

لاحظ أنهم قذفوا، وأنا ألقيت، مجرد ألقيت، وقذف غير ألقى وغير رمى، وجميعًا غير نبذ.

---

(١) ﴿... هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾

ثم أخذتُ قبضة من أثر الرسول (!)، وألقيتها على العجل، فدبت في جسده الحياة وصار له صوت مثل صوت البقر (خوار)[1]. لم يعترض أي من بني إسرائيل بمن فيهم هارون ـ مهما كانت أسبابه ـ على العجل ومن صنعه، بل رحبوا به واتخذوه إلهًا لهم، هم الذين اتخذوه إلهًا، أنا لم أطلب منهم ذلك ولم آمر به، بل ومن عجيب أمرهم أنهم لم يكتفوا بكونه إلههم، حتى جعلوه إله موسى.

اقتباس: ﴿... **فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ**﴾ طه ٨٨

هم الذين قالوا!

عرفتُ ـ فيما بعد ـ أنهم اختلفوا في ماهية القبضة التي قبضتها، قالوا إنها كانت من أثر قدمي موسى، وقالوا إنها من أثر قدمي جبريل أو من أثر قدمي فرس جبريل. لم يعرف أحد حقيقة تلك القبضة غيرك أنت وحدك الآن يا من تقرأ مذكراتي، لقد أخذتُ القبضة من مكان محدد بالوادي كنتُ أعرفة جيدًا، مكان به مادة الخلق وبعث الحياة، مكان اسمه "أثر الرسول".

سرحتُ بعقلي بعيدًا عن السامري، هل حقًا يوجد مكان محدد معروف اسمه "أثر الرسول"، مثله مثل مكان معروف محدد بالقاهرة اسمه "أثر النبي"؟ وهل كان السامري وهو الحكيم الساحر العليم يعرف حقًا هذا المكان بصفته مكان الخلق أو بعث الحياة. لم يحدث أن قام بشر غير السامري بتحويل المادة الجماد إلى كائن حي، باستثناء عيسى بن مريم عليهما السلام، يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن اللـه.

---

(١) ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ...﴾

اتخذ بنو إسرائيل من العجل إلهًا، وأصروا على ألا يبرحوا وبقوا عليه عاكفين إلى أن يرجع موسى، ورجع موسى فوجد القوم يسجدون ويطوفون راقصين حول (العجل)، فغضب وألقى الألواح المقدسة التي أُمليت عليه وحطمها من شدة الغضب؛ ثم هجم على أخيه هارون النبي وأخذ برأسه ولحيته وجره وعنّفه، وهارون يدافع عن نفسه بأن القوم استضعفوه وأنه لم يشأ أن يُحدث فتنة وشرخًا في صفوف بني إسرائيل، وأنه نهاهم عن عبادة العجل وأنهم كادوا يقتلونه.

لم يلتفت موسى لتلك المبررات وزاد غضبه، ثم نظر موسى نحوي، وتحول عنفه مع هارون إلى رقة ولطف معي، لم يلمني! بل انخفضت نبرة حديثه وهدأ تمامًا وسألني:

﴿... فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾

أجبتُ بثقة العالم وقلتُ: رأيتُ ما لم يروا وسولت لي نفسي أن آخذ قبضة من أثر الرسول وأنبذها في مكان لا يراه الناس.

اقتباس: **﴿... بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ ٩٥ طه**

في هذه المرة نبذتُ: ونبذ غير قذف وغير ألقى وغير رمى.

لم أقصد أو أتعمد خلق إله، فقد كان في إمكاني ادعاء الألوهية بدلاً من خلق إله أو حتى ادعاء النبوة، خاصة وموسى غير موجود وهارون ضعيف والشعب تحت أمري، لكن هذا لم يحدث لهذا صدقني موسى، كما أنه لم يُدهش أو يستغرب لِما قلتُ، بل إنه حتى لم يسألني عن ماهية تلك القبضة التي قبضتها ولا عن أثر الرسول، فهو كان يعرف تلك المفردات ويعلم قصدي جيدا!

لاحظتُ من طريقة كتابة السامري أنه رجل قوي ذو علم وهيبة ولا يخشى موسى، فهو لم يتنصل من فعلته أو يبررها كما فعل هارون، إنه رجل ذو مكانة وجاه، ومعرفة وقدرة وقوة، معرفة فتنت القوم؛ وقدرة جعلتهم يشهدون بأنفسهم عظمته ويحولون العجل إلى إله يعكفون عليه ويتجاهلون هارون؛ وقوة جعلت السامري يصر على ما فعل كأنه يعلم أن موسى لا يستطيع أن يؤذيه، وهذا ما حدث بالفعل، فلم يستطع موسى أن يعاقبه أو حتى يلومه! بل تعجب من مهارته وصناعته وقال مدهوشًا:

﴿ماذا صنعت حتّى فتنت القوم﴾ ؟!

لاحظ أن صنع غير خلق وغير جعل.

السامري لم يكفر، بل إن الذين كفروه قد باءوا بها، لأن السامري لم يقل إنه صنع إلهًا، الذين قالوا هذا هم بنو إسرائيل أنفسهم:

﴿... فَقَالُوا هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ ٨٨ طه

الغريب أن قوم موسى أنفسهم جزموا بأن موسى كان مخطئًا وذهب يطلب ربه فضل ولم يعلم مكانه وأخطأ الطريق. فلقد فسرت كتب التفاسير كلمة **﴿... فَنَسِيَ﴾** على أنها إجابة مسبقة على سؤال سوف يقوله بنو إسرائيل وهو: إذا كان هذا العجل هو إله موسى فلمن ذهب موسى؟ أي أنه أجاب مسبقًا عن هذا السؤال بقوله: فنسي وذهب يطلب إلهًا غيره[1].

(١) يقول ابن عباس: إن موسى نسي أن يذكر لكم أن هذا إلهه وإلهكم. وقال السدي: أي ترك موسى إلهه ها هنا وذهب يطلبه.

قوم موسى هم الذين ادعوا أنّ العجل إله، وتجاهلوا هارون الذي قال لهم:

﴿... يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ ٩٠ طه

لم يتبعوه ولم يطيعوا أمره، بل أصروا على موقفهم وعبادتهم للعجل وقالوا:

﴿... لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ ٩١ طه

هذه أقوال قوم موسى، ذلك لأن عبادة العجل لم تكن مجرد ظاهرة طارئة مرت بهم، بل كانت متغلغلة في دمائهم لدرجة أنهم شربوها في قلوبهم بكفرهم(١).

كفر بنو إسرائيل، ولم أكفر أنا السامري.

ـ تساءل موسى مع نفسه: إن كان السّامريّ قد حول الذهب إلى عجل، فمن الذي نفخ فيه الروح وجعل له جسدًا من اللّحم، وجعل له خوارًا "صوت حي معلوم للبقر" حتى افتتن به القوم؟

الغريب أن موسى لم يقدر أن يتهمني بالفتنة، واتهم ربه قائلا:

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ ١٥٥ **الأعراف**

وأقر ربه كلامه قائلاً:

﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ ٨٥ طه

---

(١) **﴿... واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ ٩٣ البقرة**

أنا السامري لستُ كافرًا ولا ضالاً، بل إن بني إسرائيل قوم موسى هم المهيؤون للضلال والكفر لهذا ضللتهم، فقد تغلغلت عبادة العجل في دمائهم لدرجة أنهم شربوها.

يرى الدكتور عبد المحسن الخشاب أن "اليهود لم يبعدوا عن تقاليد عبادة الثور، وظل أثر هذه العبادة مستمرًا معهم، حتى إن داوود عندما أسس دولة اليهودية أسس معها عبادة (يهوا) فبدا لعقول العامة في تصورهم تقارب وتوحيد (بعل) ربهم القديم مع (يهوا) واستمر هذا التصور (للبعل مع يهوا) في عهد ابنه وخليفته سليمان، فقد وجدوا في معبده المشهور تمثالاً لإله من البرونز بشكل آدمي مجنح برأس عجل، ثم وجدوا تمثالين كبيرين لنفس هذا الإله في قدس الأقداس بالمعبد"[١].

(٨)

النبي موسى بقرنين! هكذا ظهر في كنيسة الفاتيكان التي وضعت لوحة مايكل أنجلو في وسط ساحة سان بيتر في قلب الفاتيكان، وركز أنجلو على إظهار القرنين، كأن إظهارهما كان همه الأساسي. على كل حال هناك آلاف من الصور رسمها فنانون مسيحيون يبجلون ويعظمون ويؤمنون بموسى وبتوراته، أظهرت موسى بقرنين فوق رأسه، ليس هذا فحسب بل تم تمثيله بتمثال غريب مشابه، موجود بين ستة عشر تمثالاً برونزيًا في شرفة بمبنى الكابيتول في العاصمة واشنطن.

---

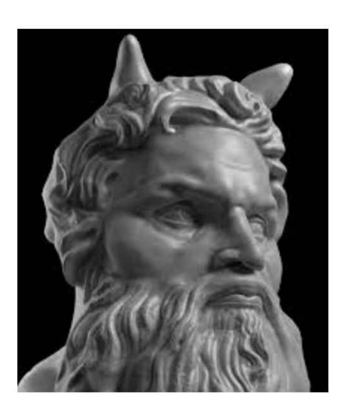
(١) تاريخ اليهود القديم بمصر، د. عبد المحسن الخشاب، مكتبة مدبولي طبعة أولى ١٩٨٩ ص ١٠٥

صاح السامري فوق الأوراق مهللاً...

هل توجد علاقة بين قرني موسى والعجل الذي صنعته؟

أم أن العلاقة موجودة بين قرني موسى وقرني البقرة التي طُلب من بني إسرائيل أن يذبحوها؛ أم أن قرني موسى وقرني عجل السامري وقرني بقرة بني إسرائيل، لا تخرج عن قرني الربة حتحور ربة الجمال والفيروز والتي تأخذ وجه بقرة بقرنين، وتقف صورها ورموزها منتصبة شامخة على أعمدتها في عديد من معابد بلادنا القديمة، خاصة معبد سيرابيط الخادم أحد أكبر وأهم معابد سيناء حيث تربى موسى وعاش وتعلم، ثم خرج؟[1].

ووضعتُ يدي على خدي مخضوضًا وسارحًا.



صورة لموسى في قلب الفاتيكان

---

(١) يقول سفر الخروج باللغة اللاتينية: إن لموسى قرنين (كاران أو باناف)، وفي محاولة للخروج من هذا المأزق وإبعاد موسى عن البقرة حتحور، حاول البعض تفسير وجود القرنين بأن السبب هو سوء ترجمة سفر الخروج فحين قامت الكنيسة الكاثوليكية بترجمة التوراة للاتينية الرسمية، ترجموا العبارة التالية cornuta esset facies sua بأن لوجه موسى قرنين! في حين أن الترجمة الصحيحة: أن تكون لموسى «بشرة وجه تشعُّ بالنور».

- موسى: يلقي الألواح المقدسة ويحطمها.
- هارون: يَبطشُ به موسى ويجَرّهُ من شعر لحيته ورأسه.
- العجل: تم حرقه ونسفه في اليم[1]
- الذين اتخذوا العجل ربًا: سينالهم غضب من ربهم، فقد ظلموا أنفسهم وسينالهم غضب من ربهم، وجزاؤهم أن يقتلوا أنفسهم[2].

أما أنا السامري، أنا الذي صنعت العجل، فأقف شامخًا لم يجرؤ أحد على عقابي أو مسي بسوء، وأقصى ما قيل لي اذهب!

﴿... فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ﴾ ٩٧ طه

أهذا كل شيء؟!

نعم هذا كل شيء، بل هو الشيء الوحيد أن أقول "لا مساس".

انصعتُ للأمر وقلتُ: لا مساس، وأسستُ جماعة لا مساس.

"لا" مساس ـ "لا" مس ـ "ما" سون

(ذهبتُ وأسستُ وكونتُ جماعة سرية من الـ"ماسون" لا تُمس ولا تماس أحدًا ولا تختلط مع أحد كما طلب مني موسى، كان معظم المؤسسين من الحكماء والسحرة زملائي وتلاميذي الذين انتصروا لموسى ضد فرعون)

---

(١) ﴿... لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ ٩٧ طه، فقد كان جسدًا شديد العجب صُنع بتكنولوجيا خارجٍ نطاقَ عقلِ وخَيال البدو، لا يتحطم ولا يتكسر، والحل الوحيد أن يحرق وينسف نسفًا.

(٢) ﴿... سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ ١٥٢ الأعراف، ﴿... فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ ٥٤ البقرة

ربما حفظ لنا موسى هذا الجميل وأمسك عنا غضبه المشهور به. على كل حال تأسست الماسونية معتمدة على رموزنا وعلومنا السرية، معتمدة على حكمة موغلة في القدم، كنتُ أحفظها وأتقنها وسجلتها لتعيش للأبد.

عندما تاه الجميع في معرفة أصل كلمة "الماسون" و"الماسونية" أراحت المعاجم نفسها وعَرفت الكلمة بأنها لفظ مجهول الأصل، ومعهم حق، فاللفظ موغل في القدم وآت من بلاد أكثر إيغالاً ويعني لا مساس، لا نمس أحدًا ولا أحد يمسنا، فنحن نبني في صمت.

ثم سادت واشتهرت كلمة "نبني" وانتقلت لكل لغات العالم ففي الإنجليزية Mason والفرنسية Macon والألمانية mason... وكلها بنفس المعنى "البناؤون".

* * *

كتب السامري: وقفتُ أمام عبارة: **﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ﴾**

وتساءلتُ هل لي موعدًا للقيام بأشياء أخرى؟ هل أنا فوق البشر؟ أم أن لي تعاليم ستُخلد. كلمة اذهب قيلت من قبل لإبليس وكانت أيضًا بعد عملية خلق، فقد قيل لإبليس:

اقتباس: **﴿اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورا﴾ ٦٣ الإسراء**

وقيل لي: **﴿... فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾ ٩٧ طه**

إبليس له في جهنم جزاء، وأنا لي في الحياة أن أقول لا مساس!

ولا أعرف لماذا اعتبر البعض جملة "فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ" عقوبة موقعة عليّ وليست ميزة لي، إن لفظة "إن لك" تعني ميزة لك وليست عقوبة عليك، وسوف ترون هذا واضحًا في قوله تعالى "إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى"؛ وأيضا فهمتُ من عبارة: "أن تقول لا مساس" أنني أنا الذي سأقول لا مساس، لا يوجد أحد يجبرني، القرار قراري أنا وحدي، أنا فقط الذي سيقرر متى وأين سأقول وليس أحدًا غيري، وبالتالي "... فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ" هي ميزة لي وليست عقوبة.

(٩)

نشأت الماسونية عندما قلنا لا مساس، ولأن هذا كان أمرًا وإرادة عليا، تجاهل الله الموضوع برمته وعفى..

اقتباس: **﴿ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ﴾ ١٥٣ النساء**

عفى الله، ونشأت الماسونية بفضلي أنا السامري الحكيم الإيجبتي الساحر العليم والذي دائمًا آتي بسحر عظيم. وكثيرًا ما كنت أضحك عندما كنت أرى البعض ينسبني لمدينة السامرة لمجرد أن اسمي السامري، علمًا بأن تلك المدينة لم تكن قد نشأت بعد بل ما زال أمامها عشرات السنين قبل أن يضعوا أساس بنائها، كما تعجبت من الذين ينسبونني لبني إسرائيل.

أنا إيجبتي المولد والاسم والتكوين والتعليم، ففي لغتنا المقدسة:

سا: ابن

مر: الهرم

فيكون سامر هو ابن الهرم، والسامري هو الابن المنسوب للهرم. وبجانب اسمي واضح الاختلاف عن أسماء بني إسرائيل(١)، لم يقتلوني، عندما أمر موسى بني إسرائيل بقتل أنفسهم لأني لستُ منهم. فقد قال لهم:

﴿... فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ ٥٤ البقرة

سمعوا الكلام وقتلوا أنفسهم، هذا شأنهم، أما أنا فلم يمسسني سوء، فأنا لستُ منهم.

يؤكد "دستور الماسونية" الذي كُتب عام ١٧٢٣ (٢) المكون من

(١) الغريب أن الذين يهاجمون القرآن يقولون كيف يذكر القرآن السامري المنسوب إلى مدينة السامرة قبل إنشائها بعشرات السنين واعتبروها خطأً ورد في القرآن، لكن الآن تم تصحيح أحد المفاهيم المغلوطة، وسيأتي التصحيح تباعًا.

(٢) دستور الماسونية: كتب جيمس أندرسون (١٦٧٩ ـ ١٧٣٩) «دستور الماسونية» عام ١٧٢٣ وأعاد طبعه بنجامين فرانكلين بعد ١١ سنة في عام ١٧٣٤، وكان فرانكلين، وهو جد الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت، زعيمًا لمنظمة ماسونية فرع بنسلفانيا. كان الدستورعبارة عن ٤٠ صفحة من تاريخ الماسونية من عهد آدم ثم نوح، إبراهيم، موسى، داوود، سليمان، نبوخذ نصر، حتى الملك جيمس الأول ملك إنكلترا. وكل ما يهمنا من هذا الدستور أنه كان يحتوي على وصف تفصيلي لعجائب الدنيا السبع ويعتبرها إنجازات لعلم الهندسة، ورغم أن هذا الدستور لم يكن موفقًا عندما أشار إلى أن الماسونية بشكلها الغربي المعاصر هي امتداد للعهد القديم من الكتاب المقدس، إلا أنه وفق عندما قال إن اليهود الذين غادروا مصر مع موسى شيدوا أول مملكة للماسونيين، وإن موسى كان الخبير الماسوني الأعظم. ورغم أن الدستور لم يذكر ما الذي أخذه موسى واليهود في أثناء المغادرة، فإننا نعرف!

أربعين ٤٠ صفحة: أن "اليهود الذين غادروا مصر مع موسى شيدوا أول مملكة للماسونيين، وموسى كان الخبير الماسوني الأعظم". كل هذا صحيح لكن الخبير الماسوني الأعظم هو السامري وليس موسى، وربما وقع الدستور الماسوني في هذا الخطأ، لأن التوراة غطت تمامًا على السامري ولم تأت بذكر له ـ وهذا متبع في التوراة لإخفاء أي شيء حميد يخص بلادنا ـ فكما غطت على "حور" ولم تأت به إلا عرضًا، أخفت السامري تمامًا لدرجة أنها نسبت صناعة العجل الذهبي وسحر الصنعة إلى هارون.

* * *

نشأت جمعية "إيزيس السرية" في بلاد إيجبت القديمة، وتبدأ مراسم الالتحاق بها بالتحقق من أهليه المتقدم، وتنتهي بأن يشرب كأسا من "ماء النسيان" لينسلخ عن كل ماضيه ويبدأ حياته الجديدة عضوا في الجمعية، ثم يستعد لتلقي "الأسرار المقدسة"[1]، وكان أول خروج ونشر لأسرار "جمعية إيزيس السرية" في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وهو تقريبا زمن خروج السامري مع موسى من بلدة مصر. بعد ذلك انتشرت تلك التعاليم في سائر المدن القديمة مثل فينيقية (لبنان) وسوريا والهند واليونان وغيرها، وأصبحت تلك الأسرار أصلاً لجميع تعاليم المجامع السرية القديمة في العالم.

* * *

(١) جرجي زيدان (١٨٦١ ـ ١٩١٤) في بداية كتابه «تاريخ الماسونية العام»

(١٠)

السامري هو الحكيم المبجل والعالم الأعظم الذي اتبعه معظم بني إسرائيل، وخضع أمامه هارون، واحترمه موسى ولم يزد معه عن كلمة اذهب، فذهب مع أتباعه "الماسون" وأسس الماسونية، ثم شيد الماسون مملكتهم المقفلة ولجأ إليهم سرًا كل أنبياء بني إسرائيل.

أصبحنا نحن الماسون البنائين الإيجبتيين سادة وحكماء العالم جماعة مقفلة، نتحدث فيما بيننا بلغتنا ونستخدم رموزنا القديمة، **أنشأنا** مجموعة من العقائد الأخلاقية التي **تدعو إلى تقدم البشرية، تحت رمز ماعت التي تعني العدالة** والحرية والمساواة، وطبقنا هذه المبادئ على شكل طقوس بتسلسل محكم في الدرجات، وكل درجة لها حد أعلى من المعرفة والفنون والمعتقدات، وتعاليم سرية ومعارف محظورة على غيرنا، ويتدرج العضو فيها من مرتبة مبتدئ إلى مرتبة خبير وهذا التدرج يعتمد على قدرة العضو على إدراك الحقيقة.

احتفظنا بأسرارنا، لكننا كتبناها بطريقة مبهمة ومشفرة على كل بناء، فنحن نصنع فن، فن دمج وتداخل الظاهر بالباطن بصيغ وقوانين يقتصر تعلمها على بيوت الحياة في معابد بلادنا، أكدنا رموز القوة لتمكين السيطرة برسم أشكال ووضع رموز تعمدنا تأكيدها في كل ما نفعل، فالرموز تعبير عن جوهر وكوامن النفس وسبيل الحكماء لتخليد الحكمة.

دامت مبانينا لأننا راعينا إيقاعات الحياة (Rhythm) وزوايا الكواكب والتناغم والانسجام(Harmony) في بنائها، كما راعيناها بين المباني وبين مكونات الإنسان والمكان المحيط، فتم الربط بين جسد الإنسان وروحه وبين المنزل والمعبد والكون كله؛ حافظ الماسون على تلك العلوم الباطنية وأخفوها بإحاطتها بسياج متين من السرية والكتمان، وكرروا ذكرها في مجالسهم ومحافلهم وكتبوها في كتبهم دون أن يشيروا لمصدرها الأصلي، لهذا لم يفهم الآخرون كامل المغزى والمعنى الباطني من الكلمات والمفاهيم؛ لذا تجد المؤرخين والكتَّاب ينسبونهم مرة إلى باطنية إدريس ومرة إلى باطنية فيثاغورس ومرة إلى الغنوصية ومرات إلى علوم الكابالا، وكل نسب به جزء من الحقيقة التي تنم عن أصول باطنية مرت بأطوار عديدة.

* * *

انتسب فيثاغورس لجمعية سرية، واكتسب القدر المستطاع من المعرفة التي كانت متوافرة في بلاده اليونان، لم يقنع بما اكتسب من الأسرار وأراد المزيد، فسافر إلى بلاد أرض الإله إيجبت، وحاول الانتساب إلى جمعية إيزيس السرية بمدينة طيبة، فشل أكثر من مرة وبعد عدة محاولات سُمح له بالانتساب ـ وهذا من حُسن الحظ ـ لأن معظم طقوس جمعية إيزيس ومعظم طقوس الجمعيات المندثرة حول العالم قد تم حفظها على يد فيثاغورس. ذلك لأنه بعد عودته لبلاد الإغريق أسس جمعية سماها (الإخوان الفيثاغوريين) بصورة مطابقة لتعاليم جمعية إيزيس بذات الصبغة الدينية المتصوفة، وبنفس التعاليم السرية لا يعرفها إلا أعضاؤها، وبدرجات عضوية تتناسب مع ما يتلقونه من علوم سرية، وقد اهتم هو بعلوم أسرار الأعداد وخواصها والرياضيات والهندسة بوجة عام.

* * *

أخفينا نحن الماسون العلوم الباطنية وأظهرنا مظاهرها، وهي الأشكال الظاهرة للأدوات القديمة التي كانت تستخدم في البناء مثل: الكتاب، والبرجل، والزاوية، والذراع، والقدوم، والإزميل، والميزان، والخيط، والمسطرة وحجرًا منحوتًا وآخر غير منحوت وغيرها.

لكن أهم تلك الرموز وضعناها في لوجو واحد يحتوي على: الزاوية القائمة والبرجل وحرف G، الزاوية القائمة هي مسطرة المعماري والبرجل أداة قياس المهندس، واتحاد الزاوية مع البرجل رمز له معنى ظاهري بسيط يدل على حرفة البناء، ومعنى باطني بعيد يدل على علاقة الخالق بالمخلوق، فيرمز إلى زاويتين متقابلتين، الأولى ٩٠ درجة وتتجه من أسفل إلى أعلى وترمز إلى علاقة الأرض بالسماء، والأخرى ٥٢,٥ درجة وتتجة من أعلى إلى أسفل لتدل على علاقة السماء بالأرض.

الدرجة ٩٠ هي درجة الثبات وهي الزاوية التي تدعم البناء الرأسي وتجعله متينًا دون ميل، أما الدرجة ٥٢,٥ فهي درجة ميل وجه الهرم الأكبر على الأرض!

ومن هذا التداخل ظهرت النجمة السداسية التي ترمز إلى اتحاد السماء مع الأرض، ولا علاقة لها بداوود النبي، أو بنجمته التي يطلقون عليها نجمة داوود، أما حرف G فقد قالوا إنه يرمز للهندسة جيومتري، وقالوا إنه يرمز لإله الكون الأعظم God، كل هذا جائز وجائز أيضًا إنه يرمز إلى إله الأرض "جب" الذي اشتقت منه "إيجبت" أرض الإله.

إنها رموزنا وحان الوقت لترد إلينا.



توجد لوحة جدارية معلقة على جدران كنيسة الأنبا "ريوس" ببطريكية الأقباط الأرثوذكس بالعباسية، وهي لوحة رسمها الفنان المصري "إيزاك فانوس" للأب باخوم، الذي عاش حياته ما بين (٢٩٢ م إلى ٣٤٧ م) وهو يمسك بيده اليسرى لفائف من الكتاب المقدس وبيده اليمنى الزاوية والبرجل، وكتب تحتها بالقبطية "الأب باخوم أبو المديرية"، لم تمر اللوحة مرور الكرام فقد أثارت العديد من علامات الاستفهام، فمنذ متى كانت الزاوية والبرجل من رموز المسيحية؟ لكن المؤكد أن تلك الرموز من أهم الرموز الماسونية، فلماذا تذكرها الفنان الإيجبتي ووضعها في اليد اليمنى للأب باخوم ووضع في اليسرى لفافة الكتاب المقدس؟

لم يكتف الفنان "إيزاك فانوس" بهذه الصورة، فقد رسم صورة أخرى مصورة في كنيسة العذراء الأرثوذكسية التي تخدم المصريين المقيمين في ولاية لوس أنجلوس، بالولايات المتحدة الأميركية، تمثل الأب كيرلس ـ بطريرك الإسكندرية في الفترة من (٣٨٤م إلى ٤١٢م) ـ وهو يتكئ على عمود، وهذا تقليد غير متبع عند تصوير القديسين

في الفن المسيحي، لكنه من أساسيات تصوير الأساتذة في الماسونية.

لم يكتف الفنانون الإيجبتيون برسم رموز الحكمة الماسونية في الكنائس، بل رسموها أيضا داخل المساجد، فابن طولون حين شرع في بناء جامعه المشهور كلف مهندسا مسيحيا ماسونيا ببنائه، فبناه المهندس أقرب إلى الهندسة الماسونية، فجاء الجامع ناطقا بالرموز والشعارات الماسونية. وننقل عن شهادة المؤرخين المسلمين أمثال المقريزي وعبد العزيز جمال الدين وغيرهم، أن ابن طولون قد فكر في بناء جامع لا تأتي عليه النار ولا تهدمه الفيضانات، فإن احترقت مصر لم يحترق وإن غرقت لم يغرق، ويكون أعظم ما بني في مصر من الجوامع، بحيث يقيمه على ٣٠٠ عمود من الرخام، فقيل له إن مثل هذا العدد من الأعمدة لا يمكن الحصول عليه إلا إذا هدمت كنائس ومعابد النصارى، وعلم ابن طولون بعدم جواز استعمال أدوات مسروقة في بناء الجوامع، فشق ثيابه وأيقن باستحالة بناء الجامع، وحدث في هذه الأثناء أن مهندسًا قبطيًا مسيحيًا من الشرقية، يدعى سعيد بن كاتب الفرغاني، قد علم وهو في سجنه عن رغبة الخليفة ابن طولون في بناء الجامع، فكتب الفرغاني إليه وهو في سجنه يقول له إنه قادر على إتمام بناء الجامع بغير احتياج لأكثر من عمودين يجعلها في القبلة، فلما قرأ ابن طولون رسالة المهندس القبطي تذكره (فقد سبق وصمم مقياس النيل بالروضة لتوصيل المياه إلى المدينة التي بناها الخليفة أحمد بن طولون. وكانت القناة التي شيّدها محل إعجاب ودهشة الجميع) وعهد إليه في بناء الجامع بالكيفية التي رسمها، فاستعان ببعض البنائين الأوروبيين الذين وصفهم بالأعزاء، اتضح فيما بعد أنهم من الماسونيين الهاربين من بطش سلطات دينية في بلادهم. وحقق المهندس المصري مع البنائين الماسون رغبة بن طولون،

وبنوا هذا المسجد العظيم من الطوب الأحمر ورفعوه على أساسين من نفس النوع، ولم يدخل في بنائه أعمدة الرخام سوى عمودي القبلة.

إن الماسونية لم تغادر بلادنا ولو للحظة واحدة، إنها جزء من ثقافتنا تعشش في عقلنا الباطن وتخرج بين لحظة وأخرى، ويتم تسليم مبادئها لمن تثبت كفاءته فعلا.





الزاوية والبرجل وعمودا القبلة من أهم رموز الماسون

وسنلاحظ أن الصليب المرسوم على الرأس هو الصليب الإيجبتي متساوي الأضلاع، وليس الصليب الروماني ذا القامة الطويلة والذي كان يستخدم للصلب والشائع في المسيحية.

(١١)

حور صديقي العزيز... حكيم عظيم، رفض الذهاب معي لتأسيس جماعة اللامساس ـ الماسون ـ وفضل البقاء مع موسى، ورغم أن اسم "حور" اسم إيجبتي صميم ومتفرد في بلادنا ولا يمت بصلة لبني إسرائيل، ولا توجد شبهة في أن يكون عربيًا أو عبريًا، فإن أحدًا لم ينتبه لهذا الرجل الآتي من أرض الإله "إيجبت" والذي أصبح بعلمه من أهم الشخصيات القوية قربًا لموسى، فقد كان على قدم المساواة مع هارون النبي، وجعلهما موسى نائبين له، بحيث إن من كانت عنده مشكلة يتقدم لهما.

قال موسى لشيوخ بني إسرائيل:

"اجلسوا لنا ها هنا حتى نرجع إليكم وهو ذا هارون وحور معكم فمن كان صاحب دعوى فليتقدم إليهما" ١٤/ ٢٤ الخروج

اتخذ موسى وبنو إسرائيل من إقليم مصر بسيناء بيوتًا وجعلوها قبله وأقاموا الصلاة[١]، واستبشروا وأخذوا الكثير من حكمتنا وعلومنا، أراد موسى توجيه الشكر لبلادنا التي اتخذها قبلة لصلاته، فخلد ذكرى وجوده فيها وتعلمه في معابدها، ففرض على بني إسرائيل عادة ختان الذكور، تلك العادة المكتوبة باسمنا كملكية فكرية.

طقس ختان الذكور ـ فقط الذكور ـ مارسناه قبل عصر الأسرات،

---

(١) في القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٧ يونس

وسجلنا تفاصيله خطوة خطوة على جدران المعابد، وأكثر الصور وضوحًا على حوائط سقارة خلال الأسرة السادسة من الدولة القديمة.

كان إدريس نبي بلاد إيجبت مختونًا، لهذا أصبح على كل من يأتي لبلادنا، سواء نزل لعاصمتها أو ظل على مدن حدودها، أن يتختن مهما كان عمره، لذلك عندما جاء إبراهيم عليه السلام ونزل مدينة مصر بسيناء خلال الأسرة ١٣ ورأى عادة الختان، ففرضها على نفسه وعلى أتباعه، ورغم اقتراب إبراهيم من المئة عام فإنه تختن مع ابنه إسماعيل في نفس اليوم كما تقول التوراة:

"وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته، في ذلك اليوم ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه" تكوين١٧/ ٢٤

هرب موسى إلى مديان وهو شاب قوي يافع، وهنا كان لا بد أن يكون مختونًا بفرض أنه تربى ونشأ في بلاط حاكم بلادنا ـ حسب القصة التي روجوها ـ لكن عدم ختانه يحمل دليل تربيته ونشأته وسط جحافل الهكسوس المُرسل إليهم. لهذا وبمجرد ابتعاد موسى عن قومه وذهابه لمديان، أخذت زوجته سكينًا من الصوان وقامت بختانه، مثلما فعل جده إبراهيم تمامًا، الغريب أن تلك الجراحة ظلت تجري بسكين من الصوان رغم اكتشاف سكاكين المعدن مبكرًا، وظل سكين الصوان يستخدم طقوسيًا فيما يتعلق بشرائع السماء مثل الختان والذبائح المقدسة وعمليات تحنيط الموتى، مثلما هو مرسوم على جدران معابدنا القديمة، ألهذه الدرجة أصر موسى على اتباع تقاليدنا؟

بجانب تخليدهم لشعيرة الختان، خلدوا كل ما يخص مجال الكهانة

والعبادة والمعابد، فقد نقلوها حرفيًا:

١- الكاهن: هو المشرف الاجتماعي على تطبيق الشريعة والشعائر، وقد نقلوا عمله وهيئته كنسخة مصورة.

٢- تابوت العهد: هو صندوق أو خزانة يحتفظ فيها بالكتاب المقدس، وكان يُحمل في المواكب الدينية على أكتاف الكهنة. نقل بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر هذا التقليد الذي كان يتم في أيام الأعياد وفي كل المعابد، نقلوه طبق الأصل.

٣- الهيكل: وهو المعبد "بيت الله" وهي فكرتنا مئة في المئة ومن أهم مكوناته:

- بحيرة الوضوء.
- مذبح من الحجر.
- قبلة للصلاة.
- عمود مقدس.

أصبحت البنود الأربع السابقة المكون الأساسي لبيوت الله في الأديان الإبراهيمية الثلاثة، عدا الإسلام؛ فقد أخذ ثلاثة ونحّى المذبح، الوضوء والقبلة واضحتان، أما العمود المقدس فهو تقليد للمسلة، فقد كنا نقيم مسلتين عند مدخل كل معبد ونقل اليهود معهم تلك الأفكار وقدسوها، وكانت المسلة أساس المئذنة، التي انتقلت بعد ذلك للمسيحية، ثم للإسلام، فقد ظلت مساجد المسلمين دون مآذن حتى زمن مسلمة بن مخلد الأنصاري الذي حكم بلادنا من قِبل معاوية، ورأى المسلة، وسألنا عن مغزاها الديني، فشرحنا له وأفهمناه، ومن يومها أصبحت من أساسيات المساجد.

إذا نظرنا إلى كنائس العهد الجديد (المسيحية) سنجدها لا تختلف كثيرا عن هيكل العهد القديم (اليهودية) فالله هو الذي أمر ببناء الكنائس وهو الذي وضع تصميمها الأول وأعطاه لموسى (خر ٢٥)، (عب ٨: ٥)، وكذلك صنع سليمان الهيكل حسب المثال الذي أعطاه الله لداوود أبيه بالروح (أي ٢٨: ١١، ١٢، ١٩) وتحتوي كل المعابد تقريبًا على نفس المحتويات ألا فيما تقتضيه روح العبادة. ويهمنا منها ما يلي:

- **الهيكل**: وتعني بالقبطية المكان الذي صار سماء، وهو يمثل ويماثل تمامًا قدس الأقداس، بل يمثل السماء عينها.
- **المذبح**: ويقع في وسط الهيكل.
- عمود الشمعدان: يوجد عمود شمعدان يمين المذبح وآخر شمال المذبح، وهما يحلان مكان المسلتين ومكان "بن بن" وكل شمعدان يمثل ملاكًا.
- **الشرقية**: هي أنحناء نصف دائري في الحائط الشرقي للهيكل، لتدل المسيحيين على اتجاه الصلاة، إنها الناووس الذي يحل فيه الإله، إنها حضن الله المفتوح للعالم، ورسم فيه المسيحيون أيقونة السيد المسيح الجالس على العرش، ثم أصبح القبلة التي تؤخذ لتشير إلى اتجاه الصلاة عند المسلمين، ورسم فيه المسلمون كلمة الله.

ولأن مساجد الإسلام لا يوجد بها مذبح وجدنا العمودين قد انتقلا من يمين وشمال مدخل بيت الرب، إلى يمين وشمال القبلة.

انتقلت كل الطقوس والشعائر بل والزينة والملابس والنظام العسكري، ونظام الضرائب، ونظام التعداد السكاني؛ نقلوا كل شيء وقلدوه بحذافيره، ثم كفّرونا.

(١٢)

كيف بنيت مملكتك يا سليمان؟

سؤال خبيث بدأ به السامري فصلاً جديدًا من كتابه، إنه يتكلم كما لو كان حاضرًا مع الحاضرين ويرى ما لا يرون، يقول السامري: غرق الماسون في علوم الباطن وتكنولوجيا الظاهر، وغرق سليمان الحكيم في بردياتنا وأسرار علومنا وحكمتنا، لهذا لم يتردد سليمان عندما فكر في بناء دولة مستقرة متحضرة أن يسعى لمصاهرة حاكم بلاد الماسون، ووافق الملك وأصبحت ابنة إيجبت سيدة إسرائيل وزوجة ملكها. وضمن سليمان وصول المزيد من المعونة العلمية والهندسية من الحكماء الإيجبتيين، هذا طبعًا بجانب أعداد كبيرة منهم من أحفاد السامري كانت تقيم بالفعل في بلاده منذ أيام موسى، كل هؤلاء خلاف النخبة "الذين عندهم علم من الكتاب". وبدأ سليمان في بناء مملكته الغامضة.

تم بناء معبد وهيكل سليمان بتصميمنا وطريقتنا في البناء، وهو بالضبط ما وصفته التوراة في سفر الملوك:

(سخر الملك سليمان ثلاثين ألف رجل من بني إسرائيل لأعمال السخرة من قطع ونقل الحجارة وتقديمها، لينحتها بناؤو سليمان وبناؤو حيرام، كما هيأوا الخشب والحجارة)[1].

وسوف نلاحظ أنه عندما تكلمت التوراة عن المسخرين قالت من بني إسرائيل، وعندما تكلمت عن البنائين قالت "بناؤو سليمان"، أي الذي جلبهم من خارج بني إسرائيل لحسابه، فلم يُعرف عن سليمان أو حيرام أو عن أي من العبرانيين والعرب أنهم أقاموا بناء أو حائط من الطوب، لا من قبل الهيكل ولا من بعده[2].

أمر سليمان بتهيئة قدس الأقداس بالذهب، وصنع مذبحًا للمحراب وملأ البيت بتماثيل وصور الملائكة وقد غشاها بالذهب، وصنع للمحراب بابًا بمصراعين، ولم ينس أن ينقش على الباب صورة للملاك الحارس[3].

(١) **(وسخّر الملك من جميع إسرائيل وكانت السُخْر ثلاثين ألف رجل... يقدمون حجارة كبيرة، حجارة كريمة لتأسيس البيت، حجارة مربعة نحتها بناؤو سليمان وبناؤو حيرام «من صور» وهيأوا الخشب والحجارة لبناء البيت)** سفر الملوك أول إصحاح ٥ : ٣ – ١٨

(٢) مسحت إسرائيل كل سطح مدينة القدس ولم تجد أي مبنى، وجرفت كل باطن الأرض ولم تجد أي أثر أو تمثال أو حتى كوب ماء صنعوه من أي حجم أو نوع، لا يوجد شيء البتة يدل على حضارة أو صناعة لأي شيء، وإلا كانت قد ملأت الدنيا صراخًا وفخرًا وانتسابًا.

(٣) **(وهيأ محرابا أي قدس أقداس ليضع تابوت عهد الرب.. وغشاه بذهب خالص.. وغشى سليمان البيت من الداخل بذهب خالص.. وسد بسلاسل ذهب قُدام المحراب وغشاه بذهب وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل بيت وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب وعمل في المحراب كروبين (أي ملائكة) من خشب الزيتون علو الواحد عشرة أذرع وخمسة أذرع جناح الكروب الواحد، وخمسة أذرع جناح الكروب الآخر، عشرة أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه، وعشرة أذرع للكروب الآخر قياس واحد وشكل واحد للكروبين وغشّى الكروبين بذهب، وجميع حيطان البيت رسمها نقشا بنقر كروبيم (ملائكة بحفر بارز) ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج. وغشى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج، وعمل لباب المحراب مصراعين ورسم بينهما نقشًا كروبيم ونخيل ووضع الكروبيم والخيل بذهب)** سفر الملوك أول ٦ : ١٩ – ٢٢

باختصار نحن أمام معبد ينتسب لحضارة بلادنا "إيجبت"... تابوت ومذبح وقدس أقداس على بابه سلاسل ذهب، وتماثيل وصور لملائكة منقوشة ومرة محفورة ومرات بأجنحة مغشاة بالذهب. فلو كان الذين بنوا هذا المعبد من عشيرة سليمان لما أقاموا (التماثيل) المحرمة والمحظورة في نصوص التوراة. أما ولأن المهندسين والبنائين من أهلنا أهل إيجبت، فلم يلتفتوا إلى هذا الحظر في التوراة.

خططنا بالقلم ووضعنا حجر على حجر فتطورت تكنولوجيا البناء من قطع وصقل وتنعيم ودفع ورفع، وتطورت علوم الهندسة والرياضيات والميكانيكا والفيزيقا، وربطنا كل هذا بأوقات فلكية وعلوم باطنية فظهر الإبداع.

ظهر الإبداع عندما استخدمنا تكنولوجيا عالية خاصة بنا لا يعرفها غيرنا، وما زالت مجهولة لليوم، وقد أشارت إليها التوراة بقولها:

(ولم يُسمع في البيت عند بنائه نحت ولا معول ولا أداة من حديد)
سفر الملوك أول ٦

دون صوت ولا أداة من حديد، قطعنا وصقلنا وحفرنا ونقشنا بعلومنا وفنوننا، موجات صوتية ربما، ما يشبه أشعة ليزر ربما، لكنها في النهاية أسرار تكنولوجية من صميم امتيازاتنا الضاربة في القدم والمولعة في السرية والخبرة والمعرفة الغامضة، كنا من البراعة لدرجة أن أعمالنا كانت تثير دهشة من يراها فيعتبرها من أعمال الجن، ويعتقد البعض أن القرآن نفسه قد أطلق على علمائنا لفظ الجن.

اقتباس: **﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه... يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل...﴾** ١٢:١٣ **الإسراء**

عملنا لسليمان ما شاء من محاريب وتماثيل، المحاريب جمع محراب حيث قدس الأقداس، والتماثيل غير الأوثان والأصنام، إنها شيء آخر ثالث غير محرم، عملنا بعقولنا وأيدينا، لأنه لم يعرف عن الجن المخلوق من مارج من نار أنه يعقل أو يقوم بالبناء.

صنعنا لسليمان تماثيل على شكل الملائكة، وكان طبيعيًا ـ كما هي الحال طوال حضارتنا القديمة ـ أن تقام التماثيل للتعبير عن مسميات الملائكة وصفات الأسماء الحسنى، ذلك من ناحيتين: الأولى عدم شيوع وسهولة استعمال الكتابة، والثانية عدم تحريم صناعة التماثيل، فهي مباحة وإلا كان من الأولى أن تحرم على سليمان، لنبوته ووجوب تنزيهه عن الخطأ إن كان هناك خطأ.

صنعنا لأنفسنا قديمًا، ولسليمان من بعدنا، ملائكة على هيئة الطيور والحيوانات، وهي أيضًا لا ضير منها، فالتراث الإسلامي ممتلئ بأوصاف للملائكة لا تختلف عما رسمنا ومثلنا.

اقتباس: **﴿جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء﴾** ١ **فاطر**

وسـوف تجد في كتاب "الحبائك في أخبـار الملائك" لجلال الدين السيوطى ما يثير الدهشة:

اقتباس: **﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾** ١٧ **الحاقة**

يعني ثمانية ملائكة على صورة الأوعال (الكباش)

ومما هو منسوب للرسول ﷺ: "أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللـه من حمله العرش، رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش".

ـ "إن من حملة العرش أربعة أملاك: ملك على صورة ابن آدم، وملك على صورة الأسد، وملك على صورة الثور، وملك على صورة النسر".

* * *

في حياة سليمان كان يوجد في معبده تمثال للإله شيروبيم، وكان على شكل آدمي مجنح برأس عجل من البرونز، كما كان يوجد تمثالان كبيران لنفس هذا الإله في قدس الأقداس بالمعبد، هذا ما أكدته التوراة. وبعد موت سليمان حدث تراجع في الديانة ونكسة كاملة وردة، وانقسمت مملكة يهوذا وانقسم الأسباط الاثنا عشر، ذهب مع رحبعام بن سليمان سبطان هما سبط يهوذا وسبط لاوي ـ وهؤلاء احتفظوا باسم (أورشليم) عاصمة لمملكتهم. بينما ذهب مع يربعام باقي مملكة إسرائيل المكونة من عشرة أسباط، ولكي يضمن يربعام انتماءهم له منع ذهاب شعب إسرائيل إلى أورشليم للحج حيث يوجد الهيكل، وعمل لهم عجلين من الذهب ـ وقال لهم لا حاجة لكم للذهاب إلى أورشليم ـ هذه آلهتكم يا إسرائيل التي أخرجتكم من مصر، وأقام كهنة من لفيف الشعب لإقامة شعائر العبادة (١ ملوك ١٢ : ٢٥ ـ ٣٣)

بعد ذلك بنيت السامرة، وصارت عاصمة مملكة إسرائيل إلي زمن السبي، ثم جاء الملك (عُمْرِي) ومن بعده جاء ابنه (أخاب) وأقام

فيها مذبحًا للبعل في معبده الكبير، فصارت السامرة منذ البدء مدينة وثنية (٢ ملوك ١٠ : ١٨ ـ ٢٨)

ورغم الثورة التي قام بها (ياهو) والتي قتل فيها جميع عبدة البعل، فإن الوثنية عادت واستفحلت في السامرة. (هوشع ٤:٨ ـ ٦)، (عاموس ١٤:٨).

* * *

(١٣)

الست في معبد العزة انها الأم العظمى "عِزت" كما أسميناها نحن الإيجبتيين، وهو اسم شائع حتى اليوم، وأطلق عليها القرآن نفس الاسم عِزة[1]، وأصبحت باليونانية إيزيس فقد تحولت العين المكسورة إلى (إ) والسين زائدة يونانية شائعة.

كان لإيزيس مسحة إنسانية، فهي زوجة مخلصة وأم حامية تربي ابنها اليتيم وتساعد المحتاج، وعندما جاءت المسيحية إلى بلادنا أنزلنا روح إيزيس على العذراء مريم ودمجنا بينهما، فكلاهما كانت عذراء حملت من الروح القدس وقامت بتربية ابنها اليتيم الذي ليس له أب، وأطلقنا على مريم نفس ألقاب إيزيس أم المساكين وأم اليتامى، فالمسكين واليتيم يصيح قائلاً "يا عدرا ساعديني يا أمّة"، ثم جاء الاسلام وبحثنا فيمن أتوا به عن سيدة وأُم، ووجنا زينب حاملة

(١) أهم ثلاث آلهة كانت عند الكعبة ﴿**أفرايتم اللات والعزي ومناة الثالثة الأخرى**﴾ النجم.

رأس أخيها الحسين، فأصبحت دون تردد أم المساكين وأم اليتامى.

جلست السيدة إيزيس على كرسي حامله ابنها حور وهي ترضعه، وعلى رأسها تاج قرص الشمس مكونًا هالة من النور وأصبحت إيزيس السيدة أم النور، وانتقلت الصورة بحذافيرها للعذراء مريم وهي حاملة ابنها المسيح وفوق رأسها هالة من النور، وأصبحت أم النور، وبمجرد وصول السيدة زينب أصبحت أيضًا السيدة أم النور.

كانت إيزيس طاهرة ومريم طاهرة، فكان لا بد أن تسمى زينب أيضًا بالطاهرة، ومثلما جمعت إيزيس أشلاء زوجها (أوزوريس سيد الشهداء) وحملت مريم جسد ابنها (الشهيد يسوع المسيح)، حملت زينب رأس أخيها (الحسين سيد شهداء أهل الجنة). بحثنا دائمًا عن الأم، خاصة الأم الأرملة، وجعلنا اسمها مشتركًا بيننا، وذهبنا حاملين أدياننا لمُولد الأم الأرملة، دعونا وابتهلنا، ولن تستطيع التفرقة لأنك لن تجد السيدة إيزيس ولا السيدة العذراء ولا السيدة زينب، فقط ستجد "الست".

ست الديوان... لما كان أوزوريس رئيس ديوان محكمة السماء، جعلنا من زوجته إيزيس رئيسة الديوان الأرضي، وكان لا بد أن تصبح زينب أيضًا رئيسة لديوان، فصنعنا لها ديوانًا في مسجد الإمام الشافعي، حيث تنعقد جلسة محكمة باطنية كل يوم ثلاثاء تكون فيها السيدة زينب هي رئيسة الديوان.

هكذا دمجنا ثلاث سيدات في "ست" واحدة داخل وجدان شعب يقبل بتعدد الأديان والثقافات؛ في بلادنا الديانة اليهودية موجودة والمسيحية منتشرة والإسلام سائد، لكن شعبية إيزيس أتت بالرضا

والسلام الروحي، لهذا استمرت حتى اليوم ولو في صورة أخرى.

كان لإيزيس عيدان في السنة في شهري مارس ونوفمبر، ولسبب غير معروف احتفلنا بعيد الأم في شهر مارس.

(١٤)

على أنقاض ست الستات بنوا معابدهم، فقد ظهرت الست الأولى منذ أكثر من ٦٢٤١ عامًا، ولو اتبعنا التقويم التوراتي سيكون ظهورها قبل خلق العالم، ظلت شعبية إيزيس طاغية على مدار أربعة آلاف عام، وعندما جاء الاحتلال الإغريقي لبلادنا ارتفع شأنها باعتبارها الزوجة الوفية والأم الحنون، وبنوا لها معبد أنس الوجود الشهير في جزيرة فيلة بأسوان.

ظلت إيزيس سيدة العالم تتلقى التكريم من كل الشعوب، ففي قصتها الحنو والرأفة، وفي طقوسها رقّة، ويسود معابدها جو مرح خالٍ من العنف، وكهنتها حليقو الشعر بثياب بيضاء، تقام صلواتهم في هدوء المساء مع ألحان موسيقية مؤثرة، الترحيب بالناس جميعًا وإدخال السرور على قلوبهم على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم جزء من العقيدة.

انخفض سلطان إيزيس مع بداية ظهور المسيحية، لكنه لم يتدهور، ذلك لأن المسيحيين من أهل بلادنا اختلفوا عن مسيحيي العالم، ولأن عندنا أصل كل شيء، اختاروا المذهب السوي، المذهب المستقيم (الأرثوذكسي) ذلك المذهب الذي يتميز بأمرين، الأول الاعتقاد

في الأسرار المقدسة وفي فاعليتها بمجرد أدائها، والأمر الثاني تقديس السيدة العذراء[1]، لهذا ظهرت كنائس خاصة بعبادة العذراء. ثم تدخل الشعب كله وأخرج ما في مخازن ماضيه وعقله الباطن وعمل الأمر الثالث وأدمج ايزيس والعذراء في شخصية واحدة طغت على كل الكنائس، وعادت إيزيس للتوهج في ثياب العذراء. لدرجة أن كنيسة بلاد إيزيس الأرثوذكسية القبطية تقوم لليوم بعمل نهضات بالكنائس باسم العذراء، بحيث يكون كل التركيز والاهتمام فيها بشخص العذراء، بل ويقومون بكل مظاهر العبادة مثل إيقاد الشموع لها والتبخير أمامها، وطلب المعونة منها وتقديم التشفعات باسمها، وعمل تماجيد وتسابيح صلاة وسجود لنيل المغفرة، تمامًا كما كان يحدث على مر الزمان.

طغى سحر إيزيس لدرجة أن أسلاف البجاويين والبشارين والعبابدة عندما استولوا على النوبة في منتصف القرن الثالث الميلادي، خضعوا لسحر إيزيس فعبدوها وبسطوا حمايتهم على معبدها في جزيرة فيلة، ورغم مرسوم ثيودوسيوس القاضي بغلق المعابد، بقي تمثال إيزيس مرفوع الرأس في مواجهة المسيح الظافر. إلى أن جاء أسقف أسوان تيودوروس فدك مذبح إيزيس وحول معبدها إلى كنيسة.[2]

* * *

في منطقة مصر القديمة بالقاهرة يوجد معبد إيزيس القديم الذي أضاء الدنيا إضاءة روحانية عالية، وكان يوجد على باب هذا المعبد تمثال ضخم للربة إيزيس، يحكي لنا المقريزي عن أبي الهول

(١) هذان الأمران أوردهما المفكر الكبير طلعت رضوان بجريدة وطني ٤/ ٧/ ٢٠١٧

(٢) د. حسين فوزي كتاب سندباد مصري ص ٢٦٨

الموجود غرب النيل وينظر ناحية الشرق، ويقابله في الناحية الأخرى من النيل تمثال عظيم الخلقة والهيئة لسيدة في حجرها مولود وعلى رأسها ماجور، ويقال إنه لو وضع على رأس أبي الهول خيط ومدّ على استقامته لوصل إلى رأس السيدة التي تنظر أيضًا ناحية الشرق، وذات يوم جاء أحد الأمراء مع بعض الحجارين وكسروا تمثال السيدة وقطعوه أعتابا وقواعد ظنا أن تحته مالاً. واضح من كلام المقريزي أن التمثال لإيزيس وهي تحمل ابنها حورس، وعلى رأسها رمزها الخالد الذي ظنه الناس ماجورًا.

يذكر كزانوفا (١٨٦١ ـ ١٩٢٦) وهو أحد أعضاء جمعية الآثار المصرية في القاهرة، أنه "تحدثت الكتابات الهيروغليفية عن هيكل كان يوجد ليس ببعيد عن حصن بابليون، وفي هذا الهيكل كان كهنة القبط (قبل الأديان الإبراهيمية) يفكون وثاق العجل أبيس ليستريح برهة في أثناء مسيرته من منف إلى عين شمس، التي كانت تسمى أون، وأطلقوا على هذا المكان (بي أبين أون) أي مقام أبيس في طريقه إلى أون، فحرف اليونان الاسم وجعلوه (بابليون)[١]

وتمر الأيام ويقام في نفس المكان بجوار إيزيس معبد لليهود شبيه بهيكل أورشليم، بني نحو ٦٠ ق.م[٢] وإن مجمع اليهود القائم الآن في هذه البقعة والمعروف بمجمع بن عزرا والذي بني نحو ١١٥٠ لميلاد المسيح، كان قبل ذلك كنيسة باسم رئيس الملائكة ميخائيل، وهذه الكنيسة قد أقيمت في الموقع نفسه الذي كان يقوم عليه مجمع يهودي

(١) انظر كتاب تاريخ الأمة القبطية في عصري الوثنية والمسيحية لسليم سليمان صفحة ٢٦٧و٢٦٨.

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسي القمص صفحة ٤

آخر أقدم عهدا. وهذا المجمع بدوره كان قد شيد في المكان نفسه الذي وعظ فيه النبي إرميا عندما جاء إلى مصر. (إرميا ٤٣ :٦و٧)، وازداد المكان نورا.

وإلى نفس المنطقة ونفس المكان ـ بجوار إيزيس ـ جاءت السيدة مريم وعلى كتفها السيد يسوع المسيح، واختبأت ثلاثة أشهر في مغارة بنيت فوقها كنيسة أبي سرجة، وقبل أن تمتلئ المنطقة كلها كنائس، لبست العذراء تاج إيزيس وتلبست روح حورس جسد يسوع المسيح، ويزداد المكان نورًا فوق نور. وأخيرًا وبترتيب من السماء دون تدخل بشر، يسطع نور آخر ويتوهج في نفس المكان بإقامة أول مسجد في الإسلام بأرض الإله إيجبت.

كل هذه المعابد والأنوار أتت طواعية لتكون بجوار إيزيس، في دائرة عاصمة بلاد إيجبت الأسطورية "منف".

* * *

صارت الربة إيزيس أكثر الأرباب انتشارا وانتقلت لأوروبا وأصبحت حامية الملاحة والملاحين، ففي القرن الرابع ق.م أنشئ معبد لها في ميناء بيريه اليوناني، ثم في جزيرة رودس وجزيرة لبسوس وتيرا وميناء أزمير وجزر بحر إيجه وموانئ اليونان وآسيا الصغرى، وانتشرت في جزيرة قبرص وصقلية وإنطاكية وأثينا. ومع مجيء الرومان غزت إيزيس إيطاليا، وبدأت معابدها تظهر وتنتشر، فقد تم بناء معبد في ميناء بوزول ثم معبد في بومبي ثم معبد في قلب روما في عهد الديكتاتور سيلا، ثم معبد آخر كبير أقامه الإمبراطور كاليجولا في ساحة مارس بقلب روما، قام بعده الإمبراطور دوميسيين بزخرفته

وأضاف عليه، وفي عهده أيضا أقام لوسيليوس قصرا لإيزيس في مدينة بنتفيان وأقام أمامه مسلتين. وفي القرن الثاني الميلادي أصبحت إيزيس معبودة الرومان. ولأنها خالدة ذات مسحة إنسانية فهي الزوجة المخلصة والأم الحامية، الأم التي تتعامل مع الموت والقيامة، الجدب والمطر، إنها دورة الحياة بما فيها من احتياجات روحية تتم بطقوس جذابة، وعلاقات مباشرة بين العبد والرب.

انتشرت معابد إيزيس في كل الدنيا محتفظة بطابعها الإيجبتي (المصري) دون تغيير. ففي بردية مشهورة من البهنسا ترجع إلى القرن الثاني الميلادي تم ذكر الأماكن التي انتشرت فيها عبادة إيزيس في أرجاء المعمورة. ذكرت البردية سبعًا وستين مدينة في الدلتا فقط، وخمسًا وخمسين مدينة في البلاد الأجنبية، تبدأ من الهند وبلاد العرب شرقا، إلى سينوب على البحر الأسود شمالاً، غطى سحر إيزيس الإمبراطورية الرومانية واسعة الأرجاء، وغطت معابدها كل شمال إفريقيا ووصلت إلى الدانوب في فرنسا وإنجلترا والألب وألمانيا، وأصبحت المرشد الروحي لأوروبا ولاهوتها العقائدي على مدار أكثر من خمسمئة عام؛ واستمر سلطانها.

كثف أحفاد السامري الماسون مع فرسان الهيكل من عمليات البناء، وابتدعوا تصميما جديدا للكنائس هو الطراز القوطي الذي يأخذ الشكل الدائري من الخارج ويأخذ رموز وأسرار معابد إيزيس من الداخل، لتكون هي المهيمنة وإن كانت غير ظاهرة، خاصة بعدما سمح لهم إنوسنت الثاني سنة ١١٣٩ ببناء كنائس خاصة بهم لا تخضع لسيطرة الأبرشيات والأسقفيات المحلية. وضع الفرسان لأنفسهم قواعد لتنظم شؤون الحياة اليومية تجعل من عملية البناء رسالة خالدة

لها طقوس وشروط ونمط حياة خاص، لقد فعلوا تمامًا نفس نمط حياة أجدادنا.

عندما تحرر العقل البشري من طغيان ظلام التحيز وسيطرة الكهنوت على قرون العصور الوسطى في أوروبا، تم اكتشاف العديد من الكنائس التي تم بناؤها على أنقاض معابد إيزيس التي كانت منتشرة في أنحاء العالم، فهناك كنيسة سانت سولبيس التي بنيت تمامًا على أنقاض معبد إيزيس، وللآن يوجد تمثال لإيزيس وابنها حورس داخل الكنيسة، ويوجد معهد لاهوتي ملحق بها له تاريخ غير تقليدي وليست له صلة أو ارتباط بالكنيسة أصلاً، وكثيرًا ما كان يستخدم كقاعة خفية لاستضافة جمعيات سرية.

وفي مدينة روما أقاموا كنيسة سانتا ماريا مباشرة فوق أساس معبد الربة إيزيس. كما تم العثور على مسلة مصرية مدفونة في حديقة دير الدومينيكان المجاورة للكنيسة، وتعرف المسلة باسم مسلة إيزيس كامبينسيس، ثم توالى على فترات زمنية مختلفة العثور على العديد من الأيقونات والمسلات الصغيرة بالقرب من الكنيسة، المسلات مسلاتنا والمعبد معبدنا، ونحن مغيبون.

أكثر من هذا، قاموا بتجسيد إيزيس أم الحكمة والمعرفة ومصدر الخصوبة وهي تحمل وليدها حورس، على شكل تمثال لسيدة سوداء تحمل بين يديها رضيعًا أسود، وهي التماثيل التي ظن الكاثوليك في أوروبا أن فرسان الهيكل أرادوا بها تحقير العذراء والمسيح، وظل هذا الاعتقاد سائدًا حتى القرن الثامن عشر، عندما تمت إزالة الغشاوة عن الأعين، واتضح أن هذه التماثيل هي تخليد لإيزيس في صورة مريم،

وما زال نحو خمسمئة تمثال منها قائما وتؤدى عندها طقوس العبادة المسيحية في كنائس أوروبا.

لم يتوقف عمل الماسون ـ البنائين الأحرار ـ على بناء الكنائس، بل والمساجد أيضًا، فالمهندسون الماسون كانوا يستوطنون القسطنطينية تحت حماية البيزنطيين، وعندما أراد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بناء المساجد الضخمة في دمشق والقدس والمدينة المنورة، استدعى هؤلاء البنائين الكبار لتشييد تلك المباني العملاقة مقابل مكافآت مجزية، ثم تغلغل البناؤون في المنطقة أكثر على يد العباسيين عندما عهد إليهم أبو جعفر المنصور بمهمة تشييد عاصمته بغداد، فأرسل إلى عماله في الكوفة وواسط والبصرة يطلب منهم إمداده بالبنائين والمهندسين. ويذكر ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ": *"ومن عادة البنائين إذا اتفقوا على بناء بلدة أو سور أو معبد يجعلون منازلهم من الخشب بجوار البناء، يقيمون فيه للطعام والرقاد والاجتماعات السرية ومحاسبة العمال، وكانوا لا يسمحون لأحد أن يدخل عليهم أو يطلع على أعمالهم،..."* وفي موضع آخر يقول: *"كان الأستاذ من البنائين يعمل يومه بقيراط فضة والروزكاري بحبتين"* .

معنى كلام ابن الأثير أنهم كانوا جمعية سرية تحتفظ بأسرار بناء الهياكل والصروح الضخمة، ولا يسمح للغرباء بالاطلاع عليها، ولن يغيب عنك الربط بين لفظ "أستاذ" الذي استخدمه ابن الأثير ولفظ الأستاذية لدى الماسون.

(١٥)

استولى فرسان الهيكل على أسرار العلوم المخفية وعلى المال والقوة والسلطان، ثم أعلنوا سيادتهم... وظهروا أكثر إشعاعًا وقوة من السيد، فغضب السيد "كليمنت الخامس" بابا الفاتيكان، وقرر القضاء عليهم بضربة واحدة والحصول على ما يملكون من أسرار وأموال، فتفتق ذهنه عن فكرة معادة ومكررة في الفكر المسيحي، فادعى رؤية الرب في الحلم وأنه حذره من فرسان الهيكل، وذلك لأنهم مجرمون لوطيون يعبدون الشيطان، وأمره أن يسحقهم ويطهر الأرض منهم، فأمر بإخراج لائحة اتهام لمحاكماتهم[١]، وأخرجوها فهي لائحة جاهزة لا تختلف عن اللوائح المعدة سلفًا والتي تستعين بها أي سلطة غاشمة، خاصة الدينية، للقضاء على عدو لها. أوعز البابا لملك فرنسا فيليب الرابع بالقضاء عليهم، فأجرى الملك حملة اعتقالات واسعه وأنشأ لهم محاكم خاصة أصدرت الحكم بإعدامهم جميعا.

ثم تفتق ذهنهم عن أهم الاتهامات، وهي تهمة "الخروج عن صحيح الدين" و"ما هو معلوم من الدين بالضرورة" وهو اتهام ميسور ومشهور في كل الأديان ويسهل تلفيقه وإثبات حدوثه، بجانب أنهم أنكروا

---

(١) جزء من لائحة الاتهامات تتضمن مزاولة السحر، وأنهم خلال حفلاتهم كانوا يبصقون على صورة المسيح وينكرون الرب، ويقبلون قائدهم في مواضع داعرة، ويعبدون رأسًا نحاسيًا ذا عينين من عقيق أحمر، ويجلسون في اجتماعاتهم مع قط أسود كبير ويضاجعون شيطانات، وليس لهم أي فكر ديني، هذا بجانب الهرطقة والفجور وعبادة الأوثان، والكلام مع الشيطان، وأكل رفات موتاهم، وتخصيب العذارى، والعديد من الأفعال الشاذة... إلى آخر تلك الاتهامات الساذجة الغبية.

يسوع المسيح وبصقوا على الصليب، أو اتفقوا مع المسلمين وأقاموا معاهدات معهم.

قضى عليهم الملك فيليب الرابع خلال الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ١٣ أكتوبر عام ١٣٠٧... ذلك اليوم صادف يوم ١٣ من الشهر القمري أي أن القمر كان بدرًا، يقول أصحاب العلوم الباطنية إنه إذا أتي يوم الجمعة ١٣ من الشهر القمري يخرج مصاصو الدماء والذئاب المتعطشة للدماء من جحورهم، ويكون هذا اليوم من أكثر الأيام دموية.

وبالفعل كان هذا اليوم شديد الدموية على عدد كبير من الفرسان الذين تم إغراقهم وإحراقهم وتلبيسهم الخوازيق، وهم أحياء ثم نهب ثرواتهم. ورغم أحلام البابا كليمنت ومذابح الملك فيليب، استطاعت مجموعات من الفرسان المحافظة على كنزهم العظيم وتهريبه لمكان آمن، فقد هربوا إلى إسكتلندا حيث رحب بهم الملك "روبرت بروس" Robert Bruce الذي كان الملك الوحيد في أوروبا الخارج عن إمرة البابا ونفوذه وسيطرته.

في إسكتلندا تقابل فرسان الهيكل مع حكماء الماسون، ليكتب التاريخ فصلاً جديدًا يبدأ من هناك.

ماسون إسكتلندا، هم أحفاد الماسون الذين تقابلوا مع أجداد فرسان الهيكل في القدس تحت أنقاض معبد سليمان، وهم أنفسهم الذين يمتلكون أصل وأصول الحكمة التي يمتلكها الفرسان. اندمج الاثنان وبهذا الاندماج عادت لهما القوة، ولم يكن ملك إسكتلندا يتمنى أكثر من هذا، وقرر الاستفادة من خبراتهم في الحروب الصليبية لتحرير بلاده من الاستعمار.

بحث الماسون عن قلعة روسلين، فقد كانت مبانيها ودهاليزها مناسبة لأن يخبئ فيها الماسون والفرسان أسرارهم ورموزهم، توجهوا إليها مباشرة، إنهم يعرفونها جيدًا، إنها البناء الغامض الذي بناه أجدادهم الماسون القدماء عام ١٣٠٣م في إسكتلندا على أنقاض معبد قديم لإله النور مثرا والذي كان قد بُني بدوره فوق أنقاض معبد لإيزيس، إنها إيزيس مرة أخرى، وأصبحت القلعة مقرًا لهم، وعاشوا في صمت وهدوء فقد كانوا يكرهون الكنيسة الكاثوليكية ويتجنبون الصدام معها.

وتمر السنون وفي مكان قريب من القلعة بنوا كنيسة أخذت نفس الاسم "روزلين" عام ١٤٤٦م وجعلوها متصلة بالقلعة الغامضة، عن طريق سراديب وممرات تحت الأرض أخفوا فيها كنوزهم من المعارف الباطنية والرموز الماسونية والأموال والذهب، ومن يومها يحيط بالقلعة الكثير من الحكايات ذات الأفكار الباطنية والصوفية.

استفادت الكنيسة وتأثرت واستعانت بالكثير من العلوم والمعارف القديمة التي نهلت منها في بداية تكوينها، ولكن بعدما سيطرت واستتبت لها الأمور، حاربت نفس العلوم ووصمتها بالعلوم الوثنية، ووصمت من يقتنيها بالهرطقة وعملت على القضاء عليهما معًا.

استعصت حكمتنا ومعارفنا القديمة على الاندثار، وأصبحت جزءًا من التراث العقائدي العالمي ما جعل الفلاسفة والمفكرين يؤكدون أن كل الأديان أخذت عنا عبادة الإله والإيمان والتقوى، ثم غدروا بنا وكفّرونا.

الفصل الثالث

تسليم مصر ـ واستلام أميركا

من سمات عقولنا قدرتها على التعامل مع الرموز وفهم مغزاها، عكس عقولهم التي أخذت رموزنا بشكل سطحي ففرغتها من محتواها.

لهذا حكمنا أميركا والعالم دون يدروا.

فكر الماسون في العودة للبلد الذي كان مصدر علومهم وثقافتهم، بحثوا عنه، بحثوا عن أرض الإله "إيجبت" نبع الأسرار والحكمة، لم يجدوه لقد تاهت في خضم الأحداث التي توالت عليها وأصبح بلدًا غير البلد، ضاع بين المحتلين من كل صنف ولون، فما إن ينزل محتل حتى يركب آخر يعتقد أن عليه الدور للركوب، وإلا شعر بالظلم، ألم يقل ابن العاص إنها لمن غلب؛ لم يعد أمام الماسون إلا البحث عن عالم آخر جديد وأرض بديلة ترث الموروث القديم وتضيف إليه، أرض يتم بناؤها برموز الطاقة والقوة، وتصبح جاهزة لتطبيق تعاليم الربة ماعت ربة ـ العدالة والاستقامة والنظام ـ وبتلك التعاليم تسيطر الأرض الجديدة على العالم وتكون مصدرًا للعلم والقوة ومستقرًا لهما، تمامًا كما كانت بلاد إيجبت في سالف الزمان قبل ضياعها.

(١٦)

في جزيرة مايوركا بإسبانيا ظهرت مدرسة غريبة أطلقت على نفسها مدرسة الخرائط، وقام المعلمون بإعادة تنقيح الخرائط المعروفة وأعادوا رسمها بدقة أكبر وعلى مساحات أوسع من الجلد؛ وعاصر ذلك ظهور الفلكي باولو توسكاليني، الذي حقق ورسم وصحح ونقح العديد من الخرائط، كان هذا ظاهر الأمور.

أما الخفاء فكانت تجري فيه أمور أخرى، فقد أخرج الماسون من أعماق التاريخ علمًا من أهم علومهم السرية وهو "علم الخرائط المخفية"، أخرجوا خرائط سرية شديدة الدقة، كانت محفوظة ومخفية

في مكان ما، خرائط تم رسمها من قديم الزمان لكل قارات العالم بل ولكل سطح الكرة الأرضية، وهي الخرائط التي دشنت حركة الكشوف الجغرافية التي انطلقت من إسبانيا والبرتغال، وحملها هنري الملاح وفاسكو دي جاما وكانوا من الماسون.

أظهر الماسون خرائطهم، وخططوا واختاروا وحددوا ما يريدون فعله، وانقلبت كل الموازين، استلم كريستوفر كولمبوس نسخة من الخرائط المخفية غير المعروفة، خرائط جاهزة ساعدته وحددت له كيفية الوصول للعالم البكر الجديد، العالم البديل الذي حدده الماسون، وقام كريستوفر كولومبوس بدءًا من عام ١٤٩٢م حتى عام ١٥٠٢م بأربع رحلاتٍ إلى أميركا، واستقل سفنًا تحمل الشعارات الماسونية لاكتشاف الأرض الجديدة البديلة لأرض الإله.

وصل في رحلته الأولى إلى جزر الكاريبي في الثاني عشر من شهر أكتوبر لعام ١٤٩٢م، أمّا رحلته الثانية فكانت بعد مرور ست سنوات على الرحلة الأولى، ووصل فيها لشاطئ العالم الجديد عام ١٤٩٨م، بظهور الخرائط المخفية، تغير وجه الكرة الأرضية اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا، استفاد العالم كله وتمت الاكتشافات الجغرافية الجديدة والتوسع الغربي.

هل رأى أحد غير كولمبوس الخرائط المخفية؟

يوجد في كنيسة روزلين بإسكتلندا التي بنيت على يد الماسون وفرسان المعبد عام ١٤٤٦م، منحوتات علي الحجارة تصف الصبار ونبات الذرة الهندي، وهي نباتات لا توجد إلا في القارة الأميركية، تم نحت تلك الرسومات قبل اكتشاف أميركا، أي أن الذين رسموها ونحتوها كانوا قد وصلوا إلى أميركا وحددوا مكانها، وأحضروا بعض منتجاتها قبل اكتشافها رسميًا.

هل رآها القائد أحمد محيي الدين قائد الأسطول التركي؟ يطلق عليه الأتراك اسم بيري ريس، قام ريس بدراسة ورسم الخرائط، ورسم للعالم خريطتين الأولى عام ١٥١٣م والثانية ١٥٢٨م، احتوت خرائطه قارات آسيا وأوروبا وجزءًا كبيرًا من إفريقيا، لكن المدهش حقًا هو الرسم الدقيق للسواحل الشرقية لأميركا الجنوبية، لكن كيف؟ لم يكن هناك أحد في العالم يعرف جغرافية تلك المنطقة، بل إن الإسبان والبرتغاليين أنفسهم الذين وصلوا لهناك احتاجوا عشرات السنين ليعرفوها. رسم أحمد الخط الساحلي لأميركا الجنوبية وكذلك الجزء الجنوبي من إفريقيا، هذا مدهش، أما أن يرسم القارة القطبية الجنوبية المتجمدة أنتاركتيكا رغم أن الجليد كان يغطيها ويطمس حدودها منذ أكثر من ٦٠٠٠ عام، فهنا لا بد من أن تظهر علامات التعجب والاستفهام.

من أين أتيت يا أحمد بتلك المعلومات؟

فقد كانت الخرائط دقيقة جدًا، لدرجة أنه يستحيل رسمها بتلك الدقة من دون الاعتماد على خريطة أخرى تم تصويرها من فوق، فلا يمكن القيام بهذا العمل من دون الاستعانة بوسائل تمكنه من التحليق فوق المناطق المراد رسمها! على كل حال يؤكد بيري رايس في مذكراته أنه اعتمد في رسم الخريطة على مراجع تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد. وتلك ربما تعود لما هو أبعد، تعود لخرائط غامضة رسمها شعب منظم قادر على القيام برسم الخرائط المفصّلة لكامل الكرة الأرضية، ويملك علمًا وحكمة وقدرات، ومعرفة بشكل وحجم الأرض، وبعلوم الرياضيات وعلم المثلثات الكروية والإسقاط الهندسي، ومن المحتمل أن تكون لديهم آلات وأجهزة قياس متقدمة

وبارعة. وتقرر أحدث الأبحاث أن خريطة القبطان أحمد بيري رايس التي تحدد العالم كله، تظهر كما لو كان قد التقطها من طائرة حديثة تقف فوق قمة الهرم بالقاهرة.

****

في عهد الملك أمنحتب الثالث الذى حكم ٦٣ سنة أحدث خلالها تحولا في علاقات بلادنا الخارجية حيث وصلت حدود الامبراطورية إلى أقصى أبعادها، وكانت تمتلك في ذلك العصر أقوى اسطول بحرى يبلغ عدد سفنه ما يزيد على المائتي سفينة صنعت خصيصا من خشب الأرز، حول أمنحتب اسطوله الحربى الضخم إلى اسطول يجوب العالم لينشر الحضارة والمعرفة والبحث عن الحقيقة، ومن ضمنها البحث عن الجنة التي اختلف كهنة وآلهة كل من معابد طيبة وأون "عين شمس" والنوبة في تحديد موضعها.. أهى في الشرق حيث يشرق منها الإله رع ، أم في الغرب حيث يأوى إليها ويغرب كل يوم، أم في الجنوب حيث ينبع نهر النيل نهر الحياة. وكان قراره فى السنة التاسعة من حكمه بإرسال ثلاث بعثات زود كل منها ببحارة أشداء وعدد من حكماء العلم والمعرفة وفنانون وصناع من كل الحرف والمهن، وأبحرت القوافل لإكتشاف الجنة.

في نقش مسجل على صخور جزيرة كونوسو شمال فيلة نص يقول: "بسط حدوده إلى حيث شاءت إرادته حتى وصلت إلى أعمدة السماء الأربع". وهناك نص آخر في بردية اكتشفها العالم الكبير سليم حسن يقول: "في السنة الخامسة من حكمه جعل حدوده تمتد كما شاءت إرادته لتصل إلى العمد الأربع التي تحمل السماء ولا يوجد ملك

مصري عمل مثل ما عمل جلالته وهو القوى المبتهج بالنصر نبت ماعت رع". ويفسر بعض المؤرخين كلمة العمد الأربعة التي تحمل السماء بالقارات البعيدة التي تحمل السماء وهى القارة الأمريكية التي تشرق الشمس من شواطئها الغربية وتغرب عند شواطئها الشرقية.

وفى وادى الملوك وجدوا بردية ترجع إلى عصر الملك نخاو الثانى من الاسرة السادسة والعشرين توضح العلاقة بين أرض الإله القديمة والأرض الجديدة: "لقد بلغنا شواطئ جزيرة هائلة مجهولة، وقضينا في رحلتنا ستة أشهر فوق المحيطات الشاسعة لا نرى غير السماء ونجومها ليلاً والمياه الزرقاء وحيتانها نهاراً، حتى بلغنا الأرض التي تغرب فيها الشمس بعد شروقها عندنا بيوم كامل.... تختلط أرضها بالذهب وتغطى أرضها بالغابات الكثيفة... وتجرى فيها أنهار تحاكى نهرنا المقدس هيبة وجلالاً"، "لقد تركنا رفاقاً لنا ربما لا نتصل بهم بعد اليوم أبداً"، "إنهم سيحدثون أهل أرض الشمس الغاربة عن بلادنا ونيلها وعظمتها وآلهتها، سيعلمونهم كيف يقرأون ويكتبون....."

تشرح أبحاث جامعة هارفارد طريق سير آخر بعثة مصرية ذهبت عبر البحار الواسعة في السنة الثامنة من عهد بطليموس الثالث (٦٤٢ـ ١٢٢ ق.م) والتي سارت في البحر الأحمر حتى المحيط الهندى وعبرته الى السواحل الجنوبية للهند زمنها الى أندونسيا ثم دخلت المحيط الهادى، ومضت في طريقها لتصل إلى الشاطئ الغربى للأمريكتين، ثم عادوا للمحيط الهادى واستقروا في نيوزيلندة.

ذات يوم قام صحفى من جزر هاواى بإذاعة تعليق هام من

إذاعة هاواى: "عالم مصري من ضيوف نادى الروتارى ـ أحد النوادى الماسونية ـ يذيع سراً عن علاقة أهل هاواى بمصر". كان العالم المصرى هو عبد الحميد الكاتب الذى ألقى بحثاً عن علاقة مصر بتلك البلاد، مستمداً معلوماته من أبحاث الأستاذ بارى فل LEEF YERAP بالاشتراك مع عدد من الباحثين في جامعة نيوزيلندا وجامعة هارفارد وجامعة هاواى.

******

(١٧)

أخيرًا وصل أحفادي من الحكماء الماسون إلى الأرض الجديدة، إلى العالم الجديد الذي حددناه واخترناه بديلا عن بلاد إيجبت.

ـ ماذا تقول يا سامري؟!

انطلق مني السؤال ويداي تقلبان أوراق المجلد الثالث، والسامري غير مهتم ومسترسلاً في الحكي كأنه شاهد على كل العصور، وكأن الأمور تجري بإرادته، ويرفض أن يقاطعه أحد حتى ولو بمجرد سؤال من باب درء الاستغراب.

اجتمع أحفادي وتناقشوا وتحاوروا وقرروا إطلاق اسم على الأرض البديلة... وحددوا شروط اختيار هذا الاسم، وكان من أهم شروطه أن يحتوي على مواصفات القوة والحماية وأن تكون الأرض الجديدة

مغلفه بالسحر. أطلقوا على الأرض الجديدة "**أَمي ريكا**"، أميريكا إنه اسم إيجبتي صميم، استخرجناه من باطن لغة بلادنا المقدسة، واخترناه عن قصد وإصرار ليعبر أحسن تعبير عن مقصدنا، ويتكون من كلمتين:

أَمي: عين حور

ففي قاموس والس بدج صفحة ٥٠ الجزء الأول

Ȧmi, Nesi-Amsu 30, 21, a
name of the Eye of Horus.

ركا: تخلب أو تسحر شخصًا ما.

reka ×, to bewitch, to work magic on someone.

كما أنها تعني تمامًا الرقية والتعويذة

فتكون **أميركا**: الأرض "الخلابة أو المسحورة أو المرقية أو المحمية بعين حورس".

ولأن الماسون لا يبوحون بأسرارهم، فلم يعرف أحد مصدر كلمة أميركا. اجتهد البعض واعتقد أن كلمة أميركا مشتقة من اسم الرحالة أمريجو فيرشبوسي، باعتبار أن اسم أمريجو هو الأقرب لأميركا، وكان هذا توفيق غريب بعيد الأحتمال فمن باب أولى كان يجب أن يطلقوا على الأرض الجديدة اسمًا مشتقًا من اسم كولمبوس المستكشف الأصلي الأول الذي ذهب إلى هناك فعلاً، ثم لماذا لم يطلقوا على الأرض الجديدة أمريجو ولماذا حوروها إلى أميركا، كما أنه مستبعد أن

يشتق اسم أميركا ـ الأرض البكر الكبيرة العظمى ـ من الاسم الأول الصغير "أمريجو" وليس من اسم العائلة "فيرشبوسي"[1]. وهذا ما تم مع دولة كولمبيا، عندما أخذوا اسمها من اسم عائلة كولمبس، وليس من اسمه الصغير كرستوفر.

البديع أنهم تذكروني أنا السامري مؤسس الماسونية القديمة، وأطلقوا اسمي بطريقة خفية على كل بلاد أميركا، وأسموها بلاد العم سام![2]

(١٨)

الختم هو شعار الدولة ورمزها ورمز سيادتها؛ تختم به الأوراق الرسمية والمستندات لتأخذ مصداقية وأهمية، ويتم التصديق به على الأوامر والمعاهدات، لهذا فأول شيء فعلناه بعدما حرضنا على

---

(١) يقال تبريرا لاشتقاق أميركا من اسم الرحالة أمريجو فيرشبوسي، إنه ألف كتيبًا جاء فيه: «لم يصل أحد من أسلافنا إلى هذه الأرض التي رأيناها من قبل، حيث إن معظمهم كان يظن أنه لا توجد أرض، وأن كل ما هناك هو بحر لا نهاية له. لكن رحلتي جاءت لتثبت خطأ هذه النظرية، ولتثبت أن هناك قارة جديدة.» بالصدفة وقعت نسخ من هذا الكتيب في أيدي عالم الخرائط الألماني مارتين فالزيموللر، ومساعده عالم اللغات ماتياس رينجمان. كان الاثنان قد اجتمعا في عام ١٥٠٧ ليرسما خريطة العالم الجديدة، كما وصلتهما، فقررا أن يطلقا على الأرض الجديدة اسم مؤلف هذا الكتيب أمريجو بعد تحويره إلى «أميريكا»، كما قاما بعدها بنسخ خرائط مصغرة للكرة الأرضية تضم القارة الجديدة، ما أدى إلى انتشار هذا الاسم وترسيخه وارتباطه بالقارة الجديدة.

(٢) عندما لا تعرف الشعوب حقيقة شيء ما تخترع حكايات شعبية تسد بها خانة نقص المعرفة، يقال إن رجلاً اسمه سام ويلسون كان يدعم الجيش الأميركي بحصص غذائية في أثناء حرب ١٨١٢ فأطلقوا عليه العم سام، ثم «أطقوا اسمه على البلد كله»!

الثورة لاستقلال أميركا عن بريطانيا كان "سك عملة وتصميم ختم واختيار شعار"، لم نترك الأمور لتمشي على غير هوانا، فقمنا بتصميم الختم تبعًا للمعتقدات والقيم التي آمن بها الآباء المؤسسون، وكانوا جميعًا من الماسون؛ مر الأمر بثلاث مراحل وثلاث لجان، وساهم فيه ١٤ رجلاً ماسونيًا على رأسهم الماسوني الكبير بنجامين فرانكلين، وتوماس جيفرسون، وجون آدامز، وهم أبطال الاستقلال الموقعون على وثيقة الاستقلال واستعانوا بـ«دوبيير» فنان فيلادلفيا، استغرق الأمر ٦ سنوات لوضع تصميم لوجهي الختم.

في يوم الاستقلال عام ١٧٧٦، اجتمعت اللجنة العليا برئاسة بنجامين فرانكلين الماسوني الأعظم، وتم اختيار الرموز التي سيتكون منها الختم والشعار ويتم وضعها فيما بعد على ورقة الدولار، اخترنا رموزًا من حضارتنا وحكمتنا، فقد فرض فرانكلين على الكونجرس الرموز التي اخترناها وكانت: رمزًا يمثلها، ورمزًا يحميها، وشكلاً نخفي فيه أسرارنا ونغطيها به.

طائر الفينق المصري "العنقاء" اخترناه ليمثل الأرض الجديدة، التي ستحل محل الأرض القديمة "إيجبت"، واخترنا طبعًا عين حور لحماية الأرض الجديدة المسحورة، ومن دون تردد أخذنا "الهرم" بيت الأسرار لنخفي فيه أسرارنا ونحميها، وهي الأسرار التي هربنا بها من العالم القديم، واستكملناه بهريم "بن بن" ذلك الذي انبثق من المحيط اللانهائي رمز الأزل.

رموز اخترناها لتخلد ذكرانا وتحمي أميركا، ووافق الكونجرس.

بن بن... هريم صغير لا بد من وجوده في كل المعابد القديمة، يمثل التل الأزلي الموجود قبل الوجود، لهذا فهو أول شيء انبثق وظهر

على صفحة الماء حينما كانت المياه تغطي كامل سطح الأرض، وكان عرش الرب آتوم ـ التام الكامل المتناهيي ـ على الماء.

تقول متون معبد أون في مدينة الشمس (هليوبولس): كان الكون في البدء محيطًا أزليا يغمره الماء يسمى نون يحيطه ظلام لانهائي، وفي لحظة ما خرج منه إله خالق كامل أوجد نفسه بنفسه، ثم خلق من أنفاسه ثمانية من الأرواح، أربعة يمثلون عناصر الكون، وأربعة يمثلون عناصر الخلق وهم:

١- شو روح الفضاء (الهواء)
٢- تفنوت روح الرطوبة (الماء)
٣- جب روح الأرض (التراب)
٤- نوت روح السماء والنور (النار)

وهؤلاء هم عناصر الكون الأربعة

٥- أوزوريس روح الأبوة والخير والنماء والخصب (المذكر)
٦- إيزيس روح الأمومة والخروج من الباطن للظاهر (المؤنث)
٧- نفتيس روح النماء والعودة من الظاهر للباطن (النماء)
٨- ست روح الشيطان والشر (الفناء)

وهؤلاء هم عناصر الخلق الأربعة.

بهؤلاء الثمانية خلق آتوم الكون في ستة أيام وفي اليوم السابع استوى على العرش، ويومئذ كافأ الملائكة الثمانية بأن يحملوا عرشه فوقهم.[١]

---

(١) ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ ١٧ الحاقة

الشكل الهرمي هو تجسيد لعرش آتوم التام الكامل، فالقمة هي عرش الإله والقاعدة يحملها حملة العرش، وهم ملائكة التكوين الثمانية، وكان من عاداتنا قديما أن نذهب إلى سفح الهرم لنشاهد الإله وهو جالس على عرشه فوق قمة الهرم، وذلك يوم الاعتدال الربيعي ٢١ مارس لحظة عبور الشمس خط الاستواء، فإذا جلس إنسان في منتصف القاعدة الشمالية ونظر إلى قمة الهرم لوجد قرص الشمس فوق قمة الهرم، تمامًا كأن آتوم رع جالس على عرشه، أليست الشمس المشرقة هي النار والنور والتنوير، لهذا كسونا القمة الهرمية بطبقة من الذهب، أليس الذهب هو عنصر الشمس الذي لا يتغير؟

ولتخليد العرش وفكرة الخلق والتكوين صنعنا قاعدة عالية، ورفعنا فوقها هريم "بن بن" وأسميناها "تيحن" إصبع الشعاع المضيء، عمود الحق الذي يشير إلى الذي هو هناك متربع على عرش السماء، وترجموها بالمسلة.

يرى علماء الطاقة أن هريم "بن بن" يمثل نقطة الصفر للخلق (zero point of creation) أو مصدر الخلق، وتتم المقارنة بين مفهوم حجر الـ"بن بن" وبين مراكز وبؤر الطاقة الحيوية، فالمحيط الأزلي "نون" كان بحر من الطاقة في حالة من الفوضى، وحجر البن بن يشبه في انبثاقه وشكله مراكز الطاقة الحيوية التي تأخذ الشكل المخروطي عند تصويرها بكاميرات حساسة، وتوجد منافذ أو بوابات الطاقة الحيوية في كل مكان بجسم الإنسان وعلى سطح الأرض وفي كل الكون. والغريب أننا كنا دائمًا نصنع "بن بن" على شكل هريم عند الإشارة لعرش السماء، أو على شكل مخروط عند الإشارة لحركة دخول أو خروج الروح، وهو ما يعرف بطقوس فتح الفم، ففي أثناء إجراء تلك الطقوس كان لا بد

من وجود حجر "بن بن" على شكل مخروط مرفوع فوق منصة عالية تقف خلف المومياء.

"بن بن" ما هو إلا رمز لتحويل الطاقة إلى مادة!

* * *

صنعنا "تيحن" التي تُرجمت بالمسلة، لتخليد العرش وفكرة الخلق والتكوين، ووضعنا على قمة كل مسلة هريم "بن بن" الذي يمثل التل الأزلي أول رقعة من أديم الأرض ظهرت من مياه العدم يوم خلق العالم، ونصبنا مسلتين على يمين وشمال باب الدخول لكل بيت من بيوت الرب.

في بيت الرب، وفي أهم وأقصى وأعلى مكان وضعنا قدس الأقداس، وفيه المذبح المصنوع من قطعة حجرية واحدة، ويعلوه الناووس وهو بيت صغير من الحجر يُضع داخله تمثال الإله. فإذا ما أراد الإله أن يزور معبده، أو إذا أراد العابدون أن يخاطبوا معبودهم فإنه يأتي ويحط على هريم "بن بن" فوق قمة المسلة ومنها ينتقل إلى الناووس، حيث يجد تمثاله فيتجلى عليه، فالناووس يمثل أفق الإله للتجلي، والتمثال ليس إلهًا إنه مجرد تصميم من الحجر يحل فيه الإله عندما ينزل من السماء على شكل طائر ليتحد مع صورته المنقوشة على التمثال، ويشرق منه ليظهر أمام أتباعه.

* * *

(١٩)

عين حور ترى كل شيء، ففي أثناء المعركة الأبدية بين الخير والشر قلع (ست) رب الشر عين (حور) صقر السماء الابن الوحيد لأُوزيريس رب الخير والنماء، فأصبحت عين حور رمزًا للحماية من كل شر، ومن رب الشر (ست) جاءت satan التي تعني شيطان، ومن رب الحماية (حور) جاءت يحور ويحيط ويحمي ويرى كل شيء.

حور صقر السماء، فلتكن إذن عين حور شاهدة علينا؛ وتعد "العين التي ترى كل شيء" All Seeing Eye من أهم رموز الماسونية وأكثرها انتشارًا، ويزعمون أنها ترمز إلى إنها عين البصيرة، وهي تقابل العين الثالثة (شاكرا) لدى ممارسي رياضات التأمل واستجلاب الطاقة عين المهندس الأعظم أو عين الكون العظيمة، كما يقول بعض مؤلفيهم.

بسبب كل هذا، ومن أجل كل هذا، وضعنا عين حور على أحد أوجه الختم الأميركي ومن ثم على الدولار، لم يتوقف الأمر على أميركا، فقد امتد نفوذنا ووضعنا حور صقر السماء كشعار على رأس وثيقة إعلان حقوق الإنسان الفرنسية.

(٢٠)

هرم التنوير... وقف الهرم حجر عثرة وفضح أي محاولة لسرقته، ذلك لأن الهرم[١] رمز عالمي مميز وملكية فكرية وماركة مسجلة باسمنا، فالشكل المتدرج للهرم يرمز للصعود إلى السماء، إلى مصدر الاستنارة.

نقل الماسون كل الرموز والأشكال الهندسية معهم إلى العالم الجديد، لكنهم فشلوا في نقل أو بناء هرم يضارع هرم الأسرار الأكبر، وسوف تلاحظون أن أجدادنا لم يشرحوا أو يدونوا كيف بنوا الأهرامات، ذلك لأنه البناء الأكثر سرية والأشد أهمية. وعندما توقفوا عن الفعل، أوحيت إليهم أن يبنوه داخل كل مدينة وكل شارع وكل بيت، وأن يضعوه في يد كل أميركي، وداخل جيب كل إنسان يعيش في بلاد أميركا، بل وفي كل بلاد العالم، وذلك بنقشه وطباعته على ورقة الدولار. رسموا

---

(١) حاول البعض الهجوم على وزير الثقافة فاروق حسني عندما حاول وضع هريم صغير فوق هرم خوفو، عند الاحتفال بالألفية الجديدة، ظانين أنه رمز الماسونية (طبعا قبل أن يعرفوا أنها من أصول إيجبتية ـ مصرية) وقامت القيامة وتراجع الرجل، ولكن الآن ما رأيهم عندما يعرفون أن الهلال من أهم الشعارات الماسونية؟ - هل يطالبون برفعه من فوق المآذن؟ ـ فالهلال شعار ماسوني، حتى إنه وضع في الكثير من المحافل كالمحفل التركي (المشرق الأعظم عثماني دار شعارت). كما أن جرجي زيدان الأديب والمفكر الكبير، صاحب دار الهلال ومؤلف كتاب تاريخ الماسونية العام، كان ماسونيًا واتخذ الهلال رمزًا لدار النشر التي أسسها، ورسم الهلال في الكثير من الشعارات المرسومة في كتابه المذكور في نهاية كل فصل تقريبًا، وقد طبع في مطبعة المحروسة في مصر سنة ١٨٨٩. كما أن الكثير من الجمعيات الماسونية، في الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا، قد استعملت الهلال كشعار ضمن شعاراتها.

على ورقة الدولار هرمًا بقمة ناقصة، هرمًا غير مكتمل عبارة عن ١٣ طبقة و٧٢ حجرًا؛ ووضعوا أسفله ماء من نهر النيل ونباتات وأعشابًا من أرض الإله.

حجر القمة الـ"بن بن" عنصر متمم لا بد من وجوده حتى تظهر الحقائق، لهذا وضعناه فوق قمة الهرم الناقص، ثم وضعنا داخله عين حور لتظهر الحقيقة ونرى كل شيء.



عين حور داخل الـ"بن بن" لتكملة الهرم الناقص = لترى العين كل شيء

(٢١)

العنقاء، طائر يعيش سعيدًا في بلد ما ناحية الشرق إلى أن يحين وقت التغيير والتجديد ـ كل خمسمئة عام ـ وحينها ومن دون تردد يتجه مباشرة إلى بلاد إيجبت الأسطورية، حيث معبد إله الشمس (رع) في مدينة أون

"عين شمس ـ هليوبوليس"، يأتي العنقاء حاملاً بقايا جسده القديم يريد التجديد، يريد الولادة الثانية، ويحط على هرم الـ"بن بن" وبمجرد أن يرى الشعب هذا الطائر العجيب يستقبله مُهللاً بنشيد رب النور والنار "رع": *"المجد له في الأعالي، المجد له في الهيكل عندما ينهض من بيت النار، كل الأرباب تحبّ أريجه عندما يأتي من بلاد العرب، وهو ربُّ الندى عندما يأتي من ماتان، ها هو يدنو بجماله اللامع من فينيقيا تحيطة الملائكة"*. وفي هيكل رَعْ ينتصبُ رافعًا جناحيه إلى أعلى، ثم يصفِّق بهما تصفيقًا حادًّا، وما هي إلا لمحة حتى يلتهب الجناحان فيبدوان كأنهما مروحة من نار، ومن وسط الرماد الذي يتخلف يخرج طائر جديد فائق الشبه بالقديم يعود من فوره لمكانه الأصلي في بلد الشرق البعيد.

تعددت الروايات، لكن الشيء الوحيد الذي بقي هو أسطورة هذا الطائر العجيب الذي يجدد نفسه ذاتيًا، وفي إحدى الروايات قالوا إن حياته تتكون من ٥٠٠ دورة متعاقبة، بنهاية كل دورة يبني العنقاء عشا على رؤوس أشجار النخيل من نباتات المر والقرفة والتوابل الأخرى، وعندما يشتعل العش بفعل أشعة الشمس يحترق العنقاء في النار، ومن رماده يخرج آخر صغير يعيش ٥٠٠ عام لاحقة، وحين يشتد عوده يحمل رماد أجداده إلى معبد مدينة الشمس، إنّ العنقاء مثله مثل الهدهد، رسول من الرسل السريةِ في العالمِ القديمِ، إنه يمثل الحكمة المتجددة والحياة الجديدة، أو أولئك الذينَ يُولدونَ مرة ثانيةً بعدما يكتسبوا التنوير والحكمة، العنقاء طائر يحيا فردًا ويجدِّد ذاته بذاته، لقد ابتدعوا أساطير مختلفة لموته وللمدَّة التي يحياها بين التجديد والتجدُّد، ظل طائر العنقاء رفيقا أثيرا للإنسان الذي ارتبط

معه بحبل سري لا ينقطع، ذلك لأنه طائر سحري يغالب الموت ويخرج حيا من الرماد.

عند كل ولادة جديدة يحط العنقاء على الـ"بن بن"، ذلك الهريم الصغير الذي يمثل التل الأزلي، أول شيء انبثق من الماء.

أصبح طائر العنقاء من الرموز المقدسة للإله "رع" إله الشمس، لدرجة أنه تم دمجهما وظهرت الشمس المجنحة التي استعارت فيها الشمس أجنحة طائر العنقاء لتحلق بها في السماء.

لكن عندما تقول التوراة:

"... تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها" ملاخي ٤/ ٢

وجب علينا أن نسأل: من أين اقتبست التوراة فكرة الشمس التي لها أجنحة؟ أليس هذا ابتكارًا إيجبتيًا خالصًا!



الشمس المجنحة

* * *

عُرض على سليمان بالعشيّ "الصافنات الجياد"

اقتباس: **﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ۝ إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ ٣١ ص**

ما هي الصافنات الجياد؟

قالوا هي خيول بأجنحة[1]؛ ولكن هل توجد خيول بأجنحة؟!

ولأنه لا توجد مترادفات في القرآن، فكل كلمة بميزان ولها معنى ومغزى في موضعها، لهذا أتت الجياد مرة واحدة في هذا الموقع من تلك الآية، في حين أتت الخيول بالقرآن في العديد من الآيات واضحة وصريحة:

- ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً...﴾ ٨ النحل
- ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ ٦٠ الأنفال
- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ...﴾ ١٤ آل عمران... وغيرها.

هكذا تم ذكر الخيل والخيول مرات عدة وفي عديد من المواقف والأحداث المتباينة، فالجياد إذن غير الخيول، فلماذا إذن يدعون أن (جياد) سليمان خيول، لا مفر الجياد غير الخيول.

ما هي إذن (الصافنات الجياد)؟

لاحظ الشيخ عمرو الشاعر[2] وجود ربط بين (صافنات الجياد) بسورة (ص)، وبين السورة التي قبلها أي سورة (الصافات).. حيث

(١) قال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة. وقاله الضحاك. وأنها كانت خيلاً أخرجت لسليمان من البحر منقوشة ذات أجنحة. ابن زيد: أخرج الشيطان لسليمان الخيل من البحر ٨ من مروج البحر، وكانت لها أجنحة. وكذلك قال علي رضي الله عنه: كانت عشرين فرسًا ذوات أجنحة.
(٢) موقع الشيخ عمرو الشاعر.

يتم القسم بالصافات (والصافات صفا)، والصافات هي الطيور، فدائما يتم وصف الطير بالصافات:

- ﴿**أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات...**﴾

- ﴿**ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات...**﴾

فالصافنات الجياد لا بد من أن تكون طيورًا.

هل الصفانات الجياد هي طيور العنقاء؟

ذلك لأن جنود سليمان، ليسوا إلا "جنًا وإنسًا وطيرًا".

﴿**... وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُوزَعون**﴾

- وعندما تفقد سليمان جيشه، تفقد الطير على وجه الخصوص.
﴿**وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين**﴾ ٢٠ النمل

- وعندما تعلم، تعلم منطق الطير ﴿**... وقال يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين**﴾ ١٦ النمل

- وحُشر له الطير: ﴿**والطير محشورة كل له أواب**﴾ ١٩ ص

- وسُخر له الطير: ﴿**... ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين**﴾ ٧٩ الأنبياء

فسر المفسرون (الجياد) كما فسروا (الجفان) كما فسروا (القدور الراسية) كما فسروا (تماثيل)، بفكر محدود ببيئتهم الفقيرة، فمن جعل من الجفان أطباقًا ضخمة لتناول الأرز والشوربة، وجعل من القدور الراسية أواني للطبخ، وجعل من المنسأة عصا، طبيعي أن يجعل الجياد الصفانات خيلاً بأجنحة.

وطبعًا لم ينس الماسون أحفادي ـ أنا السامري ـ أن ينقلوا طائر العنقاء الإيجبتي ويضعوه على الشعار الأميركي والختم والدولار.



العنقاء على شعار أميركا، وعلى الختم وعلى الدولار

(٢٢)

كان للفرسان أسطول بحري عظيم يتكون من أكثر من مئة وخمسين سفينة بحرية، اختفى فجأة بكامل عتاده بمجرد أن أعطى فليب الرابع ملك فرنسا أوامره باعتقال ومطاردة الفرسان، وظهرت تخمينات وكثرت الحكايات وتداولت الأساطير حول سر اختفاء سفن أسطول الفرسان، أو بالأحرى أين ذهب بها يحمل من وثائق وأسرار؟

كان الهدف الحقيقي الذي سعى إليه بابا الكاثوليك، عندما أمر بإبادة فرسان الهيكل، هو الحصول على الوثائق التي يمتلكها هؤلاء

الفرسان وهي كنزهم العظيم ومصدر قوتهم، كانت الوثائق مخفية في مكان غامض ومحاطة بسرية تامة، وعندما ظهر إصرار الفاتيكان على الحصول عليها قام الحكماء بتهريبها، تحت جنح الظلام، من مكانها الغامض إلى مكان أكثر غموضًا على ظهر أسطولهم.

ذهب أسطول الفرسان إلى الأرض الجديدة "أميركا"، وانتقلت الوثائق إلى بر الأمان، ومن يومها لم يرها أحد مرة أخرى.

كان الماسون ـ بطبيعة الحال ـ من أكثر المتحفزين والمتأهبين للهجرة للعالم الجديد، هاجروا إليه من إنجلترا وإسكتلندا وحطّوا رحالهم في منطقة فرجينيا بالقرب من واشنطن، وكان هدفهم الوحيد إقامة مجتمع مثالي على أسس من التعاليم القديمة التي كانت مرساة في أرض الإله إيجبت، وبالتالي يكون في استطاعتهم تطبيق مبدأ ماعت (العدل والاستقامة والنظام).

مثلما كانت الأرض الجديدة مقصدًا للماسون، كانت أيضًا مقصدًا للهاربين من السجون، والباحثين عن المال، وأيضًا مقصدًا للباحثين عن الحرية والمضطهدين دينيا وعلميًا، وأصحاب الأفكار والفلسفات التي لا تتلائم مع الفكر الديني المسيطر والمحرم لأي اختلافات من التي كانت تسود أوروبا والعالم في ذلك الوقت.

كان للمهاجرين أهداف ومقاصد مختلفة ومتنوعة ومتضادة، وكانت أميركا أرضًا جديدة ممهدة ومملوءة بوفرة من الموارد وفرص العمل للجميع، فسطح الأرض مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الخصبة وهي لمن يزرعها، وباطن الأرض مملوء بالكنوز وهي لمن يستخرجها ويستخدمها، كان بأميركا أجواء تتسع لكل الأفكار، وكل فرد مشغول بفكره وعمله ومتقبل للآخر فلا توجد

عرقية أو أفضلية، فالجميع مهاجرون والجميع بادئون من نقط تقترب من الصفر أو تدور حوله.

ذهب لأميركا الملائكة كما ذهب الشياطين الهاربون من السجون والباحثون عن المال، وهؤلاء تبنوا الفكر الاستعماري، فجلبوا العبيد من إفريقيا وأبادوا الهنود الحمر ونهبوا ثرواتهم، وكونوا صورة لرعاة البقر، هذا هو جانب الشياطين ولنضعه على جانب؛ وفي المقابل سنجد الملائكة، سنجد الماسون المستنيرين الذين نقلوا الحكمة القديمة من العالم القديم للعالم الجديد، وقادوا معركة تخطيط وتصميم وبناء الأرض الجديدة، أرض عين حورس المسحورة المحمية، تبعًا لموروثهم من العلوم القديمة وثقافاتهم ومعارفهم عن رموز القوة والثروة والسيطرة، حددوا أماكن المعالم الأميركية، ومتى يتم البناء وأين توضع الرموز.

(٢٣)

اجتمعت ثلاثة دواهٍ، السياسي جورج واشنطون والعالم بينجامين فرانكلين والمهندس بيار لانفان، الثلاثة من كبار المعلمين الماسون، وانضممت إليهم، اجتمعنا وخططنا عاصمة أميركا ووضعنا تصميمها لتكون صورة من أرض الإله، لتكون البديل الجديد المثالي لدولة إيجبت القديمة، إذا أردت أن تتأكد ابحث داخل العاصمة فلن تجد شيئًا له علاقة بأميركا، فقد صُممت العاصمة واشنطن على أن تكون معبدا إيجبتيًا هائلاً، مراكز الحكم فيها وشوارعها ومؤسساتها ومكاتبها الحكومية تجسيد لرموز الطاقة والقوة، كل شيء في واشنطن يشع القوة الباطنية لرموزنا، ويشير إلى حضارة مستنيرة تأثر بها.

اجتمعنا وخططنا واخترنا أماكن معينة لتقام فيها مبان معينة، وحددنا لبداية بناء أي مبنى لحظات فلكية محددة بعناية، حسب طقوسنا القديمة التي كانت تمارس في أثناء وضع حجر الأساس لأي مبنى أو معبد أو مدينة في بلادنا.

وضع المُعلم جورج واشنطن حجر أساس العاصمة واشنطن، في الوقت والهيئة الفلكية المحددة، ثم بدأوا في تصميم المدينة وتخطيط شوارعها، وضعوا فيها كل أسرار العلوم القديمة، كل أشكال المعمار، وكل الرموز الظاهرة والباطنة، لم يتركوا شيئًا، عمموا النظام وألزموا كل من أتى بعدهم به، واتبع الجميع معايير الاختيار عند إقامة أي مبنى أو نُصب، وتم تطبيق المعايير بدءًا من البيت الأبيض، ومبنى الكابيتول، ونصب واشنطن، وتمثال الحرية... وأي مبنى له قيمة أو رمز في أميركا.

التزم الجميع بالدقة عند إنشاء أي مبنى جديد، التزموا حتى لو اضطروا إلى الانتظار عددًا من السنين لإتمام بناء كانوا قد بدأوا فيه ولم يتم، التزموا بالهيئة الفلكية التي يكون فيها رأس التنين موجودًا ببرج العذراء!

(٢٤)

لم يخطر على بال المهندس سيد عبد العزيز، محافظ الجيزة، عندما أعلن أواخر عام ٢٠٠٩ عن اختيار العيد القومي للجيزة ليكون يوم ٢٣ أغسطس من كل عام، بدلا من ٢١ مارس، وكشف عبد العزيز

خلال مؤتمر صحفي أن اختياره هذا اليوم سببه أنه اليوم الذي بدأ فيه بناء الأهرام، وهو منتصف يوم ٢٢ أغسطس عام ٢٤٧٠ قبل الميلاد، وهو اليوم الذي حدده الدكتور عبد الحليم نور الدين رئيس هيئة الآثار مع عدد من أساتذة الآثار في ذلك الوقت.

في هذا اليوم كان رأس التنين في الدرجة ٢٠ من برج العذراء.

رأس التنين... نقطتان تمثلان تقاطع المسار المداري للقمر حول الأرض، والمسار المداري للأرض حول الشمس، ويتم التقاطع في نقطتين تسميان العقد القمرية، العقدة الشمالية تسمى رأس التنين ويطلق عليها العقدة الصاعدة لأنها تمثل نقطة عبور القمر مسار الشمس من الجنوب إلى خطوط العرض السماوية الشمالية، والعقدة الجنوبية تسمى ذيل التنين ويطلق عليها العقدة الهابطة بسبب عبورها من شمال إلى جنوب الكرة الأرضية. تظهر العقد القمرية في كل برج مرة واحدة كل ١٨,٦٥ سنة.

يقول علماء التنجيم والكارما إن رأس التنين يفتح بابًا جديدًا علينا معرفته والاستفادة منه، وذيل التنين يغلق بابًا لم يعد له داع.

(٢٥)

اختار الرئيس جورج واشنطن مكان بناء الكابيتول... وهو المقر الرئيسي لحكومة الولايات المتحدة الأميركية، وانتظر حتى يحل رأس التنين بالدرجة ٦ من برج العذراء يوم ١٨ سبتمبر لعام ١٧٩٣ فكان هذا يوم وضع حجر الأساس وموعد إنشائه!

يضم مبنى الكابيتول مجلس النواب، والمجلس التشريعي للكونجرس، وتمثال الحرية.

وضع جورج واشنطن حجر الأساس لمبنى الكابيتول، وقاد الاحتفال بنفسه باعتباره (الأستاذ الأعظم) مرتديًا الزي المناسب للاحتفال حسب التقليد الماسوني! حاملا القمح والزيت والخمر رموز (الرخاء والسلام والسعادة)

بيت الهيكل وقاعة الهيكل، مكعب ضخم، أحد الرموز الماسونية في واشنطن، له سقف شاهق ترفعه أعمدة من الجرانيت الأخضر. يحتل الجدار الغربي عرشًا بطول ثلاثة وثلاثين قدمًا، وهو مزيج من الرموز الفلكية والخيميائية الإيجبتية القديمة، ورموز أخرى غير معروفة!

بنوا نُصبًا تذكاريًا تخليدًا لجورج واشنطن، على شكل مسلة إيجبتية قديمة تتوسط العاصمة، وتقع المسلة في منتصف المسافة بين مبنى الكونجرس الأميركي ونُصب لنكولين التذكاري، كما أنه يقع تمامًا عند الزاوية القائمة بين مجلس الشيوخ والبيت الأبيض.

الآن من حق الجميع أن يسألوا: ما السبب الذي جعل مسلة إيجبتية هي النصب التذكاري المعبّر عن جورج واشنطن؟ هذه أميركا، وهذه عاصمتها واشنطن، وهذا جورج واشنطن، بأي منطق إذن تم وضع مسلة إيجبتية لتعبر عنه بدلاً من وضع تمثال له أو حتى رمز من رموز أميركا؟ أعرب صحفي وناشط سياسي أميركي، يدعى مارك دايس، عن دهشته من وجود نصب تذكاري يعبر عن حضارة بعيدة ومختلفة عن بلاده في مكان كهذا؛ وعندما طرح سؤاله على زوار النصب

التذكاري من الأميركان جاءت إجابات كثيرة تشير إلى أن المسلة رمز للقوة، أو أنها ربما تكون رمزًا معبرًا عن جماعة سرية أو جماعة قوية تحاول بث رسالة رمزية لإثبات قوتها، أو للترويج لفكرة ما، من خلال تلك المسلة الآتية من بلاد الأساطير ووضعها في مكان كهذا.

* * *

تمثال الحرية... تمثال سعى ماسون فرنسا لإقامته ووضعه على مدخل بلاد إيجبت الأصلية، ولما فشلوا أقاموه في بلاد إيجبت البديلة "أميركا".

قام الفرنسي فريدريك بارتولدي عام ١٨٦٩ بتصميم نموذج مُصغر لمنارة أطلق عليها (سيدة القناة) لتوضع على مدخل قناة السويس لإرشاد السفن، وكان على شكل سيدة مصرية لها نظرة كبرياء وكرامة وترتدي جلبابًا مصريًا طويلاً تتدلى منه زهرة اللوتس تحتضن بلاصًا، رمز الخير والعطاء، وتلبس كردانًا وترفع يدها ذات الأساور حاملة شعلة يخرج منها ضوء لهداية العالم وتحمل شعار "Egypt Carrying the Light to Asia"، "مصر تحمل النور لآسيا" وعرضه على الخديوي إسماعيل ليتم وضعه في مدخل قناة السويس، لكن الخديوي اعتذر عن عدم إقامة التمثال، نظرا لتكاليفه الباهظة والبلاد لم تخرج بعد من ديون تكاليف حفر القناة وحفل افتتاحها.

قرر الفرنسيون إقامة التمثال في بلاد إيجبت البديلة "أميركا" على أن يقدموه كهدية في الذكرى المئوية لإعلان الاستقلال، وبعد تغير وجهة التمثال اضطر المثال الفرنسي لإحداث بعض التغيرات عليه، فاحتفظ بجلباب سيدة القناة لكنه جرده من زهرة اللوتس وغير من وجهه وانتزع الطوق والكردان والأساور، ووضع بدلاً

منها إكليلاً حول الرأس له سبعة أسنة، ونزع البلاص ووضع مكانه الشعلة والكتاب... وأصبح التمثال تجسيدًا للحرية التي تنير العالم "Liberty Enlightening the World" وأصبحت السيدة التي تحررت من قيود الاستبداد تمثل الديموقراطية أو الفكر الليبرالي الحر. انتهت أعمال تصميم التمثال في فرنسا باكرا في يوليو ١٨٨٤ وأنهى معماري أميركي تصميم القاعدة في أغسطس ١٨٨٥ واكتمل بناؤها في ٢٢ أبريل ١٨٨٦. لكن الغريب أنهم انتظروا سته أشهر كاملة ليقوم الرئيس الأميركي جروفر كليفلاند بافتتاح التمثال في احتفال كبير يوم الخميس٢٨ أكتوبر ١٨٨٦... انتظروا ستة أشهر كاملة! نصف عام انتظروه حتى يتم الافتتاح عندما يصل رأس التنين للدرجة الخامسة من برج العذراء.

كأن التأخير كان مصادفة!

* * *

المتحف الماسوني بفيرجينيا الأميركية... معبد تذكاري لجورج واشنطن، بني على طراز منارة الإسكندرية، وعلى قمته يوجد هرم، ويضم معبدًا ونقوشًا ماسونية أثرية، في أحد أجنحة المتحف قاعة تعرض صورًا لكل المعابد الماسونية في الولايات المتحدة والتي يزيد عددها على ٣٠ معبدًا ماسونيًا ممتدا في كل أنحاء الولايات المتحدة الأميركية، وفي المقابل صالة عرض أخرى تضم مقتنيات أثرية مثل قطع وأطباق وخواتم وأساور وأختام تعبر عن الفن الماسوني، وقطع قماشية ترسم عليها لوحات ماسونية مثل العين والبرجل والقلم التي ترمز إلى هندسة الكون. في كل الأحوال يعكس المتحف تقدير جورج واشنطن العميق للماسونية.

نسيت أن أذكر أنه تم وضع حجر أساس المتحف عام ١٩٢٣ (عندما كان رأس التنين في برج العذراء) بحضور الرئيس الأميركي كيلفن كوليدج ورئيس وزرائه وليم تافت، ثم تأخر الافتتاح تسعة أعوام كاملة لحين دخول ذيل التنين برج العذراء (أي يكون رأس التنين مقابل برج العذراء) ليفتتحه الرئيس الأميركي هربرت هوفر في ١٢ مايو عام ١٩٣٢.

(٢٦)

بعدما حددنا واخترنا الأرض الجديدة لتكون الأرض البديلة لبلاد إيجبت، ولتنطلق منها علوم الحضارة الحديثة، لم نتردد في المساعدة على إشعال الثورة الأميركية لتتحرر من الإمبراطورية البريطانية، فكان إعلان استقلال الولايات المتحدة الأميركية الذي وقع عليه خمسون قائدًا معظمهم من الماسون، وأصبحوا السادة المحركين لأقوى دولة في العالم. وفيما بعد قام ثلاثة عشر ماسونيًا بالتوقيع على الدستور الأميركي، وسيطر الماسون لدرجة أن كل رؤساء أميركا كانوا ماسونيين، باستثناء آيزنهاور وكينيدي ونيكسون.

سيطرنا على السياسة الأميركية ووقعت بالكامل تحت تأثير الماسونية المستنيرة الخفية، وتم ذلك عندما تحالفنا مع اليمين السياسي الأميركي لنسيطر تمامًا علي صنع السياسات الأميركية، واتخاذ القرارات في جميع مراكز الثقل الأميركية.

* * *

وضعتُ مخطوطات السامري على جانب وتساءلت: هل كنا على خطأ عندما انجررنا وراء الأبواق التي لا تعي الحقيقة وهاجمت الماسون ولم تعِ ـ كما هي حال معظمنا ـ أنهم أحفاد وتلاميذ أجدادنا الذين احتفظوا بعلومنا وحكمتنا ونقلوها وطبقوها في العالم الجديد؟ هل كنا على خطأ عندما عادينا أميركا ولم نعِ أنها التطبيق الثاني لحضارتنا وأنها امتداد لنا، وأنها هي الطريق الوحيد للبدء الحقيقي لدخول بلادنا للعصر الجديد إذا أردنا أن نعود؟

ألم تمنع أميركا سقوط إيجبت ـ مصر ـ ووقفت معها ضد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ولم تسمح بإعادة احتلالها؟

عندما أغلق جمال عبد الناصر كل المحافل الماسونية في مصر عام ١٩٦٤ وعاداهم وعادى أميركا بداعي الفكر العروبي "من دون أن يدري أصل الحكاية" اتجهت أميركا لإسرائيل وساعدتها في حرب ١٩٦٧ وانتصرت إسرائيل، ورغم أن الطريق كان مفتوحا وممهدا حتى القاهرة فإن إسرائيل وبأوامر من أميركا لم تتخط حدود سيناء. بعد حرب ١٩٧٣ أعادت أميركا تسليح جيش مصر بالكامل، وتعددت مصادر التسليح من كل أوروبا بموافقة أميركية.

هل كان السادات بعيد النظر عندما قال إن ٩٩٪ من أوراق الحل بيد أميركا؟!

* * *

الفصل الرابع

وصنعنا الثورة الفرنسية

هناك نخبة من الحكماء تحتفظ بالحكمة الصحيحة التي لا يقدر العوام على فهمها منذ آلاف السنين، فاضطرت تلك النخبة إلى إخفاء وترميز علومها لحمايتها من التشويه والتحريف ومن الوقوع في أيدي الأشرار.

(٢٧)

استمر تكسير العظام بين الماسون وفرسان المعبد من جهة، وبين الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى؛ وشاءت الأقدار أن تُضرب وحدة الكنيسة سنة ١٧١٧ بظهور البروتستانت. وكانت فرصة للانتقام من الكاثوليك، فأعلن الماسون تأييدهم للبروتستانت ضدَّ الكاثوليك، وأسسوا في ذلك العام محفل بريطانيا الأعظم، وكان أول وأكبر محفل من نوعه في ذلك الحين.

هذا ما حدث فعلاً، لكنه كان من ظواهر الأمور.

أما الباطن فاسمع مني أنا السامري وانتبه: لم تكن مصادفة أن تُضرب وحدة الكنيسة سنة ١٧١٧ بظهور البروتستانت، ذلك لأن يوم ٢٤ يونيو من نفس العام هو يوم عيد القديس يوحنا المعمدان، ويوحنا المعمدان لمن لا يعرف هو الأب الروحي لكل الحركات الغنوصية، وهي الحركات التي يمتزج فيها نموذج يوحنا المعمدان بالتراث الباطني وأسرار القبّالاه (الكابالا)، وهذا ما سوف أحكيه لك بعد قليل، لكن لاحظ أن اليهود كانوا يعادون يوحنا المعمدان، وقد سعى أسلافهم لقتله على يد الملك هيرودس.

كان هذا العام ١٧١٧ بداية تجميع لشتات الحكماء الماسون، إذ بدأت كل المحافل الصغيرة في إحضار ما لديها من وثائق لتكون في

يد محفل واحد رئيس، اجتمع الماسون في هذا اليوم وتم التأسيس العلني للمحفل الماسوني الأول في لندن، وبدأت الماسونية الرمزية بطقوسها ورموزها ودرجاتها التي لم تعد مقتصرة على البنائين، رغم ذلك تم الحفاظ على قوانين البناء وأدواته كرموز لمعانٍ تتعلق بالعمران البشري وليس المادي، وبعد ثمان سنوات أعلن الإيرلنديون بدورهم تأسيس المحفل الكبير في دبلن، ثم المحفل الأعظم في فرنسا عام ١٧٢٨، ثم أعلن الإسكتلنديون عن محفلهم عام ١٧٧٣، وفي الوقت نفسه خرجت مئات المحافل الفرنسية عن صمتها وانتشرت في المجتمع كالنار في الهشيم.

كل هذا تصادف مع ظهور البروتستانت الذين وقفوا معنا ضد الكاثوليك عام ١٧١٧م[١]

* * *

أصابت الاستنارة طالبًا بوليفيًّا وطفح عقله بالنور عندما اهتم بالقوى الخفية لأهرام بلاد إيجبت ـ مهد الماسونية ـ وبعدما اهتم بعلوم سيطرة العقل على المادة أو سيطرة اللاوعي على الوعي، وعندما زاد اهتمامه وتركيزه وصل لحالة من التنوير عام ١٧٧٠، قاده التركيز في

---

(١) البروتستانت تعني المعترضين، أسسها «مارتن لوثر» وهو واحد من أهم المُصلِحين الذين ظهروا في أوروبا واعترضوا على الممارسات الخاطئة للكنيسة الكاثوليكية في ذلك الوقت، بنى لوثر اعتراضاته على سوء استخدام الكنيسة للسلطة، والعقائد الخاطئة التي تتنافى مع تعاليم الكتاب المقدس.

أما الكاثوليكية Catholic فهي لفظ من أصل يوناني يعنى «الجامعة» ومن ثم فهي تنكر الكنائس الأخرى وتصر على أنها وحدها صاحبة الشأن في تحديد ماهية الإيمان وعناصره، وأن تحرم من ترى من حق الإيمان، وقد استقر هذا الأمر في معتقداتها، لهذا تنكر الكنيسة الأرثوذكسية Orthozox التي تعني «الطريق المستقيم» ولا تعترف بكنيسة البروتستانت وتعتبرهم مجرد جماعة دينية.

شكل الهرم ذي القاعدة المربعة العريضة والقمة الواحدة، إلى فكرة تحكم القمة الواحدة في القاعدة العريضة، وبالتالي إمكانية قيادة العالم بحكومة واحدة يتم خلقها عن طريق الثورات المنظمة، وتوصل هذا الطالب البوليفي إلى الكثير من النظريات والتطبيقات النورانية، وبدأ بنشر أفكاره الباطنية، ومن ثم أسس جمعية "النورانيون".

في خضم الغليان الرأسمالي في أوروبا، ومن فرانكفورت في ألمانيا، بزغ نجم عائلة ماير وكانت عائلة يهودية ماسونية غنية تملك بيت مال Counting house تقوم من خلاله بجميع العمليات والاتفاقات المالية وأهمها إقراض الأموال، وزاد بزوغ نجم هذه العائلة على يد ابنهم ماير باور Mayer Bauer، كان ماير باور متميزًا وعبقريًا ومهتمًا بقوى العلوم الباطنية، لهذا انجذب لنظرية قمة الهرم وقاعدته التي كتبها الطالب البوليفي ومولة بسخاء ليكتب له خطة يمكن بها السيطرة على العالم، وبالفعل قدم هذا الطالب خطة "النظام العالمي الجديد".

بدأ الاثنان معًا في الاستعانة بالعلوم الباطنية التي ورثوها عن الماسون، فغير ماير اسم عائلته من "ماير" التي تعني "فلاح" بالألمانية إلى روتشيلد Rothschild التي تعني الدرع الأحمر، وصمم درعًا أحمر وضعه على باب بيت المال الذي يمتلكه في فرانكفورت، كما غير الطالب البوليفي مؤسس الحركة النورانية أيضًا اسمه الذي لم يكن أحد يعرفه إلى آدم فايسهاوبت Adam Weishaupt وتعني آدم سيد المعرفة، ويبدو أن كلاً منهما قد اختار اسمه عن قصد بعد حسابات تعتمد على علمي الحروف والأعداد، ليكون لكل منهما اسم يحدد دوره في الحياة.

* * *

رأى المستنيرون في صحف إدريس (Hermetica) وفي مبدأ ماعت "العدل والاستقامة والنظام" مبادئ أفضل مما تدعو إليه الديانات التي سيطر عليها الكهنة واحتكروها وصنفوا الناس بين مؤمن وكافر تبعًا لموازين هم واضعوها، فساد الظاهر على الباطن. ويرى المستنيرون أنه بالرجوع إلى مبادئ ماعت يسود الباطن على الظاهر وتستقيم حياه الإنسان، ويصبح قلبه هو المعبد بدلاً من الأبنية الصماء، لهذا فهم يؤمنون بأنه لا يوجد صراع بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة والدين المصري القديم، إنما الصراع بين الكهنة الذين سيطروا على الأديان وبين مبدأ ماعت "العدل والاستقامة والنظام" وهي كلمات ثلاث يرددها الفرد السوي ويعمل ويتعامل بها.

صب كل هذا في صالح الحركة النوارنية ونجحت في استثماره.

لم يكن ليكتب للنورانية النجاح والقدرة على صد وتحمل الضربات الموجعة من الحكومات ورجال الدين، لولا ميزة الرمزية والسرية المفروضة على الجميع؛ الرمزية هي لغة الطقوس التي توحي بالرهبة والعلو.

أعطت السرية والرمزية لتلك الجمعية ميزة بناء درجات هرمية حادة، وكل درجة لها ما يناسبها من المعرفة التي تتناقل للأجيال التالية.

اندمجت النورانية مع الماسونية وصعد النورانيُّون لأعلى الهرم الماسوني، ثم توحدت المنظمات المتباينة في تنظيم واحد تحت اسم الماسونية المستنيرة، وتمت كتابة دستور هذا التنظيم تحت عنوان عريض يحمل تعاليم ربة العدالة ماعت: "العدل والاستقامة والنظام"

(٢٨)

تنافس رجال الدين الكاثوليك والبروتستانت على أيهما يستحوذ على السلطة في أوروبا، فاندلعت حرب الوراثة النمساوية، حرب السنوات السبع (١٧٦٣ ـ ١٧٥٦م) على كل الجبهات، وبانتهاء الحرب أصبح الجيش الروسي هو الأكبر في العالم، وظهرت بروسيا كقوة جيرمانية، وورثت إنجلترا مستعمرات البرتغال وإسبانيا وهولندا وتزايدت النعرة القومية فيها، بينما المصيبة الكبرى كانت من نصيب فرنسا التي خرجت بكارثة عسكرية وتردٍّ في الأوضاع وضياع للهيبة، لم يبق لفرنسا إلا نخبة مثقفة انكفأت تبحث عن حل لإخراج المجتمع المأزوم، فكان لا بد من أطروحة جديدة غير مألوفة.

عقل فولتير... انشغل ببناء منهج لهدم الخرافات التي اخترعها رجال الدين وجعلوها من الثوابت، لتقمع التفكير الحر وتتدخل في شؤون الحياة اليومية للبشر، اتهم فولتير رجال الدين والكهنة بأنهم هم الذين صنعوا علم اللاهوت ووضعوا فيه كل أسباب النزاعات والخلافات المريرة والحروب الدينية والتخلف، كشف فولتير عيوب المجتمع الفرنسي وقوض أركان صرح الخرافة ودافع عن قيم العقل والتفكير الحر، وأصبح واحدا من أهم منظري الثورة بكتابه العظيم "رسائل فلسفية". ومن أهم معتقداته أن الاستبداد المستنير هو مفتاح التقدم والتغيير.

قلبُ روسو... انتصر للعاطفة والانفعالات البشرية فتأسس تيار

رومانسي، ونشر جان جاك روسو كتابه «العقد الاجتماعي» وأرسى قواعد المساواة بين الحاكم والمحكومين، فالدولة تنشأ من خلال عقد بين الفرد والنظام، أي يحدث تطور من نظام طبيعي تسود فيه قيم الفرد إلى نظام اجتماعي يتنازل فيه الفرد عن بعض سلطاته لصالح المجتمع ككل، بهذا تنشأ إرادة عامة تعطي للشعب الحق في أن يغير حكومته متى شاء، هكذا أعطى روسو الشعب الفرنسي مفتاح الثورة.

كان روسو في باريس غريبًا عن مجتمعه، ورجال الثورة غرباء عن عصرهم، وتلاقى الغريبان، رحل روسو قبل قيام الثورة بأكثر من عشر سنوات، لكن الثوار قالوا: "نحن نحقق ما كان يريده روسو".

- انتصر فولتير للعقل البشري بكتابه "رسائل فلسفية" الذي أصبح إنجيل العقل ضد الأساطير.
- وانتصر روسو للانفعالات البشرية بكتابه "العقد الاجتماعي" الذي أصبح إنجيل التقدم ضد التخلف.
- وانتصر دريدور للمعرفة بكتاباته وكتابات علماء الموسوعة التي أصبحت إنجيل المعرفة ضد الكهنوت.

كذا هبت رياح عاتية على فرنسا وأوروبا كلها تبدد الكهنوت المتخلف وتوقظ العقل، وأصبح كل شيء جاهزًا للثورة.

(٢٩)

استغل فايسهاوبت "مؤسس النورانية" الاضطرابات الفرنسية، وأرسل من مقاطعة بفاريا الألمانية عام ١٧٨٤ رسالة إلى فرنسا فيها مخططات الثورة الفرنسية، وأصبحت الماسونية هي المسؤولة عن تدبير الثورة الفرنسية (١٧٧٩ ـ ١٧٨٩) ضد الكنيسة الكاثوليكية والملك لويس السادس عشر الذي قُطع رأسه، وكان من سلالة الملك فيليب الذي أذاقهم الويل.

قامت الثورة الفرنسية وأكثر من نصف أعضاء الجمعية العمومية أعضاء في الماسونية؛ ضمت كتيبة الحكماء الماسون أعلى مستويات الطبقة الفكرية والعلمية والثقافية الذين بشروا بقيم تعلي من قيمة الإنسان وحقوقه، أمام أنصاف الآلهة من الملوك ورجال الدين.

دخل فولتير في عضوية المنظمة الماسونية وذهب برفقة بنجامين فرانكلين إلى المحفل الماسوني الشهير La Loge des Neuf Soeurs في *باريس*، وانضم (ميرابو) أحد أشهر قادة الثورة الفرنسية، كما انضم (موليير) و(مونتسكيو) والأديب الألماني (جوته) والأديب الإيرلندي (أوسكار وايلد).

أما الموسيقار موزار الفنان الماسوني الذي كتب أوبرا "الناي السحري" وربط فيها بين الماسونية وأسرار بلادنا "أرض الإله إيجبت"، فقد اختار مسمى "الناي" ليتماهى مع مسمى "المزامير" فهو على علم بما فعلت الحكمة الإيجبتية وكيف أثرت وغيرت من متن

مزامـير داوود، ما أوحـى لبيتهوفن أن يختار تلـك المقطوعة بالذات "مقطوعة الناي السـحري" ليصنع منها تنويعـات توضح اتجاهه هو الآخر نحو الروح الإيجبتية.

انضـم للماسـون في مراحـل تاليـة (كارل ماركـس) و(جوزيف إنجلز) مؤسسـا المذهب الشـيوعي، و(فرويد) الطبيب وعالم النفس الشـهير و(داروين) صاحب نظرية النشـوء والارتقاء، وعالم الفيزياء الإنجليـزي (إسـحق نيوتـن) مكتشـف قوانين الحركة و(أينشـتين) صاحب نظرية النسبية، وغيرهم من العلماء.

وسرعان ما اخترقت الماسونية الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي السابق، والمائدة المستديرة في إنجلترا، ومجلس العلاقات الأميركية ومجلس إدارة الاحتياط الفيدرالي، وتقريبا اخترقت كل شيء وكل بيت وكل مؤسسة وكل هيئة وحركة في العالم كله، وحكمنا العالم من دون أن يدروا، وندري.

استطاعت الماسونية بشعارها الخالد "العدل والاستقامة والنظام" أن تجتذب إليها كل هذا العدد من الزعماء السياسيين ورؤساء الدول ورجال الأدب والفكر، فهم لا هدف لهم إلا تطور وسعادة الإنسان، إنهم لا يتدخلون في ديانة أو معتقد أحد، ويعتبرون كل إنسان مستقيم عضوًا معهم "فليُعلم أن الماسونية تَعُدُّ كل مستقيم السيرة والسريرة عضوًا فيها ولو لم يأخذ عهدها، وهي لا تقبل في أحضانها إلا من أتاها مختارًا".

فرض الحكماء الماسـون حكمتهم وقوتهم بعـد أن اكتملت الثورة الفرنسـية وأصبحـت هي الأم الشرعيـة لكل الثـورات التي جاءت بعدهـا ـ حتـى وإن كانت الثورة الإنجليزية أسـبق ـ وبمجرد ارتفاع

هديـر الثورة كتبوا بخط عريض تعاليم ربـة العدالة ماعت: "العدالة والاستقامة والنظام" ولظروف الأوضاع الاجتماعية الفرنسية والاستعباد وتردي الأوضاع تحولت تعاليم ماعت إلى "الحرية والإخاء والمساواة" وخرجت التعاليم إلى النور لتنير ظلمات أوروبا والعالم.

وقرر الماسون تكوين حملة فرنسية والذهاب إلى بلدهم القديم ومعقل علومهم "إيجبت".

الفصل الخامس
العودة

إن الآثار التي تركتها بصمات الجمعيات السرية في الدين والفكر والسياسة والإعلام ومسار التاريخ، قد تدفعنا للجزم بحقائق ينكرها حتى أتباع تلك الجمعيات.

جهز نابليون حملة عسكرية، قاصدًا بلاد إيجبت، واصطحب معه في حملته من العلماء أضعاف الذين رافقوا أي حملة أو غزوة عسكرية على مدار التاريخ، علماء من مختلف التخصصات العلمية وكان معظمهم من الماسون الذين جاءوا متلهفين على بلاد السحر والغموض والعلم والحكمة، جاءوا متلهفين لمقابلة الحكماء الإيجبتيين، جاءوا باحثين عن جذورهم وبلادهم القديمة "إيجبت ـ أرض الإله"، لم يجدوها بل وجدوا بلدًا اسمه مصر، وجدوا دولة أخرى وشعب آخر غير الذي تخيلوه، شعبًا نسي تاريخه وحضارته وتخلى عنهما وأضحى ينعت أجداده بالمساخيط الكفرة الذين يستحقون اللعنة، وجدوا شعبًا لم ينس فقط ماضيه بل تبرأ من هذا الماضي وحطم حضارته وغير اسم بلاده ولغته وانتسب لجيرانه وفقد كل شيء، تعجب الماسون المرافقون للحملة الفرنسية من تخازل طباعنا وسلبية ما ورثناه من طول وتنوع الاحتلال، فنحّونا جانبا وتعاملوا مع حضارتنا بمعزل عنا وأعادوا اكتشاف وترتيب تاريخنا الذي تبرأنا منه.

(٣٠)

مهدت الحملة الفرنسية في ثلاثة أعوام لإعادة ما تم تحطيمه ومحوه في ثلاثة وعشرين قرنًا من الزمان، قامت الاكتشافات والدراسات الجادة للبرديات وتم فك أسرار اللغة ومعرفة بعض من الحكمة القديمة فانبهروا بالتقدم العلمي والإداري والاجتماعي لحضارة تلك البلاد؛ في الوقت الذي كنا نحن أصحاب تلك الحضارة نتغنى بأمجاد الآخرين!

فصل علماء الحملة الفرنسية بين بناة هذه الحضارة العظيمة وبيننا، لأننا تمسكنا ببقاء الصلة مكسورة بيننا نحن المصريين المحدثين وبين أجدادنا الإيجبتيين القدماء، ومن حُسن حظ البشرية اختلاف الاحتلال الفرنسي عما سبقه، فكل المحتلين الذين أتوا من الشرق اعتبروا حضارتنا حضارة كافرة وعدوًا ينبغي استئصاله كليةً، أما المستعمرون الجدد فقد كانوا شديدي الاحترام لتاريخنا، لكنهم رأوا أنه ملك للبشرية وليس لنا ما دمنا تبرأنا منه وانتسبنا لغيره.

عمل الماسون على نفض التراب والغمام المتراكم فوق شخصيتنا من طول الاحتلال، وإعادة إحياء اللغة المقدسة القديمة بفك شفرتها بعد أن فرض علينا الغزاة لغتهم وثقافتهم، آملين إعادة إحياء البلد كله وترتيب أوضاعه. أطلع العلماء الماسون زملاءهم من قادة الحملة الفرنسية على حقيقة وضع وموضع الكثير من الآثار المختفية والمردومة تحت الأنقاض والرمال، وحثوهم على إخراجها وإعادة تجميلها وإظهارها والاهتمام بها، وعلى وجه الخصوص هضبة الأهرام وما تحوي، وتمثال أبو الهول الذي كان قد اختفى تحت الرمال، لقد كانوا يعرفون كل شبر في بلادنا وما يحوي من كنوز وأسرار.

حث الماسون أقرانهم من علماء الحملة الفرنسية على نقل زودياك معبد دندرة إلى باريس، فالزودياك يمثل القبة السماوية والبروج الاثني عشر، وأوضاع النجوم الثوابت والكواكب المتحركة، ليدخلوا في معركة حامية مع الكنيسة الكاثوليكية ليؤكدوا للعالم خطأها وهي التي كانت تدعي أن عمر البشرية لا يزيد على ستة آلاف عام تبعًا لحسابات التوراة، فطاف الماسون مع علماء الآثار باريس وهم حاملين الزودياك ـ دائرة البروج ـ ليرى العالم كله جانبًا واحدًا من حضارة عظيمة، جانب علم

الفلك (Astronomy) بعلومه وحساباته التي تؤكد أن لهذه البلاد تاريخًا لا يقل عن عشرة آلاف عام سابقة على تاريخ رسم تلك القبة الفلكية، فقد وجدوا أن أوضاع الكواكب ونجومها وتوزيعها الفلكي يحدد وقت صناعتها، وتم تقديره بنحو ١٤٥٠٠ عام، بمعنى آخر فهو تاريخ يسبق التوراتي لخلق آدم بستة آلاف عام على الأقل. ومن المعلوم أن الزودياك كان في سقف معبد حورس الذي أقيم مكانه معبد دندرة في عهد البطالسة، وأن ذلك التاريخ كان بداية التقويم الكهنوتي الذي يمثل بداية الحياة علي أرض الإله "إي جبت".

يذكر الدكتور محمد فؤاد شكري في موسوعته "الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر" أن "العلماء الذين وفدوا إلى مصر ينتمون إلى هيئتين منفصلتين هما (لجنة العلوم والفنون)، و(المجمع العلمي المصري) أما الأولى فكانت تلك التي تألفت في فرنسا كجزء من الحملة الذاهبة إلى مصر؛ وأما الثانية فكانت تلك التي تم تشكيلها في مصر بعد أن دخل بونابرت القاهرة (ويقدر عدد العلماء الذين حضروا إلى مصر بـ١٧٥ عالمًا) ومع بداية شهر أكتوبر عام ١٧٩٨ كان قد تم ترتيب مكتبة للعلوم الطبيعية ومعمل للكمياء ومكتبة للتاريخ الطبيعي، وطلب بونابرت إنشاء مرصد، ونُظمت الورش الميكانيكية وأنشأوا العديد من المصانع وورش النجارة، أما العلماء من قسم لجنة العلوم والفنون فقد رسموا آثار المعابد والتماثيل والهياكل والنقوش الهيروغليفية".

حثوا على كتابة موسوعة "وصف مصر" وفيها كتبوا وحصروا وأحصوا كل شيء عن السكان والصناعة والزراعة والعادات والتقاليد، بل وحتى أنواع الحيوانات والطيور والأسماك، لم يتركوا قرية أو عزبة إلا ووصفوها، ويرجع إليهم الفضل في ظهور علم (الإيجبتولوجي)،

أخرجوا كنوزنا ونفضوا عنها وعنا الكثير من الغبار وأحدثوا في أوروبا حالة هيام ببلادنا وصل لدرجة الولع (Egyptian mania)

قاموا بإنجازات لم تخطر على بال أي ممن احتل بلادنا مهما كان الغطاء الذي أتى تحته.

(٣١)

عاد الماسون مع الحملة الفرنسية إلى بلدهم القديم ومعقل علومهم "إيجبت"، وقرروا إحياء تجمعاتهم العلمية ومحافلهم القديمة التي كانت تقوم بهدف "بناء المعابد والمساكن بالأحجار المادية، وبناء الإنسان بالمعرفة المقدسة"، وعلى الفور أسس قائد الحملة الجنرال كليبر وعدد من ضباطه الماسون محفلاً سمي بمحفل إيزيس، واتبعوا في هذا المحفل نفس الطريقة التي كانت متبعة في معبد إيزيس بمدينة منف القديمة[1]، لذلك سُميت الطقوس المتبعة في هذا المحفل بطقوس الطريقة الشرقية القديمة. نجح محفل إيزيس تحت قيادة سيده الأول الجنرال كليبر، ثم أنشأ الإيطاليون محفلاً لهم عام ١٨٣٠م تحت مراقبة السلطات المصرية، ثم تأسس محفل فرنسي آخر سنة ١٨٣٨ تحت رعاية المجلس العالي الممفيسي الفرنسي واسمه مينيس، وبعد انسحاب القوات الفرنسية وسع الماسون نشاطهم عبر المحافل الكبرى الفرنسية والألمانية، وبحلول ١٨٦٠م تغلغلت

(١) منف أول عاصمة في تاريخ الدنيا لقطرين بعد توحيدهما في دولة واحدة ضخمة أطلقوا عليها «إيجبت» أي أرض الإله، وتوجد منف حاليا بجوار البدرشين، وفي معبد منف أكبر معبد لإيزيس وتجمع لكهنتها.

المحافل الإيطالية والإسكتلندية والألمانية في البلاد، بل وحضرت الماسونية التركية، ثم تأسست مجموعة محافل تحت اسم الأهرام بدءًا من محفل الإسكندرية عام ١٨٤٥م وكان تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي، وقام المحفل الأعظم الإنجليزي في القاهرة عام ١٨٦٧ بإنشاء محافل رمزية تحت رعايته، منها محفل الكونكورديا، ومحفل البلور؛ ومعظم أعضاء الأخير من ضباط الجيش الإنجليزي. وبعد ذلك أسست محافل أخرى منها محفل كوكب الشرق، الذي كان لا يؤمه إلا المصريون والحديث فيه باللغة العربية.

* * *

للماسونية عدة طرق، لكن أهمها وأقدمها طريقة "ممفيس" التي تسحر المتنسبين وتملأ قلوبهم رهبة وجلالاً برموز حضارتنا، في عام ١٧٨٣ أقام جوزيف بالزامو نظاما ماسونيا على خليط من معتقدات الفيثاغوريين والأفلاطونيين الجدد والصابئة والإسماعيليين، وفي سنة ١٧٨٤م أُنشئ أول محفل ماسوني في باريس على الطريقة المصرية، ودعوا طقس المكرَّسين والعاملين طقس "مصرايم"(!)، وأنشأوا محفلاً ماسونيًا تحت اسم قداسة الأهرام، وفي عام ١٨١٥ أسس صامويل هونيس (الذي كان يتردد كثيرا على القاهرة) محفلا في فرنسا باسم "حواريو ممفيس"، مستحضرًا حكمة كاهن مصري يدعى هرمس عاش في القرن الميلادي الأول، ونادى محفل لونوار سنة ١٨٤٢م بضرورة العودة للحضارة المصرية القديمة، وقالوا إن طريقة ممفيس مؤسَّسة على ذكريات عزيزة لمصر القديمة الخالدة، وإن في إحيائها إحياء للتاريخ المصري المجيد، وفي تثبيتها تثبيتًا للقومية المصرية، وإنها تفعم قلب المصري فخرًا بأمته وتحيي في نفسه شعوره بالعزة بأصله، وإنها خير أداة للتربية الوطنية

المصرية الصحيحة. واستطاعت هذه الطريقة جذب عدد كبير من محبي حضارتنا في مصر والخارج.

وانتشرت محافل ممفيس في أوروبا والأميركتين ومصر. امتلأت بلادنا بالمحافل من كل أنحاء أوروبا جنبا إلى جنب مع محافلنا الوطنية، محافلنا الوطنية التي نضحت بمخزون باطن حكمتنا وخفايا حضارتنا، ويأخذ المحفل المصري الأعظم للبنائين الأحرار شعارًا يدمج ويحوي كل شيء: البرجل والزاوية ومفتاح الحياة والشمس المجنحة مع الكوبرا.



شعار المحفل المصري الأعظم للبنائين الأحرار يدمج ويحوي كل رموز حضارتنا

(٣٢)

عندما آمن رأس السلطة بالماسونية انتخب المحفل الخديوي «توفيق» أستاذًا أعظم له عام ١٨٨١م، وتم تعين وزير العدل حسين فخري نائبًا لرئاسة المحفل، في يناير ١٨٩٠ طلب توفيق إعفاءه من رئاسة المحفل، فعقد أعضاؤه اجتماعًا وانتخبوا رئيسًا جديدًا هو إدريس بك راغب (ابن إسماعيل باشا راغب ناظر الجهادية والخارجية والخزانة في عهد سعيد) وشهد المحفل تحت رئاسته دفعة قوية، وكرس كل طاقاته وأمواله لصعود الماسونية المصرية.

حفر إدريس راغب اسمه بحروف من ذهب عندما طبق مفاهيمه على أرض الواقع، بإنشاء النادى الأهلي للتربية الرياضية واختار اللون الأحمر والطائر الفارد جناحيه ـ وهما رمزان ماسونيان ـ ليكونا رمزًا له، وعُقد أول اجتماع رسمي لمجلس إدارة النادي في تمام الخامسة والنصف مساءً يوم ٢٤ أبريل ١٩٠٧، برئاسة ميشيل أنس، في منزله بالجيزة، وعضوية كلٍ من إدريس راغب بك وإسماعيل سري باشا وأمين سامي باشا وعمر لطفي بك ومحمد أفندي شريف سكرتيرًا، وتمت الموافقة على تأسيس النادي وتم اختيار البريطاني ميشيل أنس ليكون أول رئيس للنادي.

مع مرور الوقت زاد التنافس بين الجمعيات الماسونية من حيث عدد القاعات والمحافل التي ظهرت في جميع أنحاء مصر، فتجد المحافل الإسكتلندية، والقاعات الفرنسية والإيطالية والإنجليزية،

جنبا إلى جنب مع المحافل الوطنية الكبرى في مصر.

في عهد الخديوي إسماعيل، عمل الماسونيون في مصر بشكل علني ورسمي، وكانت فروعهم تنتشر في طول مصر وعرضها، وكانت لديهم عشرات الجمعيات الخيرية، وأصدروا الجرائد والمجلات العربية وضموا في عضويتهم عشرات النخب المصرية والفنية والأدبية، وكانوا يقيمون طقوسهم الدينية في المعابد الفرعونية وبالقرب من الأهرامات علانية. واستمرت المحافل في ازدياد لدرجة أنه ما بين عامي ١٩٤٠ و١٩٥٧ كان هنالك ١٨ قاعة ماسونية مدرجة في القاهرة، و٣٣ في الإسكندرية، و١٠ في بورسعيد، و٢ في المنصورة، و٢ في الإسماعيلية وواحدة في كل من الفيوم والمحلة الكبرى والمنيا. وكانت أكبر وأهم قاعة ماسونية تقع في شارع طوسون رقم ١ في الإسكندرية، أما في القاهرة فكان محفل جريسيا وبولار (Grecia and Bulwer lodges) الذي كان يطل على ميدان "التحرير" الآن.

وكان أهم ما يميز تلك المحافل في كل أنحاء الشرق الأوسط هو وجود المسلمين والإنجيليين والكاثوليك واليهود في قاعات المحافل، على قدم المساواة، رافضين التفرقة وأي نوع من أنواع التمييز على أساس العقيدة.

(٣٣)

أيقن معظم المفكرين بأن الماسونية ليست ديانة، وليس لها علاقة بالمسيحية ولا تنتمي للصوفية اليهودية أو الإسلامية، إنهم فئة من العلماء والحكماء ورثوا بعضًا من العلم والحكمة الباطنية التي كان يمتلكها القدماء.

لهذا لم يتردد النابهون من المفكرين ومن رجال البلاد الوطنيين ومن القادة والوجهاء في الانضمام للماسونية، نذكر منهم الأمير حليم محمد علي باشا، والأمير عبد القادر الجزائري، وإبراهيم ناصف الورداني، والخديوي توفيق، والأمير عمر طوسون، والأمير محمد علي، وأحمد ماهر باشا، ومحمود فهمي النقراشي، ومصطفى السباعي (أحد قادة الإخوان)، وعبدالخالق ثروت، وفؤاد أباظة، وخليل مطران، وإسماعيل صبري، وحفني ناصف، وحسين شفيق المصري، واللواء عزيز المصري (الأب الروحي للضباط الأحرار)، وبطرس غالي والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ الإمام محمد عبده وهو رجل الدين الأكثر ليبرالية وعلمًا وتحضرًا، والذي كان حريصًا على الحصول على درجة الماجستير من المحفل الماسوني.

سأل الشيخ رشيد رضا الشيخ محمد عبده ذات مرة عن دخوله في الماسونية بعد أن تركها، فقال الشيخ محمد عبده مدحًا لها: (... إن عملها في البلاد التي وجدت فيها، كان مقاومة سلطة الملوك والباباوات الذين كانوا يحاربون العلم والحرية، وهو عمل عظيم كان

ركنًا من أركان ارتقاء أوروبا، وإنما يحافظون عليها الآن كما يحافظون على الآثار القديمة، ويرونها جمعية أدبية تفيد التعارف بين الناس). أهـ

أما جمال الدين الأفغاني فقد سعى للانضمام للماسونية بقناعة كاملة. ويؤكد تلك القناعة نص خطاب طلب انضمام المجاهد جمال الدين الأفغاني للمحفل الماسوني:

"يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين (الكابلي)[1] والذي مضى من عمره سبع وثلاثون سنة، بأنني أرجو من إخوان الصفاء وأستدعي من خلان الوفاء، أعني أرباب المجمع المقدس الماسون، والذي هو عن الخلل والزلل مصون، أن يمنوا عليَ، ويتفضلوا إليَ بقبولي في ذلك المنتدى المفتخر. ولكم الفضل".

سنلاحظ وجود ارتباط بين ما كان يؤمن به جمال الأفغاني مدرس العلوم الفلسفية، وما يراه في المحافل الماسونية، لهذا شبه المحفل الماسوني بإخوان الصفا، والمجمع المقدس، بل ويرى الماسونية التي يطلب الانتساب إليها هي مجمع خلان الوفاء المصان عن الزلل، بل ووصلت إلى مرتبة الكمال. لهذا عندما أراد الأفغاني أن يشد انتباه أعضاء المحفل الماسوني إلى أنه يعرف تمامًا العلوم والحكمة القديمة، ويؤمن بها كما يؤمن بأن الماسونية بمعتقداتها هي امتداد لما يعرف، قدم نفسه للمحفل الماسوني بأنه "مدرس العلوم الفلسفية في مصر المحروسة"، فتم قبوله.

بعد فشل ثورة أحمد عرابى، تم إلقاء القبض على عميد التجار

---

(١) الكابُلي: نسبه إلى كابُل عاصمة بلاد الأفغان، ولقد أطلق على نفسه فيما بعد لقب الأفغاني بدلاً من الكابُلي.

وقتها وكان من محافظة الشرقية بتهمة الدعم المالي لتمرد أحمد عرابي باشا، وأعلنت محكمة القوات البريطانية في القاهرة أن عرابي وأنصاره من الماسونيين، وهم مذنبون في التهم الموجهة إليهم، ومن أهمها التجرؤ بطلب استبدال بنظام الخديوي حكومة أكثر تمثيلا للشعب، فأتى محام ماسوني من لندن ليتولى الدفاع عنهم.

وبعد عدة عقود يعلن الزعيم محمد فريد رئيس الحزب الوطني، والزعيم الوطني سعد زغلول رئيس حزب الوفد، أنهما ماسونيان.

حاول "محمد فريد" النهوض بالجهاز السري للحزب الوطني (القديم) فأوكل تلك المهمة للنشيط "إبراهيم ناصف الورداني"، وسافر الورداني للآستانة في يونيو ١٩٠٩، ونسق مع جمعية الاتحاد والترقي للاستفادة من نجاح تجربتهم، وبمجرد عودة الورداني إلى مصر عمل جاهدًا على الدخول في الماسونية التي كانت أساس الحركة الوطنية في تركيا، وتم بالفعل تكريسه في محفل (الهلال) الماسوني في ٩ فبراير ١٩١٠[1]، ومن يومها يعد محمد فريد، قائد الحركة الوطنية المصرية بعد وفاة مصطفى كامل، هو مندوب الشرق الماسوني الأعظم العثماني في مصر.[2]

وجد سعد زغلول في العشرينات من القرن الماضي اهتمامًا غير مسبوق من المنظمات الماسونية، ففي سنة ١٩٢١ وضعت "المجلة

---

(١) د. وائل إبراهيم الدسوقي : الورداني واغتيال بطرس غالي الجد
http://waileldesoky.blogspot.com/2011/06/blog-post.html

(٢) جاء هذا في رسالة من السير جيرارد لوثر بالسفارة البريطانية في إستانبول بتاريخ ٢٩ مايو ١٩١٠ إلى السير شارلز هاردينج بخصوص استفسار من السير إلدون جورست، القنصل البريطاني العام بمصر، بتاريخ ٢٣ أبريل ١٩١٠ حول صلة محمد فريد كمندوب للماسونية العثمانية بمصر، بحركة الاتحاد والترقي.

الماسونية" صورته على أولى صفحاتها بعنوان "مشاهير رجال الماسون" وكتبت تحتها: "حضرة صاحب المعالي الأخ فائق الاحترام سعد زغلول باشا نائب أستاذ أعظم شرف بالمحفل الأكبر الوطني المصري"[1]. كان منصب سعد زغلول يلي منصب الأمير محمد علي (الأستاذ الأعظم) الشرفي أيضا، لكن ما أغضب البعض هو أن التقدير كله ذهب لسعد زغلول، في حين لم يحظ زميله عبد الخالق ثروت باشا وهو ماسوني مثله بتقدير مماثل.

غير هؤلاء يوجد عدد كبير من الأطباء والباشوات وموظفي الدولة، بل وبعض شيوخ الأزهر كفضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر. باختصار معظم وجهاء المجتمع في ذلك الوقت كانوا من الماسون، **ليس هذا فحسب، فيؤكد الشيخ محمد الغزالي في واحد من أهم كتبه[2] أن أهم قادة جماعة الإخوان المسلمين كانوا من الماسون، أمثال سيد قطب ومصطفى السباعي وحسن الهضيبي** المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين.

(٣٤)

يبدو معقولاً أن يكون حسن البنا الساعاتي مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ماسونيًا متشربًا بحكمة الماسون، وسوف نلاحظ أنه لم يستخدم اسمه الحقيقي، فالبنا ليس اسما لأبيه، كما أن الساعاتي

(١) الماسونية في مصر د. علي شلش نقلا عن المجلة الماسونية عدد ١ مايو ١٩٢١

(٢) كتاب (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث) للشيخ محمد الغزالي الطبعة الثانية ١٩٦٣

هي مهنة أبيه وليست اسما له، ويكشف شقيقه جمال البنا في كتابه (خطابات حسن البنا) عن هذه الحقيقة، فيذكر أن اسم والده المعلن كان "أحمد عبد الرحمن محمد"، وعندما عمل في إصلاح وبيع الساعات أطلق على نفسه عبدالرحمن الساعاتي، وعندما أقدم على الكتابات الدينية أطلق على نفسه اسم (البنا) ليصبح عبدالرحمن البنا، كما أطلقه على ابنه حسن الذي اشتهر باسم حسن البنا.

ولـن يغيـب عن فطنتكـم أن كلمة (البنـا) في حد ذاتها تشـير إلى البنائين الأحرار "الماسـون"، وبعد مقتل حسـن البنا وفي اجتماع الهيئة التأسيسية لتحديد المرشد الجديد طالب عبد الرحمن الساعاتي المراقب العام للإخوان المسلمين وشقيق حسن البنا بضرورة الاحتفاظ بلقب (البنا) على رأس الجماعة!

لم تكتف الجماعة بلقب "البنا" ولا بلقب "الإخوان" وهو اللقب المميز للإخوة الماسون، بل أدخلوا في تنظيمه بعضًا من أساليب الحكم والطقوس التي تتبعها الماسونية، بدءًا من بيعة النظام السري الخاص بالقادة، بأن يتم وضع اليد اليمنى على المصحف والمسدس، وهي غير البيعة العامة المعروفة، وكذلك التسلسل الهرمي والدرجات، كما قدم حسن البنا اقتراحًا بأن يحمل الإخوان اللونين الأحمر والأزرق وهما من رموز الماسونية الشهيرة، كما رفض حسن البنا أن يطلق عليه لقب الشيخ واستخدم في (رسائله) المنشورة إلى أتباعه تعبير (الأستاذ) وهو تعبير ماسوني خالص يطلق على أعلى الدرجات في الماسونية، كذلك مصطلح (أستاذية العالم).

على واجهـة الصفحة الأولى لجريدة "التاج المصري" لسـان حال

المحفل الماسوني الأكبر الوطني المصري العدد ٧٨٧ الصادر يوم الجمعة ٢٣ أبريل عام ١٩٤٣ مقال بعنوان:

لماذا صرت ماسونيًا؟

لحضرة الأديب الفاضل صاحب الإمضاء "سيد قطب".

كتب سيد قطب: *"كان ذلك منذ أيام حين تجاذبتني هذه العوامل وغمرتني لجة تلك الأحاسيس فكان أول سؤال قفز أمام عيني، ذلك السؤال لماذا صرت ماسونيًا؟ حاولت من هذا السؤال خلاصًا بل من هذا الأمر فكاكًا، ثم لم ألبث حتى عجبتُ من أمر نفسي وساءلتها لم هذه الحيرة وهذا التردد؟ فأجابتني السؤال سهل وميسور والجواب من القلب للقلب، فعرفت عندئذ أني صرت ماسونيًا لأنني أحسست أن الماسونية بلسم لجراح الإنسانية، طرقت أبواب الماسونية لأغذي الروح الظمأى بالمزيد من الفلسفة والحكمة، ولأقتبس من النور شعلة بل شعلات تضيء لي طريق الحياة المظلم، ولأستمد قوة أحطم بها ما في الطريق من عراقيل وأشواك، ثم لكي أكون مجاهدًا مع المجاهدين وعاملاً مع العاملين.*

لقد صرت ماسونيًا، لأنني كنت ماسونيًا، ولكن في حاجة إلى صقل وتهذيب، فاخترت هذا الطريق السوي، لأترك ليد البناية الحرة مهمة التهذيب والصقل، فنعمت اليد ونعم البناؤون الأحرار.

عرفتُ أن الماسونية ليست مبدأ أو مذهبا يعتنق، وإنما هي الرجولة والإنسانية التي تدفع بالإنسان إلى عمل الخير دون وازع إلا وازع من وجدانه وضميره، هي روح عالية نبيلة تسمو بالإنسان عن الصغائر وتنزهه عن الترهات والسفاسف، هي المثل الأعلى لكل من ينشد

كمالاً أو يبغي رفعة ومجدًا، هي الفضيلة التي تنطوي على أسمى المعاني وأشرف المقاصد وأنبلها، هي مبدأ الكمال ومنتهاه.

الماسونية هي الوحدة التي تجمع بين مختلف الأديان ولا تعرف للتحزب معنى، ولن تجد لكلمة التعصب مكانًا في شرعها، هي التعويذة السحرية التي تؤلف بين القلوب جميعها في أقصى الشرق أو أدنى الغرب، هي المكان الوحيد الذي يستطيع فيه الجميع، الصغير منهم والكبير، أن يتصافحوا مصافحة الأخ لأخيه، ويجلسوا جنبًا إلى جنب، دون نظر إلى فارق اجتماعي أو مركز أدبي، ولا غرو في ذلك إذ إن دعائمها وأسسها مشيدة على الحرية والإخاء والمساواة، فما أعظمها دعائم وما أقواها من أسس وما أبدلها من مبادئ" انتهى المقال.

استفاد الإخوان المسلمون من حكمة الماسون ونظامهم وتنظيمهم وترتيبهم فنجحوا وانتشروا في العالم كله، ولهم حظوة في بريطانيا وأميركا بالذات، قبل أن يستخدموا السلاح ويتحولوا لجماعة إرهابية.

(٣٥)

الاهتمام الأوروبي بحضارتنا جعلنا نشعر بالتقصير في حق بلادنا وأنفسنا فنشطت ذاكراتنا واهتزت چيناتنا فتغيرنا قليلاً... ومن مظاهر هذا التغير أن يوم افتتاح مقبرة توت عنخ آمون خرج الناس في مظاهرة شعبية غطت الأقصر وكان يومًا مشهودًا، وأرسل سعد زغلول رئيس الوزراء في ذلك الوقت قطارًا خاصًا حمل الوزراء وكبار رجال الدولة للمشاركة في حفل الافتتاح، وأعلن المصريون

تصميمهم على ألا تغادر أي قطعة من محتويات المقبرة إلى خارج بلادهم؛ وكان من أثر هذا الحدث البدء بالاهتمام بدراسة الآثار وتخريج رواد في هذا العلم، وإفراز حماس منقطع النظير بدت مظاهره في تمثال نهضة مصر وضريح سعد زغلول ومنازل بعض كبار الحركة الوطنية التي بنيت على الطراز الإيجبتي القديم، بل وظهرت حركات وطنية تبنت أيديولوجيات إحياء تاريخنا القديم كحركة "مصر الفتاة" التي بدأت عام ١٩٣٣، استمرت الماسونية عاملة في مصر بشكل علني وشرعي، حتى اختير فؤاد سراج الدين باشا سكرتير حزب الوفد ووزير الداخلية سنة ١٩٥٠ أستاذا أعظم للمحفل الأكبر الوطني المصري. وأصدر المؤتمر الماسوني المثالي المنعقد في بيروت في يونيو ١٩٥٠ قرارًا بتأييد المحفل المصري "برئاسة صاحب الشوكة معالي فؤاد سراج الدين باشا"[١]

واستمر الإحياء مع ثورة ١٩٥٢ التي وضعت تمثال رمسيس الثاني في أكبر ميادين مصر وأطلقت عليه اسمه، وصكت صورة أبي الهول على العملة المصرية والصقر حورس على الطائرات.

أحدث النظام الثوري الجديد تغيرات سريعة في جميع مؤسسات النظام القديم ولم يمس الماسونية، ففي يونيو ١٩٥٣ نشرت مجلة الفن تحقيقا مصورا بعنوان "مجلة الفن تتسرب إلى القاعات السرية بالمحفل الماسوني"؛ تثبيت يوسف وهبي رئيسا لمحفل الفنان المصري، وتكريس محسن سرحان. وجاء في التحقيق[٢]: "كان ذلك في مساء الثلاثاء الماضي، وقد حفلت الدار الماسونية بجمهور كبير من الفنانين

---

(١) دائرة المعارف الماسونية، حنا أبو راشد، مكتبة الفكر العربي بيروت صفحة ٣٨٩

(٢) مجلة الفن ١٥ يونيو ١٩٥٣ صفحة ٦ ، ٧

الماسون، نذكر منهم يوسف وهبي ومحسن سرحان وفريد شوقي وأحمد كامل مرسي ومحمود المليجي وفؤاد شفيق وعبد السلام النابلسي وحلمي رفلة وحسين رياض... وغيرهم كثير.

ومع العدوان الثلاثي على مصر بدأت الدعاية الخاطئة عن وجود ارتباط بين الماسون وبين اليهود المكروهين، وأن علومهم وأسرارهم مرتبطة باليهودية وليست ببلادنا صاحبة الحكمة والأسرار الموغلة في القدم، وبدأ الحماس الحضاري لبلادنا في الانطفاء بتبني زعيم الثورة العظيم عبد الناصر قضية العروبة قوميًا، كما ارتدت حركة مصر الفتاة إلى تبني قضية السلفية دينيًا، وانتهت الصحوة في ١٦ أبريل عام ١٩٦٤ بقرار رسمي ـ عروبي ـ بإغلاق وحلِّ المحافل الماسونية في جميع الأراضي المصرية، وسوف نُدهَش من كمية المحافل التي كانت موجودة وآمنة طوال فترة الحماس الحضاري المصري لحكم الزعيم عبد الناصر، وتم حلها بناءً على قرار وزيرة الشؤون الاجتماعية الدكتور حكمت أبو زيد وهي:

١ ـ المحفل الماسوني اليوناني. ٢ ـ محفل خوفو بالقاهرة ٣ ـ المحفل الأكبر الوطني لوادي النيل بالإسكندرية وفروعه بالإسماعيلية، وهي (محفل إسماعيل ـ محفل زيتون ـ محفل المساواة) ٤ ـ جمعية الشرق الأكبر المصري وفروعها في بور سعيد والقاهرة والإسماعيلية وهي(محفل التوفيق ـ محفل القومية ـ محفل سولون ـ محفل جاريبالدي ـ محفل فينكس ـ محفل جلوت ـ محفل لايركبيون ـ مقام إيزيس ـ محفل التحرير ـ محفل الوحدة ـ محفل أوزوريس ـ مقام جلوت ـ محفل فتراتيوس ـ محفل إسماعيل ـ مقام سولون ـ محفل هارميس ـ محفل لايرنيكسون ـ محفل إيزيس)

ثم سيطرت الأصولية المتأسلمة على البلاد ودخلنا نفقًا آخر مظلمًا مسدودًا، وأصبحنا بين شقي الرحى، شق عروبي يدمغنا بالخيانة القومية، وشق وهابي يدمغنا بالكفر الديني.

الفصل السادس

السامري وسليمان
والباطنية الغامضة ورأس المال

لن ندرك الأسرار الخفية إلا بإحاطة وتغليف علوم الطبيعة بعلوم ما وراء الطبيعة.

ظهرت القدرات العقلية للرجل الأوروبي الغربي بنهاية القرن التاسع عشر، بعدما أزاح عن طريقة كل ما هو خارج العقل، خاصة المعوقات الدينية، ما أدى لاكتشاف كم هائل من النظريات العلمية والاجتماعية سواء كانت مادية أو جدلية. بيد أن الأميركي تفوق عليه بأن استغل كل النظريات التي أنتجها الأوروبي وحولها من نظريات ومعادلات صماء إلى صناعات ذات قيمة وفائدة، فالنظريات العلمية الأوروبية تحولت إلى تكنولوجيا أميركية، والنظريات الاجتماعية الأوروبية تحولت إلى تطبيقات ملموسة حية تفيد البشرية.

كيف تم هذا؟

اعتمد الماسون في تأسيس وحكم أميركا على خطين شديدي الأهمية.

- خط المال.

- خط العلوم الباطنية.

خط المال... واضح أنه استثمار وتراكم رؤوس الأموال.

خط العلوم الباطنية... غير واضح أنه عالم من الأسرار الخفية حيث تم دمج الرموز والعقائد السرية الإيجبتية مع الثقة في الإله السماوي، تحت عبارة "في اللـه نثق" أي توكلنا على اللـه.

من أهم المصادر التي أمدت الماسون بعلومهم وأسرارهم الباطنية، كتاب قديم توارثوه من آلاف السنين يدعى (كتاب تحوت) أو (كتاب كابالاه).

(٣٦)

أراد النبي سليمان أن يستأثر بعلوم الماسون لنفسه، فبعثَ جنوده وجمعَ الكتبَ، ثم دفنها تحت عرشه وأمر بإعدام كل من يقرأها أو يتعلمها، حتى يصبح مالكًا لُمك لا ينبغي لأحد من بعده، هكذا دعا سليمان لنفسه.

وكان من نتيجة هذا الدعاء أن عمل له الجن ما يشاء:

اقتباس: **﴿... من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾** سورة سبأ

انحصرت عقلية المفسرون داخل حدود مُلك مادي وتفسيرات مادية بسيطة من البيئة المحيطة، جعلت غاية ما يستطيع سليمان عمله هو محاريب للصلاة، وتماثيل لا نعرف لماذا صنعها وما حاجته إليها، وأطباق طعام كبيرة، وأوانٍ ضخمة للطبخ!

أهذا كل شيء؟ نعم! رجل يهبه ربه ملكا عظيمًا، ويُسخّر له الريح، والجن والعفاريت، ومنطق الطير، وما لم نعلم، ويؤتيه من كل شيء سببًا. نتوقع أن نرى منه عجائب الصنعة والاختراعات والآلات المدهشة، نتوقع أن يفوق في صنعته من سبقوه في سلم الحضارة البشرية، أو على الأقل يأتي بمثل ما صنعوا بعقل الإنسان دون معونة العفاريت والشياطين والجن الغواص، نتوقع أن نرى مثل ما رأيناه في حضارات بلاد إيجبت والصين والهند وبلاد ما بين النهرين، أو على الأقل نرى مثل العجلات الحربية التي صنعها الهكسوس أيام أجداده

يوسف وموسى، بل ويطالب البعض بأنه كان على سليمان أن يرينا ويترك لنا أكثر مما نرى اليوم في حضارتنا الحديثة؛ كان عليه أن يترك لنا علمًا وتكنولوجيا وصناعات وعجائب متعددة ومستمرة، وليست مجرد عجائب فردية تحققت مرة واحدة أسموها معجزات وسمعنا عنها مجرد سمع في الكتب الدينية ولا ذكر لها في التاريخ والآثار. لكن أن يكون جل ما نرى هو محاريب وتماثيل وأطباق و"حِلل"، وديالوج مع هدهد ونملة، وعفريت من الجن يأتي له بعرش ملكة، فهذا ما يجعلنا نقف ونشغل عقولنا التي أوقفوها على قصص ساذجة اعتمدت على تفسير سطحي، اعتمدوا فيه على السلف القديم بقدر ما كان يملك من علوم بسيطة وخيال محدد، بما لا يتفق ولا ينسجم أبدا مع ما أُعطي سليمان من معطيات القوة، ألم يؤتيه ربه من كل شيء وجعل له ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده؟!

للأسف الشديد... لقد فسروا (الجياد) كما فسروا (الجفان) كما فسروا (القدور الراسية) كما فسروا (تماثيل) بنفس الفكر الرعوي الفقير. لهذا ليس غريبًا أن يجعلوا من (المنسأة) مجرد عصا يتكئ عليها سليمان ليأكلها النمل ويسقط.

قال تعالى في سورة سبأ ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾ ١٤ سبأ

ولنا أن نسأل إن كانت المنسأة هي العصا، فلماذا استعملها القرآن ولم يستعمل كلمة عصا التي استعملها ولم يذكر غيرها طوال قصة موسى؟

الآية تشير إلى أن الناس استدلوا على موته عندما رأوا دابة الأرض

"تأكل" منسأته، بالفعل المضارع أي في لحظة حدوث الأكل، ذلك لأن المنسأة كتاب يحتوي كلامًا مقدسًا، عرف الناس أنه مات فورًا لمجرد أن تجرأت دابة الأرض وأخذت "تأكل" المنسأة.

تبين للناس وحدهم موت سليمان ـ فهم العقلاء ـ ولم يتبين للجن الذين ظلوا في العذاب المهين حتى خر سليمان، ولما خر عرفت الجن أنه قد مات، فقط عندما خر تبينت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحرروا من العذاب المهين. إذن للقصة دلالات وأشياء أخرى غير ما يروى، تستحق أن تروى.

ـ دابة الأرض: شيء يدب على الأرض، وليست حشرة من الحشرات المعروفة بأسمائها.

ـ أكل: ليس معناها بالضرورة أكل الطعام، فللكلمة دلالات ومعانٍ أخرى، فقد تأتي بمعنى "أخذ" على غرار الآية ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾.

كما قد تأتي بمعنى يستحوذ ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾.

ـ منسأة: مصطلح إيجبتي يتكون من كلمتين:

الأولى "من": بمعنى بقي ظل استمر دائم ثابت راسخ مقيم مؤسس. كما أوردها والس بدج في قاموسه الأشهر صفحة ٢٩٦ الجزء الأول.

men, Rev., to remain, to abide, to continue, to be permanent, to be stable, fixed, abiding, stablished; , doubly

الثانية "سأة": بمعنى الحماية كما أوردها والس بدج صفحة ٥٨٥

men, Rev., to remain, to abide, to continue, to be permanent, to be stable, fixed, abiding, stablished; , doubly

وتترجم بمعنى حماية، شيء يعطي أو يجلب الحماية، تميمة، طلسم، حرز.

أما هذا الرمز الموجود مع نصفي الكلمة فهو علامة تفسيرية بمعنى كتاب يحتوي كلامًا مقدسًا أو حكمة أو طلسمًا.

فتكون المنسأة هي الكتاب الراسخ الذي يعطي الحماية، كتاب به حكمة وعلوم قديمة يعرفها الماسون، وبحث عنها فرسان الهيكل بمجرد وصولهم لهيكل سليمان.

(٣٧)

تحوت هو الملاك أو الرسول الذي ينقل الأوامر من عالم الروح إلى العالم المادي، على شكل إنسان برأس أبي منجل هو وحده الذي يستطيع الانتقال بين العوالم كأنه يقف بين عالمين، ينقل الحكمة والمعرفة، كان يسجل الأعمار على أوراق شجرة الحياة، وكل من انتهى عمره تذبل ورقته وعندما تسقط يموت، هو كائن سماوي عَلم الإنسان الكتابة والنقش المقدس، والطب والهندسه، وآلية القدر التي تعمل من خلال الدورات الكونية الكبرى وحركة النجوم والكواكب وعلم الخيمياء (الصوفية الإيجبتية) وموسيقى الأفلاك التي اشتقوا منها موسيقى البشر، قام تحوت بتدوين أسرار السماء برموز وشفرات، ثم كشف عنها في كتبه المقدسة.

كتب تحوت ٤٢ كتابًا من التعليمات وطرق الوصول للخلود، كما دون كتابين آخرين أحاطهما بالسرية واحتفظ بهما في مأمن، كما لو كان قد كتب عليهما "سري للغاية".

كتابان يطلق عليهما البعض ألواح تحوت الزمردية، يحويان الكثير من الأسرار الخاصة بعلم الخيمياء والحكمة الصوفية، تعد مفاتيح تتحدث إلينا من مستوى أعلى وأرقى من مستوى العقل، لهذا فهي لا تخاطب العقل والمنطق بل تخاطب اللاوعي.

بالكتاب الأول نصوص مقدسة تمنح من يقرأها قوة خارقة تجعله يفهم لغة كل المخلوقات التي تدب على الأرض من الطيور والحيوانات،

كما يستطيع السيطرة على أسماك البحار والأنهار ورياح السماء. أما الكتاب الثاني فيحتوي على نص يجعل من يقرؤه يتمكن من رؤية الصورة الباطنية الحقيقية للمخلوقات، ويعطى قدرة على إحياء الأموات. لم يشأ تحوت أن يجعل كتابه الذي خطه بيده متاحا للعامة فأخفاه داخل تابوت ثم أخفى التابوت، بعد ذلك دارت كل القصص حول فكرة العثور على هذا الكتاب المقدس الذي كُتب في الزمن الأول زمن النشأة الأولى.

تقول رواية إنه تم العثور على النسخة الأصلية التي خطها تحوت بيده، أو ربما تكون منسوخة عن النص الأصلي، إنها نصوص حيرت العلماء في فهمها لغرابتها فهي مكتوبة بلغة الرمز وعند قراءة الترجمة الحرفية لها تبدو غامضة وغير مفهومة بالمرة؛ حاول جابر بن حيان ترجمتها، أما إسحق نيوتن فقد ترجم جزءًا منها فوصل لما وصل إليه، وأما سليمان الحكيم فقد امتلكها وامتلك من ترجموها وشرحوها له، هكذا قالوا.

تقول رواية أخرى إنه تمت طباعة أشكال ورموز تحوت على بطاقات على شكل أوراق الكوتشينة سُميت أوراق "التاروت" Tarot، وهي عبارة عن ٧٨ كارتًا كانت بحوزة الغجر Gypsies الذين هاجروا من بلادهم إيجبت في أثناء الثورات والاضطرابات، وسوف تلاحظ اسمهم المشتق من اسم بلادهم إيجبت Egypt، ولقد استخدموها للتنبؤ بالمستقبل، منها ٢٢ كارتًا من يجيد قراءتها ويفك رموزها يستغني عن كل العلوم.

ويقال إن بعض علوم تحوت تسربت، وعُرفت بأنها الرموز والعقائد السرية والتعاليم الباطنية التي تعمل على اندماج قوى الطبيعة وقوى ما وراء الطبيعة، وتعتمد على قوانين الخلق والتكوين

والتشـفير والتنجيـم[١] بهـدف المعرفـة وإدراك الأسرار الخفية تحت مسمى كابالاه[٢].

كابالاه تعاليم شاملة "للروح والنفس والإله" وهو مصطلح إيجبتي مكون من ثلاث كلمات بسيطة يعرفها أي مبتدئ في لغتنا القديمة.

كا: الروح أو القرين

با : النفس

لاه: إله

عـبر العصـور تمكن حكـماء كل أمة بـل وكل عقيـدة أن يدركوا التنوير ويكشـفوا كثير من المسـتور، بفضل رموز تحوت التي أنارت الطريق في غمرة الظلام لخلاص الإنسانية.

عرفنا أسرار الملك سليمان، فقد كان كنزه صيغة أو طلسمًا أو طريقة لقراءة باطن الكائنات الحية والتواصل معها، كما كان يملك رموزًا لخلق الثروة والمال. هذه الرموز هي نفسـها التي استخدمها فرسان الهيكل بعدما اطلعـوا على بردياتنا القديمـة وأسرار مخطوطات تحوت "التي استأثر بها سليمان وحرمها على غيره" وسيطروا على اقتصاد العالم.

---

(١) الكثير من كهنة الكبالاه يعتقدون بأنهم يملكون شفرة التعامل المباشر مع الطاقة الكونية، التي تتكون وتتركز في أوقات فلكية محددة تكون فيها في أوجها.

(٢) حاول اليهود أيضًا إقناع العالم بأن الـ(كبالاه) كلمة عبرية قربوها قدر استطاعتهم من كلمة موجودة في لغتهم هى كلمة «قَبل» بمعنى استقبل واستلم. وقالوا إن الكابالاه مشتقة من «قبل»، وصدقهم العالم، وكذبناهم.

(٣٨)

المعرفة السرية تفتح بوابات تفصل بين العقل الواعي والعقل الباطن، وتؤدي إلى حكمة غامضة بالغة القوة تُمكّن من يصل إليها من إخراج قدرات خارقة كامنة في عقله، كأنه أصبح عبدًا ربانيًا يقول للشيء كن فيكون.

"البوابات لا بد من عبورها لمن يريد الاستنارة، وللعبور طقوس"

الباطنيــة تدل على تيار فكري يعتقــد أصحابه أنهم يتلقون علمهم بالكشــف والإشراق، أي بالحدس والإلهام، وليس الوحي الذي يأتي للأنبيــاء، ويســاعدهم على ذلك الإيمان بالمعرفــة المخفية بين ثنايا كل أنــواع كتــب الحكمة والكتب المقدســة، ويتم التوصــل لتلك المعرفة عن طريــق تجلي الحقيقة على العقــل، ويتم ذلك بالبعــد عن الماديات والإكثار مــن الصوم والرياضات الروحية والصلاة والتأمل، وعلوم خاصــة مثل علم الفلــك والجفر وعلوم الأعــداد والحروف... إلخ، وهي علوم تســاعد على كشــف التأويل الباطني للرموز واســتخراج الحكمة المخفية منها.

لكل رمــز مضمون باطني ومضمــون ظاهري، **الظاهــر له دلالة شكلية ونســب وأعداد وعمليات حسابية وهندســية وأوقات فلكية يتم تنظيمهــا لتكون لها معانٍ ظاهرة. أما الباطن فهو مضمونه الخفي، هو ما نريــد أن نخفيه داخل تلك الدلالات والمعاني الظاهرة،** فيصبح المعنى الحقيقي مخفيًا وغير مرئي.

لكن الرموز المبهمة تسببت في سوء الفهم، وسوء الفهم أدى لكراهية تلك الرموز ومحاربتها؛ فاستغلت القوى الدينية سوء الفهم هذا للتنفير من الثقافات والرموز القديمة وعملت على محو معناها الأصلي، بل وتعمدت تكفير مستخدميها في محاولة لتشويه ما عداها وكسر شوكة أي ثقافة مخالفة. استخدم أصحاب التوراة ومن بعدهم المسيحيون كلمة "الوثنيين" ثم استخدم المسلمون كلمة "الكافرين" دلالة على أصحاب الأديان الأخرى للتقليل من شأنهم، رغم أنهم قد تأثروا بتلك الأديان ونقلوا عنها في تراثهم ثم كفّروها؛ وشنوا حملة شعواء ظالمة قدموا فيها رموز تلك الأديان وأصحابها على أنهم من المهرطقين وممارسي السحر والشعوذة، بل وأحيانًا من عبدة الشيطان، لكنهم جميعًا فشلوا في محو تلك الرموز التي دامت لمرونتها وقوتها وسيطرتها.

(٣٩)

كان الهدف والغاية الرئيسة لفرسان الهيكل هو العثور على الكتابات والآثار التي تخص التقاليد الإيجبتية السرية القديمة، تلك التقاليد التي جعلت السامري يقوم بالخلق؟ وجعلت قارون يضع يده على كنوز هائلة ويقول إنها أتته على علم عنده، وجعلت سليمان يدعو بملك لا ينبغي لأحد من بعده، أسئلة كثيرة دارت في عقول الفرسان وهم يحفرون ويبحثون تحت هيكل سليمان، وحصل الفرسان على مبتغاهم من أسرار الحكمة السرية.

اعتبرت جمعية لندن الملكية نفسها الوريث الأول لمدارس الحكمة السرية في بلاد إيجبت القديمة، لدرجة أنها لُقبت بالكلية التي تحمي التقاليد السرية القديمة، رغم تأسيسها عام ١٦٦٠م لتحسين المعرفة الطبيعية (جمعية لندن الملكية لتحسين المعرفة الطبيعية) Royal Society of London for the Improvement of Natural Knowledge

تميزت بأنها ناد راق للنخبة، وترجع جذور الجمعية إلى مجموعة من الرجال المهتمين بالعلم ومن أمثلة كبار العلماء الذين ارتادوا «الجمعية الملكية» إسحاق نيوتن وتشارلز داروين ومايكل فاراداي وروبرت بويل وجيمس وات وألكسندر فليمنج وألبرت أينشتين. ومن العلماء المعاصرين اختصاصي البيولوجيا التطورية ريتشارد دوكينز، وعالم الفيزياء والفضاء ستيفن هوكينج، ومهندس الشبكة العالمية للكومبيوتر السير تيم بارنرز لي، إضافة إلى أكثر من أربعين فائزًا بجوائز نوبل.

تسبب "نيوتن" وهو من أعظم العلماء وصاحب أكبر العقول العلمية، في صدمة للعالم عندما تم اكتشاف أوراقه السرية التي اشتملت على رسالة كتبها بخط يده إلى صديقه مكتشف قوانين الغازات العالم روبرت بويل(١) طالبه فيها بالتزام الصمت "بخصوص المعرفة السرية التي وصلت إليهما وتعلماها"، ولم ينس نيوتن تذكير صاحبة بأن "تلك الأوراق -

---

(١) روبرت وليام بويل عضو بالجمعية الملكية فيلسوف طبيعي، كيميائي، فيزيائي مخترع ويعد من أبرز الذين عملوا في مجال الغازات وخواصها، درس العلاقة العكسية بين الضغوط والأحجام للغازات المختلفة عند ثبوت درجة الحرارة في نظام مغلق، ووضع بذلك قانونًا يعرف الآن باسمه «قانون بويل» وله كتابات عديدة في علم اللاهوت. كان روبرت بويل خيميائيا اعتقد بإمكانية التحويل بين العناصر وبعضها، ويعتبر كتاب الكيميائي المتشكك هو أول كتابات بويل، وقد ناقش فيه التجارب التي حاول فيها العلماء إثبات أن الملح والكبريت والزئبق هي المواد الأساسية الحقيقية.

التي وجدوها ـ لا يمكن نشرها حتى لا تتسبب بضرر هائل للعالم"، ولا يخفى على أحد أن نيوتن قد وصل لقمة الدرجات العليا من درجات الماسونية، وكان من أكبر الممارسين لطقوس الكبالاه والمطلعين على الأسرار الإيجبتية؛ وأعظم من اهتم بالخيمياء والعلوم الباطنية.

"لقد وصل إلى كثير من العلماء معارف وأسرار جمة مقفول عليها ولا توجد معلومات عنها ولا يسمح لأحد بالهمس حولها".

شكل أربعة من أهم العلماء في التاريخ النواة الأولى لدخول أميركا معترك السلاح النووي من بينهم أبو القنبلة الهيدروجينية، ومنهم أول من صنع الصواريخ العابرة للقارات، هذا الرباعي الأهم في تاريخ أميركا كانوا من الممارسين لطقوس الكبالاه والأسرار الإيجبتية، ونجحوا في عبور أهم وأصعب طقوسها وأسرارها. وظل هذا الأمر خافيًا حتى أفشته عشيقة العالم جاك بارسونز Jack Parsons وهو مهندس صورايخ أميركي، متخصص في هندسة الطيران والفضاء الجوي ومجال دفع المركبات الفضائية، فقد صرحت للصحافة في منتصف عام ١٩٤٨م بأن جاك بارسونز قد نجح بحضور باقي العلماء في اختراق خط الهاوية Abyss line.

وقبل هؤلاء الأربعة صرح "أينشتين" بأنه لم يكتشف نظرية النسبية بل نُزلت عليه.

هل حصل العلماء ـ بطريقة ما ـ على معارف معينة كانت كافية لتغير اتجاهاتهم وعقولهم؟ هل حصلوا على شيء ما واطلعوا عليه؟ هل هي "كابالاه" Cabala، وكتاب تحوت؟ إن اكتساب المعارف السرية والعلوم الباطنية تزيل حواجز وتفتح بوابات ترتقي بالعقل ليصبح فوق المادة، حقًا العقل فوق المادة، إنه يستطيع تغيير حالتها بل ودفعها للتحرك في

اتجاه معين، اتجاه قام هو بتحديده مسبقًا. هل هذا يكفي لتوليد النظام من الفوضى؟

رغم تحريم العلوم الباطنية بالتوراة تجاهل اليهود هذا التحريم، وتعلموا "كابالاه" وخلطوا الكهنوت اليهودي بحكمة وتعاليم الإيجبتيين ونقلوها من جيل إلى جيل كتعاليم شفوية. في الوقت الذي ابتعدنا فيه نحن الإيجبتيين عن تلك العلوم بعدما حرموها علينا ـ وانبطحنا لهم ـ وحرمناها على أنفسنا. ألهذا السبب كان معظم من حصلوا على جوائز نوبل من اليهود؟

هل هذا يكفي لتوليد النظام من الفوضى؟

كل العلوم القديمة والحديثة تقول نعم، فالفلسفة الإيجبتية للخلق تتطابق مع نظرية التطور في العلم الحديث، و"نظرية الفوضى" تتحقق في الأنظمة المشوشة، حيث تكرر نفسها رياضيًا وتتجه للنظام.

نعم يمكن توليد النظام من الفوضى إذا طفا العقل فوق المادة. وضعت مؤسسة الوعي العالمي بقيادة العالم السيكولوجي روجر نيلسون حول العالم خمسين جهاز "مولد عشوائي للأحداث" وكل واحد يعمل منفصلاً ويولد نتائجه العشوائية بعشوائية ولا يوجد رابط بينه وبين المولدات الأخرى، وقاموا بتشغيلها بشكل دائم، وعند فحص النتائج ومقارنتها مع بعضها، اكتشف نيلسون وجود ردات فعل تظهر على نتائج الماكينات تبعًا لردات الفعل الإنسانية العالمية سواء بالفرح أو الحزن. فقد حدث هذا فجأة وخلال الساعات القليلة التي تلت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ عندما اتحدت كل عقول البشر وركزت على رفض ما حدث، طفا العقل فوق المادة، وتولد وعي كوني أرغم

ماكينات "مولدات الأحداث العشوائية" على أن تكون أكثر تنظيمًا، فتولد النظام من الفوضى.

أهم شرط لاستقرار نظام مادي يعمل آليًا "أوتوماتيكيًا" هو وجود العقل المتحكم.

وأهم شرط لاستقرار نظام حيوي يعمل آليًا هو وجود العقل المتحكم جنبا إلى جنب مع الوعي الذي يراقب.

"فالعلم الظاهر يستخدم العقل، والعلم الباطن يستخدم الوعي" .

* * *

سقط المخطوط من يدي ورحت في غفوة طويلة، فوجدت خيال السامري سابحًا فوق رأسي منبهًا:

على من يريد التواصل مع القوى الكونية أن يسمو ويعلو في تواضع ويسلك مسار النور بتطوير نفسه، ليتصل بتلك القوى عن طريق الحكمة الخفية.

"الحكمة الخفية تحتاج في تطبيقها لعقل واع واسع عريض قادر على الاستيعاب، وليس الرفض، ولا تتملكة روح الغرور، مع وعي يراقب ويحاسب".

إذا تملكتك روح الغرور ليس أمامك إلا أن تكمل حياتك على طبيعتها وكما هي مرسومة ومحددة، استسلم للقدر ولجيناتك التي ورثتها، لا تحاول تغيير شيء فالأسرار ليست لك.

وهذا يفسر لماذا يقوم أحفادي من الماسون بعمل اختبارات قاسية لمن يريد الانضمام إلينا، رغم أننا نعتبر كل مستقيم السيرة والسريرة

وأتانا طائعًا مختارًا عضوًا في جمعيتنا ولو لم يأخذ عهدها. لكن اختبارات اختيار صاحب العقل الواعي قاسية لأن الأسرار الباطنية تحتمل التأويل في أكثر من اتجاه، ما يتسبب في إطلاق قوى خاطئة كثيرا ما تؤدي إلى نتائج غير مرغوب فيها.

طالت الغفوة التي تحولت لنوم عميق هدأت به النفس واستوعب العقل ما يدور حوله، فمددتُ يدي للمخطوط الأخير.

الفصل السابع

السامري والدولار الغامض

إذا دام علم ما أو حكاية ما أو حتى أسطورة لآلاف السنين، فإنها تدوم لأسباب من بينها أنها تحوى وجهًا من أوجه الحقيقة.

(٤٠)

المــال والعلــوم الباطنية، خلطــة سرية إذا وُجِدا معــا في مكان ما، تشــكل مركز يســمى "مركز نمو متســارع للقوة والسيطرة" وسوف نلاحــظ تكوين الممالــك والإمبراطوريات الضخمة تبعًــا لحركة هذا المركز، ففي العصــور القديمة كان هذا المركز في بلاد إيجبت وبلاد ما بين النهرين، ثم انتقل للصين والهند وبلاد الفرس، كما انتقل إلى مملكة داوود وســليمان ثم لليونان ثم الرومان، ثــم انتقل للعرب مع ظهور رسالة الاســلام، وفي العصر الحديث ذهب إلى غرب أوروبا واستقر في فرانكفورت ثم أمســتردام في هولندا ثم إلى لندن، وأخيرًا استقر في نيويورك وأصبح يمثل الآن أكبر وأعظم مركز نمو متســارع تكون في العالم.

في لندن نشأ مركز رأسمالي، وكان هذا عاديًا وطبيعيًا من دون تأثير، ولكن وبمجرد ما انتشرت المحافل النورانية الماسونية في إنجلترا، حتى إنها وصلت إلى ٨٠٠٠ محفل تضم ربع مليون عضو يمثلون نخبة المملكة من رجال الأعمال والخبراء، أي أنه لا يجتمع المال والعلوم الباطنية، إلا وتكون "مركز نمو متسارع للقوة والسيطرة" يجذب رؤس أموال العالم.

في كل الأراضي الأميركية البكر كانت رؤوس الأموال محفوظة

ومخزونة على شكل ثروات هائلة من كل شيء، وهذا لا يعني أي شيء لأنه لم يغير شيئًا، لكن مدينة واحدة بزغت وانطلقت وتفوقت لأنها كانت معدة مسبقًا وجاهزة تمامًا بالعلوم الباطنية والمحافل النورانية، إنها نيويورك التي اجتمع فيها المال مع العلوم الباطنية، فانتقل إليها فورًا ودون تردد "مركز النمو المتسارع للقوة والسيطرة".

المال والعلوم الباطنية خطان متضادان متوازيان، انحشرت أميركا بينهما، وأدى هذا الانحشار إلى تماسكها داخليًا وحمايتها خارجيًا، وعندما تحالف هذان الخطان نشأ ما يسمى اليمين المحافظ.

استطاع حكماء الماسون الربط بين المذاهب الباطنية والمبادئ الاقتصادية، ضدان ربط بينهما الحكماء بسبب سيطرتهم على رأس المال وسطوته ومعرفتهم بالعلوم الباطنية وقوانينها المحكمة؛ فدعموا الاقتصاد الأميركي وسيطروا على السياسية والاقتصاد والثقافية في كل أنحاء العالم. واستطاعت أميركا التخلص وبجدارة من كل منافسيها وبلا استثناء، فما إن حل القرن الحادي والعشرين إلا وكانت أميركا قد همشت كل القوى القديمة وكل الأنظمة الحاكمة، بل وكل الأيديولوجيات السائدة في العالم التي كان يُعتقد أنها خالدة. لكن الغريب أن أميركا قد همشت حتى النظام الأميركي نفسه.

- اعتمدت كل بلاد الدنيا ماليًا على نظام (البنك المركزي Central Bank) عدا أميركا فقد رفضت هذا النظام، وأطلقت عام ١٩١٣ وقبيل الحرب العالمية الأولى نظامًا ماليًا خاصًا بها تحت مسمى (الاحتياط الفيدرالي Federal Reserve) ووقّع الرئيس الأميركي ويلسون "الذي كان ماسونيًا" هذا القانون ليكون أساسًا ماليًا

متوافقًا بالكامل مع علوم وفكر الماسون، وكانت هذه هي الخطوة الأولى للسيادة الأميركية وتسخير أموال الدنيا. وبمجرد اعتماد الكونجرس الأميركي لنظام الاحتياط الفيدرالي، أخرج الماسون من جعبتهم الرموز الباطنية النورانية الخاصة ببلادنا، ووضعوها على كل الشعارات والأختام الرسمية في أميركا.

"خرجت كل دول العالم من الحرب العالمية الأولى مَدينةً، عدا أميركا فقد خرجت وهي أكبر دولة دائنة".

- شمل الكساد العظيم كل العالم سنة ١٩٣٠، وحتى تتجنب أميركا هذا الكساد تم تدشين مشروع "تعويذة سحرية" على هيئة ورقة، هي ورقة الدولار ذات القيمة واحد دولار المملوءة بالطلاسم الإيجبتية. وكان هذا كافيًا ليعلن الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت وهو "ماسوني أعظم" من الدرجة ٣٣ سنة ١٩٣٥ وقبيل بدايات الحرب الثانية أن أميركا تتجه نحو مزيد من السيطرة.

"وخرجت كل دول العالم من الحرب العالمية الثانية منهارة القوى، عدا أميركا فقد ورثت كل القوى بفضل تعويذة الدولار".

- كان الذهب على مدار التاريخ معيارًا للتبادل النقدي، وبالتالي فإن أي دولة تكون مالكة للذهب تسيطر على النظام النقدي العالمي. لكن روزفلت حرر الدولار من "المعيار الذهبي" وذلك بإقناع المواطن الأميركي بأن يعطي الذهب للحكومة ويأخذ بدلاً منه دولارات، وقبل المواطن الأميركي أن يأخذ ورقًا مقابل الذهب، كأنه كان منومًا مغناطيسيًا.

ثم فعلت أمـيركا العكس مع دول العالم، فقـد عقدوا مؤتمرًا مـع نهاية الحرب العالميـة الثانية في يوليـو ١٩٤٦ بين ٤٤ دولة تـم فيه الاتفاق عـلى أن تعطي كل دولة لأمـيركا الدولارات التي تحتفظ بها في بنوكها المركزية وتأخذ بدلاً منها ذهبًا بنفس القيمة، وتعهدت أميركا أمام دول العالم بأن من يسلمها خمسة وثلاثين دولارا تسـلمه أوقية من الذهـب، وكان هذا ابتكارًا أميركيًـا تحت مسـمى "نافـذة الذهب". وبعدمـا لمت أميركا الـدولارات أصدر الرئيس الأميركي ريتشـار نيكسـون عام ١٩٧١ قراره بإغلاق النافذة وإيقاف مبادلة الدولار بالذهب، ثم أصدر قرارا بتعويم الـدولار، وعام الدولار وطفا بحرية فـوق كل العملات الأخـرى التي غرقت، وظلـت دولها في تعسر مستمر منذ ذلك الحين.

أصبح الدولار هو المهيمن على كل المعاملات التجارية، بل أصبح هو المعيار العالمي الحقيقي للنقد، وليس الذهب كما كان في الماضي، وأصبحت ديون العالم كله تقريبا بالدولار سواء بينها، أو فيما بينها وبين البنوك العالمية.

ولما كانت الديـون أمـوالاً مخزونة لـدى الآخريـن وتعطي صاحبهـا الحـق للتحكم فيهـم "أصبحـت أمـيركا بالديون الأغنى والأقوى".

- الدولار... ورقة، مجرد ورقة وزنها جرام واحد من الورق وتكلفة صناعتها ٤,٦ بنس، والغريب أن كل فئات أوراق الدولار تتكلف في صناعتها نفس القيمة، فالورقة التي كتب عليها دولار واحد تتكلف نفس قيمة العشرة دولارات،

ونفس قيمة الخمسين والمئة دولار، وفي النهاية جميعها مجرد ورق.

هذه الورقة العقد هي الورقة الأكثر تداولا بين البشر، عملة من دون غطاء، مالكها الحقيقي وصاحب الحق في طباعتها وارثو حكمتنا من الماسون، وباقي الجماعات السرية المالكة لبنك الاحتياط الأميركي الذي ينشر منها في العالم ٩٠٠ بليون دولار تتحكم في ٨٠٪ من حجم التجارة العالمية و٩٠٪ من توجهات السياسات العالمية، ورقة مسيطرة على معظم ديون العالم بل وقادرة على إشعال حروب وإسقاط دول وإفلاس شعوب وانتحار حكومات.

"وأصبح الدولار هو الملك الضامن في كل عمليات التبادل التجاري، والوسيط بين تحويلات كل العملات".

- ظهرت أزمة الرهن العقاري في سبتمبر ٢٠٠٨ وتم تبديد أكثر من تريليون دولار من التدفقات النقدية، وانخفضت قيمة الدولار، وانهارت ١٩ مؤسسة مالية ومصرفية أميركية، وتصاعد الدين العام الأميركي ليصل إلى ١٠ تريليونات دولار، وبدأ التنبؤ بـ"انهيار النموذج الاقتصادي الأميركي" وكثر الحديث عن "عالم ما بعد أميركا" بل وصل حجم أمنيات البعض إلى أن الاقتصاد الصيني سيفوق الأميركي ويصبح الأول بحلول عام ٢٠١٦، لكن الذي حدث أنه لم يحدث شيء من كل ما سبق. "وظل الدولار هو السيد وزاد ثبات مركزه عالميًّا".

(٤١)

احتـار "ميلتون عـزراتي" في أمر قـوة الدولار، وحتـى يخرج من حيرته طرح رؤيته حول أسـباب هذه القوة في مقال بعنوان "لماذا ظل الـدولار ملـكا؟" (why the dollar is still king) وتوصـل لنتيجـة نهائية تؤكـد عدم وجود بديل للدولار أو حتى بديل لهيمنة الاقتصاد الأميركي.

لماذا ظل الدولار ملكًا؟ هل بسبب كثافة تداوله حيث يُستخدَم في ٩٠٪ من العقود التجارية العالمية، أم لسهولة تحويله لأي عملة أخرى، أم لاستقرار الاحتياط النقدي بالدولار في البنوك المركزية العالمية بما يزيد على ثلثي إجمالي الاحتياطيات النقدية العالمية؛ أم بسبب الثقة العالمية، فيه حيث يعد الدولار العملة الأكثر قبولاً حتى من الذهب.

هل تكفي أربعة أسباب ليظل الدولار ملكًا؟ أم أنه يوجد سبب خامس غير اقتصادي، سبب لا يعرفه "ميلتون عزراتي"، يضاف للأسباب الاقتصادية السابقة؟!

نعم يوجد سبب خامس، سبب غير اقتصادي، لكنه أقوى من الأسباب الاقتصادية، وهو تلك الرموز والشفرات المكتوبة على ورقة الدولار ـ رموزنا التي أهملناها ـ رموز القوى الباطنية والصوفية السرية، تلك التي جعلت منه عقدًا غير مكتوب بين القوى الباطنية من جهة والمال من جهة أخرى.

رموز بلادنا، هي الحقيقة التي نحن عنها غافلون، وبصرف النظر

عن غفلتنا هل نحن جاهزون لاستيعابها؟

لقد استوعبها هنري أجارد والاس الذي أصبح نائبا لرئيس الولايات المتحدة الأميركية، لم يكن هذا الرجل في حاجة لإخفاء معتقداته فقد كان ماسونيًا بارزًا، وكتب بحماس شارحًا ومؤكدًا الأهمية الباطنية الخفية للرموز والأسرار الإيجبتية القديمة، لهذا أصدر قرارًا تاريخيًا عام ١٩٣٠ بنقل الشعارات والرموز المرسومة على واجهة الختم إلى ظهر الدولار.

بفضل الشعارات والرموز الإيجبتية تحولت ورقة الدولار إلى تعويذة سحرية "Amulette"، فالدولار ورقة خاصة ذات قانون خاص، لا شيء يضارعه في تعقيد رموزه الصوفية، إنه تميمة ذات طاقات سحرية لا يضارعه شيء في تكامل وتناسق وتداخل رموزه الباطنية الصوفية. إنه تعويذة سحرية لجذب الفلوس، وعند فك تلك الرموز والشعارات يتبين لنا مدى اعتماد الماسون على طقوس العلوم الخفية"occultes " ومدى قوتها وسيطرتها على الاقتصاد العالمي.

(٤٢)

لم يستخدم الماسون في أثناء تصميمهم لورقة الدولار رمزًا واحد له علاقة بأميركا، إنما كانت كل رموزهم رموز إيجبتية من الهندسة والخمياء التي أقحموها في الاقتصاد الأميركي منذ البداية وقبل عام ١٩١٣ وصنعوا منها الرخاء.

تعمدوا بناء الاقتصاد على مبدأ خلق قيمة من لا شيء باستخدام

قوى غامضة؛ إن تحويل الورق إلى دولارات مثل تحويل الرصاص إلى ذهب، التحويل طريقة مشابهة لخلق الكون من الكلمات الإلهية، يأتي المال بقوى غامضة لنصوص سرية تستحضر الثروة من العدم، إنه السحر والغموض في أميركا.

إن مجرد حركة الدولار سواء باستلامه أو تسليمه تؤكد قوته الروحانية وتزيد الإيمان به، حركته تعني حركة وتذبذب الطلاسم السحرية المنقوشة فوقه فيتم تمريرها من شخص إلى آخر، فتتضاعف الأموال، وتزداد ثقة المجتمع فيه وفي الرموز والعبارات الرئيسية المنقوشة عليه والمرتبطة به، فيجمع الجميع عليه ويزداد اعتقادهم في قوته وقدرته على مضاعفة نفسه بمجرد أن يتحرك برموزه الباطنية الروحانية الإيجبتية الغامضة داخل أي نظام مالي واقتصادي، ويتعاملون معه كما لو كان هو المغناطيس وهم مجرد وسطاء روحانيين.

ظهر الدولار مدعومًا بكامل الإيمان، وحاز ثقة الأميركان في الاقتصاد الأميركي، بل وثقة كل شعوب العالم، اعتمد الجميع على قوة الدولار وتحول الدولار من مجرد عملة ورقية إلى وثيقة إيمانية.

استغل الرؤساء والمسؤولين عن الاقتصاد الأميركي هذا الإيمان التام، فاتخذوا قراراتهم الاقتصادية معتمدين على قوة الدولار المغناطيسية واستسلام المجتمع وإيمانه وثقته المطلقة فيه، لا يوجد فرق بين الرئيس والكاهن والساحر، الجميع يوحي للشعب بما يريد والشعب يؤمن وينفذ.

لا فرق بين سحرة الأمس وسحرة اليوم عند استحضار الثروة من العدم؟

(٤٣)

المال والكاهن والساحر

- المال دائما ممثل للسلطة سواء كانت إلهية أو دنيوية.
- صناعة وصك الأموال مرتبطة دائما بالكهنوت.
- حركة الاقتصاد تتم دائما كما لو كانت حركة روحانية أو ميتافيزيقية.
- رموز المال كانت دائما رموزًا سحرية.
- كسب الثروة كثيرا ما يكون نتيجة تحالف مع قوى إلهية أو قوى شيطانية.

وتحالفت الثروة مع القوى الإلهية.

"في الله نثق" In god we trust شعار قومي بلغة إنجليزية سهلة واضحة، وضعت به أميركا نفسها رسميًا تحت مظلة العناية الإلهية وذلك بدءًا من عام ١٨٦٣، ثم عممت مظلة العناية على الاقتصاد الأميركي كله عندما كتبت "في الله نثق" على جميع عملات الدولار بدءًا من عام ١٩٥٧.

"في الله نثق" هو الشعار الإيجبتي القديم السابق لكل الأديان الإبراهيمية، هو الشعار الذي وضعناه في كل المعابد واستخدمناه في كل الطقوس، نقله السامري لبني إسرائيل، ثم نقله الذين عندهم

علم من الكتاب "أجدادنا الماسون" إلى كل مكان، حيث يجب دائما التعهد على وضع "الثقة في اللـه".

"في اللـه نثق" عهد يجب على الجميع أن يتعهدوا به قبل بداية أي عمل، لأنه فاتحة خير لكل اتفاق.

ثم هل هي مصادفة أن تشتق غالبية المصطلحات المالية المستخدمة في كل أنحـاء العـالم من الجـذر اللاتينـي "فيدس" الـذي يعنى الثقة والإيمان، ويعني أيضًا الاعتماد والتأمين والائتمان؟

هل هي مصادفة أن تكون المؤسسة الأولى المطلوب منها ضخ الأموال هي "مؤسسة تأمين الودائع الفيدرالية" الأميركية والتأمين مشتق من الإيمان؟

هل هي مصادفة أن نرمز إلى "الائتمان" في الأسرار الباطنية برمز "يدين متشابكتين معا"، ويكون هذا الرمز هو نفسه شعار التأمين، والتأمين والائتمان مشتقان من الإيمان؟

كتب وليم جريدر في كتابه أسرار المعبد: "فوق كل شيء، المال وظيفة من الإيمان تتطلب موافقة عالمية غامضة لخلق المال واستخدامه، عندها يجب أن يعتقد الجميع أن الدولار ليس مجرد قطعة من الورق".

"عندما نفقد الإيمان بالمال نفقد ضمنا الإيمان في حد ذاته، فالمال غامض بحيث يمكن بسهولة الخلط بينه وبين القوى الإلهية".

في كل مرة ينفق فيها شخص ما دولارًا فإنه يؤكد إيمانه باللـه، لأنه يحرك عبارة "في اللـه نثق" والثقة في اللـه تلهم الثقة في الدولار كعملة، والثقة بالدولار طريق للثقة باللـه وهكذا كل يؤدي للآخر. بمعنى آخر ورقة الدولار تفرض علينا الثقة في اللـه كقوة، والثقة في

الدولار كعملة، والثقة بأميركا كدولة.

فالثقة بالله وبالدولار وبأميركا، ثلاثة في واحد لا تتجزأ.

نحتاج قوة الإيمان الباطني من أجل تأمين المال اللازم لتمويل الاقتصاد. فالنظام المالي الجديد أصبح قوة لا يمكن وقفها، إنه نظام يخلق المال من لا شيء، إنه آلة لمضاعفة المال، ثم يستخدم المال لكسب المزيد من المال.

عملت المبادئ السحرية وقوة الإيمان الباطني في الاقتصاد الأميركي على العملات المعدنية قبل تشكيل الجمهورية، ثم عملت بعد ذلك على العملات الورقية، فكل العملات تحتوي على شحنات سحرية عندما تتحرك بتحرك العملة يتم تمريرها من شخص إلى آخر فتتضاعف، فيتأكد إيمانهم بالدولار ويصبح جزءًا من ممارسة الطقوس الروحانية.

(٤٤)

الرموز الغامضة صيغ وطلاسم وأسرار متجذرة في التقاليد الإيجبتية القديمة ثم انتقلت لمعظم المعتقدات والأديان، وارتبطت بالمال والسلطة. كان العالم قديما يتعامل تجاريًا باستخدام قطع نقدية من الذهب والفضة، وكانت قيمتها تساوي تقريبا القيمة المادية للمعدن الذي تتكون منه، لكن الآن نستخدم قطع ورق ليس لها أي مكافئ مادي أو قيمة ومع ذلك نشتري بها الذهب والفضة وما هو أغلى، صحيح لكل دول العالم عملات من ورق تشترى بها وتبيع

وتخلق منها قيمة من لا شيء. لكن ورقة الدولار شيء آخر، شيء يقوم بعملية سحرية تتمثل في الاستحواذ على العقل بقوة الإيمان فتتولد منها كميات كبيرة. هل هي علوم الخيمياء(١) التي كانت تقوم بتحويل الأشياء من حالة إلى أخرى؟ ففي الطب كان "إكسير الحياة" الذي يعطي المريض الفاني حياة طويلة، وفي الاقتصاد والتجارة كان "حجر الفلاسفة" الذي يحول المعادن الخسيسة إلى ذهب، هل ترى فرقًا بين أن يتحول الرصاص إلى ذهب قديمًا، وتتحول قطعة ورق إلى ذهب حديثًا؟ قطعة ورق تسمى "دولار" قيمتها المادية تساوي صفرًا تقريبًا لكنها تقوم بتوليد الذهب.

عندما انتقلت الماسونية الحديثة للأرض الجديدة "أميركا" حيث الثروات الضخمة تم اختراع نظم مصرفية حديثة واقتصاد تجاري عالمي جديد أدى إلى سقوط النظام الاقتصادي القديم، وسيطر الاقتصاد الجديد على العالم بمساعدة خصائص ورقة الدولار. ووصل الأمر لدرجة قول بعضهم: "إن التقدم الاجتماعي والعلمي والتكنولوجي لم يكن ليحدث لولا الخصائص السحرية الفريدة لورقة الدولار".

عندما يقوم مجلس الاحتياطي الاتحادي بصناعة الدولار، تتم الصناعة كما لو كانت تتم في عالم سري سحري مخصص للخلق، يشبه عالم تحضير الأرواح، عالم من التحولات واستحضار الثروة واستنزلها.

---

(١) الخيمياء: علوم وممارسات قديمة ترتبط بعلوم الكيمياء والفيزياء مدمجة مع علوم غامضة كالفلك والصوفية وعلم الرموز والطب والتحليل الفلسفي، تعد أصل الكيمياء الحديثة قبل تطوير مبدأ الأسلوب العلمي. تلجأ الخيمياء إلى تعليلات باطنية للظواهر الطبيعية.

(٤٥)

$ رمز غامض اتخذوه رمزًا للدولار، وقالوا إن له دلالة خيميائية هي الثعبان والعصا، فالثعبان (S) يمثل طاقة الشفاء، والعصا (I) تمثل عصا هيرمس السحرية الذي يلتف حولها الثعبان، وهما معًا يرمزان للتحولات البيولوجية والكميائية، رمزًا للتركيبات الدوائية والصيدلة.

وقالوا إنه من رموز علم التنجيم للدلالة على كوكب عطارد المسيطر على العقل الواعي وعنصر الزئبق المتقلب، وكوكب عطارد وعنصر الزئبق مسيطران على برج العذراء المسيطر على أميركا.

وقالوا إن الثعبان (S) والعصا (I) هما الأداتان اللتان استخدمهما موسى. وقالوا إنما أراد الماسون أن تماثل أميركا جنة عدن التي ظهرت في النقوش القديمة ممتلئة بالأشجار، ومن ضمن تلك الأشجار شجرة المعرفة والحية ملتفة حولها تمامًا كرمز الدولار. ويبدو أن جنة عدن قد أوحت لمصممي الدولار الأميركي باللون الأخضر، فأصبح الدولار أخضر، وأضح البلد كله أخضر يماثل الجنة في الوفرة والرخاء.

قالوا...

وأقول: إن أحفادي من الماسون أرادوا تكريمي وتخليد ذكراي كمؤسس للماسونية القديمة، فجعلوا للدولار رمزًا مميزًا هو ($) وذلك باتخاذهم من العصا والثعبان اللذين استخدمتهما لأساعد النبي موسى في معركته ضد فرعون، فدائمًا كنتُ في أعين أحفادي "السامري" كبير

حكماء السحرة الإيجبتيين الذين جاءوا بسحر عظيم، لم يكتفوا بهذا بل إنهم خلدوا حرف (S) نفسه بأن يكون في كلمة ثعبان بمعظم لغات العالم، ففي الإنجليزية Snake والفرنسية Serpent والألمانية Schlange والإيطالية Serpente والإسبانية Serpiente وحتى في العربية تبدأ بالثاء التي تشبه (s) ذلك الحرف الذي يختصر اسمي (سامري) غير الموجود في حروف كلمة دولار ولا حتى في حروف كلمة أميركا.

أكثر من هذا أطلقوا اسمي على كل بلاد أميركا، وأصبحت بلاد العم سام.

(٤٦)

رغم وضوح عبارة "في اللـه نثق" بلغتها الإنجليزية السهلة الواضحة، سنجد عبارة Annuit coeptis غامضة وبلغة غير واضحة وغير معروفة، ما أخذ الجميع إلى متاهة. قالوا: إنها جملة لاتينية يمكن نقحرتها ليصبح معناها "الرب يبارك نجاحنا". وقالوا وأكدوا أن معناها "النجاح لنا" أو "المهمة الناجحة"، وقال البعض الآخر وأصر على أنها تعني "العظيم الموفق"، وأنكر آخرون وقالوا إنها تعني "الملك الأوحد".

هم قالوا، وقولي شيء آخر: أراد أحفادي من الماسون تكريم وتخليد بلدهم، كما خلدوني، لتظل مذكورة ويتردد صداها في كل مكان يذهب إليه الدولار فنقشوا فوق الهرم بيت الأسرار، وفوق عين حور التي ترى كل شيء وبخط جلي واضح Annuit coeptis بمعنى (القبطي

العظيم) أي الإيجبتي العظيم، أراد أهل اللغة الفرنسية أن يتمحكوا وقالوا إن Annuit قريبة من الكلمة الفرنسية anneou بمعنى الخاتم، فيكون المعنى الخاتم الإيجبتي.

أليس مثيرًا للدهشة والاستغراب أن يُكتب على الدولار الأميركي كلمتان بغير اللغة الإنجليزية التي يتكلم بها أهل البلاد، ولا حتى بأي لغة أخرى معروفة، لغة غريبة غامضة وغير مفهومة، وبعد التقريب والمماحكة تظهر كلمة "إيجبت".

تم وضع أرض الإله "إيجبت" على أهم وثيقة تحت سيطرة القوى التي تشع من قمة الهرم وعين حور التي ترى كل شيء.





مثلما خلّد الماسون اسم بلدهم القديم، وخلدوا اسم زعيمهم وكبيرهم السامري، خلدوا أيضًا أنفسهم بكتابه اسمهم "ماسون" على ورقة الدولار السحرية؛ ولأنهم دائمًا يمتلكون أسرارًا ولا يعلنون عن أنفسهم، أخفوا اسمهم بين عبارتين:

الأولى كتبوهـا فـوق الهـرم Annuit coeptis (القبطـي العظيـم) والثانية كتبوها تحت الهرم NOVUS ORDO SECLORUM

ومع الإصرار على غموض ورقة الدولار، كتبوا العبارة السابقة بكلمات لا نعرف لها معنى، حتى بعد أن قسموها على هذا الشكل:

no•vus or•do se•clo•rum

قرأها البعض باللاتينية "النظام الجديد للعصور" وهناك من ترجمها إلى "النظام العالمي الجديد"، أو "الأول عبر العصور" وقالوا إنها تعني "واحد من بين الجميع". اجتهد الجميع وأخطأ الجميع، وتاه الجميع!

عرف الماسون سحر النجمة السداسية، واستغلوها لكنهم أخفوها، ولن تراها إلا وهي تحيط بالهرم وتشير بأطرافها الخمسة إلى كلمة "ماسون" وبطرفها السادس العلوي تحيط بعين حور.



كل ما هو فوق في السماء ينزل على شكل هرم ويسمى هرم القوى الروحانية، وهو هرم معبر عن القوى العليا المسيطرة، وكل ما هو تحت على الأرض يخرج على شكل هرم ويسمى هرم القوى المادية،

وهو هرم معبر عن المخلوقات المُسيطر عليها.

بسّطْنا شكل الهرم واختزلناه في شكل المثلث، ثم أنزلنا مثلث القوى الروحانية والقداسة من السماء، وأخرجنا مثلث القوى المادية من الأرض. وبتداخل المثلثين يتكون شكل النجمة السداسية التي أصبحت هي المعبرة عن الحكمة المصرية "كما هو فوق كذلك هو تحت". وأصبحت النجمة السداسية ترمز لحالة الاتحاد بين القوى الروحانية والقوى المادية، وترمز للتوازن الكوني واتحاد القوى المتضادة مثل الماء والنار، الذكر والأنثى أو طاقة الذكر وطاقة الأنثى، وأصبحت النجمة السداسية رمزًا للاتحاد الجنسي والخصوبة، فالمثلث المتجه نحو الأسفل يمثل الأنثى حيث التجويف وشكل الرحم، والمثلث الآخر المتجه للأعلى يمثل الذكر رمز الخروج والإنبات والخصوبة.

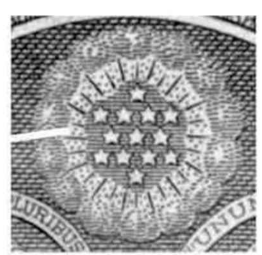
لا توجد أي علاقة بين النجمة السداسية والنبي داوود، فالمصادر الإسلامة تطلق عليها "خاتم سليمان"، ذلك لأن سليمان كان ماسونيًا متتلمذًا على الإيجبتيين ومتأثرًا بحكمتهم، واقتبس منهم هذا الرمز وغيره واستخدمه!

ذهبت النجمة السداسية لعالم السحر ونسيها الجميع، لكن اليهود استدعوها مرة أخرى في أثناء ضعفهم في العصور الوسطى وأطلقوا عليها نجمة داوود أو درع داوود، ولم يتم هذا إلا بتأثير المسيحية وتقليدا لها، إذ أخذ يهود عصر الانعتاق يبحثون لليهودية عن رمز يكون مقابلا لرمز الصليب عند المسيحيين وأيضًا لرمز الهلال عند المسلمين، وهي الرموز التي كانت منتشرة في كل مكان وتعطي قوة لأصحابها، ولأن كثيرًا من علماء اليهود على قناعة بأن أصل النجمة السداسية غير يهودي حدث خلاف كبير في أثناء تصميم العلم

اليهـودي، فقـد انحاز العسـكريون للنجمـة السداسـية، وعارضها بشدة شيوخ اليهود الذين كانوا يفضلون وضع الشمعدان Menorah كشعار للدولة اليهودية بدلاً من النجمة السداسية.

وبسبب قوة النجمة السداسية رسموها مختفية مرة أخرى فوق رأس العنقاء (الفينيق المصري) الموجود بالجهة اليسرى لورقة الدولار، فقد تم ترتيب النجوم بحيث تأخذ شكل النجمة السداسية.







لم يكتف الماسون بما فعلوا بالنجمة السداسية، فإذا ذهبت للدولار أو للختم الأميركي أو لشعار البنتاجون وأمعنت النظر في النجمة السداسية ستجد أنها تتكون من وحدات، كل وحدة عبارة نجمة خماسية Pentagon Star، وترمز النجمة الخماسية للقوة بوجه عام، فإن كانت الأصابع الخمسة مضمومة فهي "قبضة القوة"، وإن كانت الأصابع الخمسة مفتوحة "خمسة وخميسة " فهي للحماية.

كانت النجمة الخماسية من ضمن الرموز التي طالبت الكنيسة الكاثوليكية بتدميرها، لقوة الرمز وسيطرته، وكنوع من العناد مع تلك الكنيسة وبسبب الثأر القديم، لم يتردد تلاميذ أجدادنا من الماسون في أثناء تصميمهم وبنائهم لبلاد أميركا أن يخلدوا تلك النجمة ويجعلوا مبنى "وزارة الدفاع الأميركية" على شكل مبنى خماسي "بنتاجون" ليكون رمزا للقوة والحماية؛ ومع الوقت قفزت النجمة الخماسية فوق أكتاف الضباط، وأعلام العديد من الدول.

هذه عينة من الرموز الموجودة على ورقة الدولار ـ والتي سُمح لنا بالكشف عنها ـ ولك أن تتمعن في خلفية ورقة الدولار إنها عبارة عن شبكة العنكبوت، فهل شبكة العنكبوت على الدولار تعنى سيطرة الدولار على الشبكة العنكبوتية العالمية "شبكة الإنترنت" قبل أن يظهر الكمبيوتر نفسه بعشرات السنين!

(٤٧)

انتهت المخطوطات ووصلتُ للصفحات البيضاء الموجودة في نهاية المجلد الخامس، نظرت فيها مليا هل مطلوب مني أن أكتب شيئا؟ هل أكمل التاريخ؟ نعم عليّ أن أكتب وأكمل الجبتانا الثانية، سوف افعل ما فعله مانيتون السمنودي، سأُكتب، وكفى ما فعلوه بنا عندما تركناهم يكتبون.

انتبهت للصوت الآتي من أعماق داخلي وهو يقول: أنا السامري،

لقد عشت الحقيقة كاملة وجئت لكل أجدادك من قبلك وأمليت عليهم ما كتبوا، اكتب ما سوف أمليه عليك.

- من؟ جدي الأكبر! هل أنت حي؟ إنني أرى هالتك على مخطوطاتك، أراك موجودا!

أحسست بطيفه يحيط المكان ورائحة غريبة تنتشر، وصوت هادئ النبرات يقول: هل تذكر آخر عبارة دارت بيني وبين موسى، لقد قال لي: ... وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ، صحيح كان لي موعد للقيام بتأسيس الماسونية، وهي مستمرة حتى اليوم. لكن يبدو أن لي مواعيد أخرى لمهام مختلفة، أنا منتظر.

- قاومت الاندفاع، وقلت بيني وبين نفسي يبدو فعلا أنه فوق البشر، هل سيخلد، أم أن تعاليمه وتاريخه هما المخلدان؟

أجاب، كما لو كنت أحدثه هو ولا أحدث نفسي، لا أدري لكن كلمة "اذهب" قالها الرب من قبل لإبليس وكانت أيضًا بعد عملية خلق، وكان من نتيجة ذلك أن إبليس ما زال موجودا على صورة ما وأُمهل ليوم يبعثون.

- أراك قد أخذت هذا المصير وأُمهلت ليوم يبعثون؟

ربما فهذا في علم الغيب، وهو ليس قراري بل قرار الخالق، على كل حال أنا موجود وشاهد على ما يحدث، لا تنس أنني أملك ألواح الزمرد التي كتبها تحوت.

- كثرت الروايات التي تتهمكم بتحريك الأحداث وإحاكة المؤامرات والدسائس لينطلق كل شيء حسب مخططاتكم؟

دعك مما يقولون، واستمع إليّ... عندما فكرت في تأسيس الماسونية لم تكن على ما هي عليه الآن، لقد تطورت حسب الأحداث والمجتمعات وأصبحت اليوم تنقسم إلى ثلاث فرق: الأولى هي الفرقة الرمزية العامة التي يشترك في محافلها العديد من الناس، والثانية هي الفرقة الملوكية ولا يدخلها إلا الخاصة من الحكماء والمفكرين، أما الأخيرة فهي الفرقة الكونية وهي الأكثر سرية ولا يدخلها إلا عدد مميز محدود، ولا يعرف عنها أحد شيئا سوى أعضائها.

- وبالطبع ستكون الفرقة الكونية هي التي تشرف أنت عليها مباشرة؟

نعم، ولكن استمع وانتبه لما أقول:

الطابع السري للجمعيات الماسونية هو نقطة الضعف الوحيدة عند الماسون، وقد تمسكوا به فوضعهم دائما عند موضع سوء الظن، وتسبب في هجوم القطاعات التقليدية من جميع الأديان عليهم وتشككهم في نواياهم، فأصبحوا هدفا سهلا للتشهير والاتهام وكانوا دائمًا على رأس المتهمين عند أي مشكلة، خاصة عند أصحاب نظريات المؤامرة الذين يبحثون دائمًا عن كبش فداء يدفع نيابة عنهم ثمن فشلهم. لهذا السبب المؤسف أنهى الآلاف من الماسونيين حياتهم في معسكرات الاعتقال بتهم متباينة بل ومتناقضة.

قالوا إن الماسونية مؤسسة تعادي الإسلام.

وذلك لأنه عندما سقطت الخلافة الإسلامية؛ اتهم المسلمون «جمعية الاتحاد والترقي» ـ وهي جمعية ماسونية ـ بأنها ساعدت على سقوط

الخلافة، حتى إن كان هذا صحيحا فهو عمل سياسي ليس له علاقة بالدين، والدال على ذلك أن المحافل الماسونية لم تأخذ طريقها إلى فلسطين إلا خلال الخلافة الإسلامية العثمانية، فقد تأسس في تلك الفترة ستة محافل كان أولها في القدس في مايو ١٨٧٣ على شريعة المحفل الأكبر في كندا، ثم ازداد عدد المحافل حتى وصل إلى ٦٤ محفلاً سنة ١٩٧٠ وتضم هذه المحافل ٣٥٠٠ عضو من اليهود والمسلمين والمسيحيين والدروز[1]

قالوا إن الماسونية مؤسسة تعادي اليهودية!

ذلك لأن المحافل الماسونية لم تكن تسمح لليهود بالانضمام إلا في منتصف القرن الثامن عشر، ليس في إنجلترا وحدها وإنما في هولندا وفرنسا وألمانيا أيضًا، بل إن دخول اليهود للمحافل الألمانية ظل أمرا مختلفا عليه طوال أجيال. حتى ماسون أميركا كانوا يكرهون اليهود، فقد قام توماس جيفرسون "وهو ماسوني ضليع من الآباء الأميركيين الأوائل" بالهجوم بشدة وقسوة على اليهود أمام الكونجرس، فأعطاه الكونجرس الجائزة الكبرى باعتماد الختم الرسمي الذي صممه ليكون ختمًا للولايات المتحدة الأميركية، ثم طبعوه على الدولار، حتى هتلر اعتقد ـ عن جهل ـ أن علوم الماسون وأسرارهم مرتبطة باليهودية، فحارب الاثنين معًا.

قالوا إن الماسونية مؤسسة تعمل على هدم المسيحية!

وجه البابا كليمنت الخامس بابا الفاتيكان للماسون وفرسان الهيكل قائمة اتهامات كان من أهمها تهمة إنكار يسوع المسيح، والبصق على

(١) دائرة المعارف اليهودية Ibid, cc. 122-124

الصليب والتحالف مع المسلمين والهرطقة وممارسة شعائر مختلطة ما بين الوثنية والمحمدية. وكان أول ما صدر، في هذه الصدد، منشور عن البابا أكليمندس الثاني عشر، في ٢٧ ابريل سنة ١٧٣٨م. فبعد اجتماع حضره الكرادلة للبحث في أمر الماسونية صدر عن الاجتماع ما يلي: "... بعد أخذ رأي إخوتنا الكرادلة، وبعلمنا التام، وبقوة سلطتنا الرسولية حكمنا وقضينا بأن هذه الشركات والجماعات المعروفة باسم الفرنمسون، وبأي اسم كان مثله، يجب رذلها ونفيها." وبعد ذلك توالت المنشورات الصادرة عن الباباوات، والتي تذكر بتحريم اتباع الماسونية. وقد جدّد هذا الحرم على التوالي: البابا بندكتوس الرابع عشر في ١٨ مايو ١٧٥١، ثم البابا بيوس السابع في ١٣ سبتمبر ١٨٢١، ثم البابا لاون الثاني عشر في ١٢ مارس ١٨٢٦، ثم البابا غريغوريوس السادس عشر في ١٥ أغسطس ١٨٣٢، ثم البابا بيوس التاسع في ١٥ سبتمبر ١٨٦٥، ثم البابا لاون الثالث عشر في ٢٠ أبريل ١٨٨٤.

* * *

أصبحت موضة أن يردد أي من سمع عن الماسونية مجرد سمع ـ ولو بطريقة عارضة ـ نفس اتهامات الكنيسة الكاثوليكية الباطلة لتشوية الماسون الأحرار والانتقام منهم ـ فالجميع يعرف أن الماسون أكبر أعداء الكنيسة الكاثوليكيَّة ـ لكن لماذا يردد الآخرون نفس الاتهامات دون تعقل أو فهم أو حتى سبب وجيه؟

* * *

نظرية المؤامرة، نظرية سهلة ومريحة لا تستدعي استخدام العقل أو المنطق، كل المطلوب من أصحابها أن يبحثوا عن شماعة ثم يغطّوا

في النوم. وجد أصحاب نظرية المؤامرة شماعة الماسونية، فبرروا كل خيباتهم بأنها نتيجة مؤامرة ماسونية.

إن كنت متدينًا متعصبًا فالشيوعية نشأت بسبب مؤامرة ماسونية! وإن كنت شيوعيًا فالشيوعية سقطت بمؤامرة ماسونية! وإن كنت معارضًا لأي حكم، فالحكام أدوات في يد الماسونية العالمية لتمرير مخططاتها في المنطقة، وإن كنت مواليًا لأي حكم فالذي أسقط من أحببت من الحكام هو المؤامرات الماسونية لتدمير الدول المستقرة!

وسوف نصل في النهاية - مع العقل التآمري - إلى أن كل صراعات العالم الإسلامي منذ موقعة الجمل وحتى النصرة وداعش هي من فعل الماسونية! وكل خيبات العالم المسيحي سببها الإسلام الذي هو في الأساس مؤامرة ماسونية ضد المسيحية! وهناك من يؤكد أن اليهودية والمسيحية والإسلام من خبائث الماسونية الموجهة ضد الأديان والحضارات والعلم والتقدم!

كل ثورة اشتعلت في أي جزء من العالم قامت بالتناوب بدفع الماسونية إلى مقدمة الأحداث، فتضاعفت الهجمات ضدها من كل الاتجاهات، وعلى حد تعبير أحدهم: كأن طائفة من الناس اختيرت دائمًا لتكون الهدف المفضل للطعنات.

يرفض البعض تفسير التاريخ تبعا لـ"نظرية المؤامرة" ولا يأخذها على محمل الجد! ذلك لأن أكثر ما تستطيع المؤامرة عمله هو أن تركب موجة ما من موجات التاريخ، أو توجهها، لكن من المستحيل أن تصنعها. فهذا التعميم يلغي قوانين حركة التاريخ وصراع البشر.

"حركة التاريخ وصراع البشر" قانون من قوانين الخلق، وموجود لدى منظري الماركسية والرأسمالية على حد سواء، فلدى الماركسيين قانون حتمي لصراع الطبقات، ولدى الليبراليين قانون يؤدي إلى صراع الحضارات، ولدى الرأسمالية الكلاسيكية قانون لتحريك المجتمع والاقتصاد نحو نهاية محتومة، وليس للإنسان أو لأي من الجمعيات سواء كانت سرية أو علنية دور في تغيير هذا الحراك أو تغيير مساره، هذا رأيهم.

* * *

رغم كل هذا تغير موقف الكنيسة حيال الماسونية، فالقانون الكنسي الجديد لم يأت على ذكر تحريمها صراحة كما كان الأمر في القديم. بل إنه في عام ١٩٦٥م اعتذر البابا بولس السادس، واستقبل أعضاء نادي "الروتاري" وباركهم.

ملحق

الجبتانا الثانية

تحرير مصر من ثلاثي الخراب
أساطير بني إسرائيل،
وفقة البداوة العربية،
وتراث العبيد.

محاولة إحياء الأم

«نحن نؤمن بالله ونعبده، لهذا يجب ألا تفصلنا عنه الأوهام والخرافات، فمن وصل للمراتب العليا من الحكمة يجب عليه الاحتفاظ بنقاء العقيدة»

جاء علماء الحملة الفرنسية الماسون متلهفين على بلاد السحر والغموض والعلم والحكمة "إيجبت"، لم يجدوها بل وجدوا بلدا اسمه مصر، بحثوا عن حضارة فوجدوا خرابة، بحثوا عن الإيجبتيين فوجدوا مصريين دفنوا أنفسهم في قاع الحارات بجوار مقامات الشيوخ والقديسين، وتركوا قيادة بلادهم ومصيرها في أيدي الآخرين فحط غراب البين وسيطر عليهم وعلى بلادهم ثالوث الخراب: أساطير بني إسرائيل، وفقه البداوة العربية، وتراث العبيد.

(١)

تحققت نبوءة تحوت، وعشش بيننا غراب البين، ومعه ثالوث الخراب. جاء الفرنسيون ووجدوا في بلادنا ثلاث ذئاب وضحية،

ذئـاب من العثمانيين والمماليك والعـرب، يتناحرون على ضحية، كان يومًا سيدًا للكون.

ـ أصبحنا ضحايا منذ أن انحزنا لحواديت التوراة على حساب حضارتنا، وأصبحت المقايضة "حواديت مقابل حضارة"، فعندما أرادوا سرقة حضارة أرض الإله "إيجبت" الضخمة الأسطورية استعانوا بالتوراة لمسح تاريخ هذه البلاد من الذاكرة، وذلك عندما ادعوا أن حكاياتهم وقصصهم وتخيلاتهم وأوهامهم قد دارت في تلك البلاد، وأن ملك تلك البلاد ـ لقبه فرعون ـ قد اضطهدهم وسامهم سوء العذاب، لهذا وجب علينا نحن تحمل هذا الوزر الوهمي للأبد.

نجحوا في استخدام التوراة لتقوم بأعمال وزارة الإعلام اليهودية، وكانت أداه جيدة لانتقام اليهود من أعدائهم والحط من شأنهم، أو للتمهيد لما يريدون فعله. باستخدام التوراة وضعوا اسمهم على ممتلكاتنا الفكرية ومنظومة دياناتنا، لم يعد ناقصًا إلا التصديق على السرقة، وقاموا بالتصديق بتكرار الحكي حتى تحول لحقيقة.

ـ حكاية ادعوا فيها أن ملكًا من ملوك بلادنا (!) هام جنسيًا بسارة زوجة النبي إبراهيم راعية الغنم العجوز العاقر بنت الثمانين ربيعًا (!) تاركا كحيلات الأعين في قصوره، فشُلّت يداه.

ـ حكاية عن زوجة أحد حكام بلادنا، وكان اسمها زليخة "تمعن في الاسم اليهودي الخالص" هامت حبًا بيوسف خادمها العبراني من تحت ذقن زوجها فتحول هذا الزوج ـ ونحن معه بالتبعية ـ إلى شعب ديّوث. وخصصوا غالبية سِفر التكوين للتمجيد في علم واستقامة الشخصية العبقرية اليهودية المتمثلة في النبي يوسف علية السلام، مقابل لعن وتحطيم وتجهيل شخصيتنا المتمثلة في زليخة الخائنة زوجة العزيز الضعيف.

ـ خصصوا سِفرًا كاملاً من أسفار التوراة وهو سِفر الخروج، للتمجيد في شجاعة وإيمان الشخصية اليهودية المتمثلة في النبي موسى وأتباعه من بني إسرائيل المؤمنين الطيبين، مقابل طغيان وجبروت وكفر شخصيتنا المتمثلة في فرعون الطاغية المتكبر "الذي افترضوا أنه ملك بلادنا" ونحن قوم فرعون الكفرة الذين حاربنا موسى وعذبناه مع أتباعه "الغلابة" فأغرقنا الله وحقت علينا اللعنة.

هكذا انتقموا منا مستعينين بأهم وسيلة إعلام مقدسة ومستخدمين أمضى أسلوب تزوير وهو "الكذب المقدس".

بعد التوراة دخلنا عصر الاضمحلال والانكماش والتدهور مع الاحتلال الفارسي، الذي ناصب حضارتنا الإيجبتية العداء من اليوم الأول، وسيذكرنا رشدي سعيد[1] بما فعلوه بتمثال الملك رمسيس الثاني، مجرد تمثال صُنع من كتلة واحدة من الجرانيت لم يستطع الفرس تحمل رؤيته وهو واقفًا شامخًا بمعبد الرامسيوم بارتفاع عشرين مترا وبعرض سبعة أمتار، فقد كان مثيرًا للمشاعر باعثًا على الرهبة، لذلك لم يترددوا في إنفاق جهد فيلق كامل من جنود الجيش الفارسي الذي جندوه لشهور عديدة لإسقاط هذا التمثال.

لا يستطيع منصف أن ينسب للإغريق أي أعمال أدت إلى التدمير المادي للآثار، بل إنهم بذلوا الجهد لتقريب ودمج آلهتهم وفلسفتهم مع معبوداتنا وفلسفتنا، وبنوا الكثير من معابدهم على طراز معابدنا، ولكن فيما يخص اللغة فقد "أغرقوا" أسماء الناس والأماكن ولغة الكتابة وجعلوها إغريقية، في حركة استعمارية فجة.

---

(١) من يملك تاريخ مصر ـ رشدي سعيد ـ مجلة سطور العدد ٣٠

بعد الإغريق أتى الرومان وكانوا أميل للعسكرية، رغم بنائهم للمعابد وإنشاء الطرق في كل البلدان التي احتلوها، إلا أن بلادنا أضحت لمدة ٦٧٠ سنة مجرد ولاية ملحقة بالإمبراطورية الرومانية، مجرد منجم للثروات ومزرعة للرومان الجوعى، ٦٧٠ سنة فقدنا فيها أي رغبة في الاستقلال ومقاومة الظلم، وبدأ مسلسل السقوط في بئر الفقر والخراب والإنهاك.

خلال فترة الاحتلال الروماني ظهرت الديانة المسيحية، ورغم تميزها بالروحانية العالية والتضحية والفداء، أتت وفي صلبها عوامل تحطيم بلادنا، فالكتاب المقدس الأول للمسيحية "العهد القديم" هو نفسه توراة اليهود بكل أساطيرها واتهاماتها، وأصبحت تلك الاتهامات سهام كفر وهرطقة موجهة لصدورنا، ولعنات مصبوبة على رؤوسنا، وكان هذا هو ما يجب أن نتعبد به في الدين الجديد.

٢٦٠ سنة من التعصب المسيحي والاضطراب السياسي والديني الذي عصف ببلادنا خلال هذه القرون الأولى، فخلال القرن الثاني الميلادي استقرت العقائد المسيحية في الإسكندرية وأخذت تنتشر تدريجيًا في كل أنحاء البلاد ـ رغم الاضطهاد الروماني الذي تعرضوا له لاختلاف المذهب ـ وما إن حل عام ٣٠٠ من الميلاد حتى عمت الكنائس معظم المدن القائمة على ضفاف النيل، وتحول الكثيرون من الديانة الأم القديمة إلى شكل متشدد من المسيحية.

وبمجرد تمهيد الطريق للديانة المسيحية لتكون الديانة الرسمية في البلاد قرر من آمنوا بها من أهلنا الانتقام ورد الصاع صاعين، ولكنهم بدلاً من أن ينتقموا من الرومان الذين أشبعوهم قتلاً وتنكيلاً وتمثيلاً، اتجهوا في موقف شاذ عجيب إلى ماضينا وثقافتنا الأصلية

الأولى، فقام الرهبان بتدمير معابدنا لكونها من وجهة نظرهم الجديدة ـ رمزًا للوثنية ـ وهي وجهة نظر غذاها التعصب وسيطرة أساطير بني إسرائيل، فخربت مئات من المعابد الوطنية، ومنع كهنتها تحت التهديد بالموت من أداء مراسمهم المقدسة، ودمرت آلاف الصور والتمثال في حملة واحدة، وأغلقت باقي المعابد أبوابها أو تحولت إلى كنائس مسيحية.

ظهر في تلك الأيام رجال من دمنا ولحمنا من الرهبان الذين خضعوا لثقافة وأساطير التوراة فكانوا وبالاً علينا، فقد هدموا آثارنا وحرموا الحديث عن ماضينا وأجبرونا على لعن أجدادنا والتبرؤ منهم، وحرموا على المدارس الفلسفية مزاولة نشاطها، خربوا أكبر مزار في العالم القديم، وأكبر أكاديمية علمية في مصر وهو السيرابيوم وحرقوا مكتبته.

أجبر الملك جوستيان بلاد النوبة على اعتناق المسيحية وسجن رجال الدين، وأغلق المعابد أو حولها إلى كنائس أو تم تدميرها، وكانت جزيرة فيلة آخر معاقل الديانة القديمة.

عندما تحول أسلافنا إلى المسيحية نزلوا على آثارنا بمعاولهم فبططوا كل ما استطاعوا تبطيطه وتسويته بسطح الأرض، والذي استعصى على الهدم لطخوه ورسموا فوق ما لطخوا صور ورموز الديانة الجديدة من الصلبان، وصورًا للعذراء وللقديسين وحولوا عشرات المعابد لكنائس. فها هي كنائس جزيرة فيلة وكنيسة العذراء مريم وكنيسة معبد إيزيس وكنيسة معبد حتحور وكنيسة معبد الأقصر وكنيسة معبد إيمحوتب وكنيسة كلاوديوس، وعشرات غيرها تقف شاهده، وما زالت بعض المعابد محتفظة بهذه التغطية والتحطيم بشكل واضح لليوم.

دمر المسيحيون المبرمجون بالأساطير اليهودية عددًا كبيرًا من البنية التحتية الدينية والحضارية لبلادنا، وذهبوا بالإرهاب والاضطهاد والتعذيب للكهنة والعلماء بتهمة مضحكة أسموها الوثنية. وتجلى هذا العنف في أبشع صوره مع أستاذة الفلسفة بجامعة الإسكندرية الجميلة هيباتيا.

هيباتيا... فتاة مثلها مثل آلاف غيرها، حدث معها مثل ما حدث معهم، لكن العالم اتخذها كمثال وعمل منها أيقونة اهتم بها التاريخ والمؤرخون، ليس فقط لأنها فليسوفة حسناء فاتنة عاشقة للعلم نذرت نفسها للفلسفة والرياضيات مثل أبيها "ثيون" أحد أساطين مكتبة وجامعة الإسكندرية وعميدها، وليس لأنها أصبحت نجمًا في سماء العلم وتغنى الجميع بعبقريتها وإنجازاتها، وليس لأنها نادت بنظرية دوران الأرض حول الشمس وهي تدرس كتاب المجسطي وكتب أبولونيوس وبطليموس في الرياضيات والفلك، ولكن لأن ما حدث معها فاق الوصف.

عندما قرأ أصحاب العقول المتحجرة نصوص كتبهم المقدسة بفكر ظلامي مسيطر معادٍ للعقل، ظنوا أنهم خدام الرب ولبسوا لباس الكهنوت ومسوح القديسين، واتهموا هيباتيا بالهرطقة والخروج عن العقيدة، لأنها تفهم ما لا يفهمون، وتعرف ما لا يجرؤون على معرفته، فألهبوا عواطف الغوغاء من المؤمنين الجاهزين دائمًا، وأقنعوهم بأنه لن يكون هناك صلاح ولن يرضى الرب عنهم إلا بسفك دماء هذه العذراء المارقة.

وسفكوها عندما هجمت حشود الحمقى الجاهلة المتعصبة على العالمة العذراء، جردوها تمامًا من ملابسها وربطوها بالحبال وربطوا

الحبال باثنين من الجياد، وسحلوها في الشوارع مع صيحات انتصار الغوغاء وفزع العلماء، لم يكن هذا مرضيا فأوقفوا الجياد وفصلوا ما تبقى من لحم عن عظم، وألقوا بالأطراف التي كانت مربوطة بالحبال في أتون استعر نارًا ولهيبًا.

غاب العقل، انعدم الحوار، انسدل ستار الظلام، ماتت هيباتيا وظن الغوغاء أنهم داخلون الجنة.

* * *

من حُسن حظ اليهود وسوء حظنا، أن جاءتهم فرصة ذهبية أخرى، فبعد المسيحية والسيطرة عليها، ظهر الإسلام وتحرك اليهود للسيطرة عليه، صحيح أنهم فشلوا في اختراق القرآن لكنهم نجحوا في الهيمنة على التراث الإسلامي بأساطيرهم، والفضل في فرض تلك الأساطير يعود لزنادقة اليهود أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه ـ الذين دخلوا الإسلام متأخرين وبطريقة مريبة، توحي بأنهم دخلوا لغرض ما، فما إن أعلنوا إسلامهم حتى أفاضوا علينا ثروة من الخرافات الإسرائيلية، ثم أخذوا تلك الخرافات وغلفوا بها التراث الإسلامي وهيمنوا عليه وعلينا.

لم يتوان كتبة قصص الأنبياء عن الخضوع للكهانة اليهودية ونقلوا عنهم نقل الأعمى، ومن كان مبصرًا أضاف ملحقات وزيادات على التوراة نفسها وزينها برتوش من الملاطفات والمجاملات، لإثراء وتجميل خرافات بني إسرائيل على حساب تاريخنا ومجدنا.

جاء إلينا العرب بهذا الكوكتيل من فقه البداوة ومكر الكهانة، لم يكونوا أهل حضارة أو كتابة، لهذا تأثروا سماعيًا بحكايات اليهود وأساطيرهم، وصدقوا ما قيل لهم من أن اليم هو النيل، وأن ملك

تلك البلاد هو فرعون، وأن بلادنا هي مسرح قصص بني إسرائيل، وأن مصرايم التوراة هي مصر القرآن هي نفسها بلاد القبط "إيجبت"، فغيروا اسم البلد من بلاد القبط "إيجبت" إلى مصر، واعتقدنا أن كلامهم من صلب الدين الجديد الآتي معهم، فسيطرت كلمة مصر واستحوذت على أرض الإله "إيجبت" فضاعت.

تسابق العرب للمزايدة في تأليف الخطايا واستنزال اللعنات وصب نيران الغضب، وتفريغ حضارتنا من مجدها وتهميشها وتسطيحها ومحو ثقافتها، وبالتالي أي مميزات تخص بلادنا لا بد من أن يكون مصدرها بني إسرائيل.

- الذي بنى مصر كان مصرايم حفيد نوح (هكذا).
- والذي بنى مدينة منف عاصمة مصر هو حام بن نوح!
- والذي بنى الأهرام كان شداد بن عاد!
- التوحيد والجنة والنار وعلوم الفلك والنجوم والروح، هي أمور لم نعرفها ـ حسب زعمهم ـ إلا بعد أن جاءنا النبي إبراهيم عليه السلام!
- أما الختان فهو إلهام حصري للنبي إبراهيم، فقد كان أول إنسان تختن على وجه الأرض، هكذا ظنوا وقالوا.

في حين أن إبراهيم عليه السلام قد ظهر في وقت موازٍ لزمن الأسرة ١٥ في بلادنا أي نحو عام ١٩٠٠ ق.م، بينما بنينا مدينة أون

"مدينـة التوحيد" حيـث مهد توحيد الـرب وفكرة الـروح والميزان والجنـة والنار والمراصد الفلكية عـام ٤٢٤١ قبل الميلاد، أي قبل خلق وولادة إبراهيم بألفين وأربعمئة من السنين!

كتبنا في متون الأهرام واصفين المولى الخالق بأنه: "السيد المطلق، مالك كل شيء، والذي لا نهاية ولا حد له، اخترعنا التحنيط أول وآخر مرة في التاريخ تجهيزًا ليوم الحساب، يوم يبعثون. مارسنا ختان الذكور قبل عصر الأسرات، أي قبل الأسرة الأولى، ووثقنا ممارستنا في صور ونقوش واضحة تمثل طريقة الختان بكل خطواتها وتقنياتها، ومن أراد المراجعة وتوثيق أدلة أكثر فليذهب إلى جبانة سقارة، ليرى بأم عينيه خطوات الختان التي كانت تتم خلال الأسرة السادسة من الدولة القديمة.

ثم جاءت الطامة الكبرى من غالبية رجال الدين الإسلامي، الذين دمجوا الفقه مع البداوة والكهانة، فقاموا بليّ عنق الآيات الواضحة لتتمشى مع ما يقوله كتبة التوراة، ذلك لأنهم اعتبروا الأساطير اليهودية مرجعًا أساسيًا للعقل والمنطق والتاريخ، بل وللآيات القرآنية نفسها، فأوقفوا العقل عن القراءة المحايدة للقرآن واستسهلوا النقل عن الإسرائيليات، فنقلوا ودونوا ورددوا دون استدلال أو تمحيص كل الأساطير والخزعبلات الإسرائيلية فأصبحت أمرًا واقعًا، وأصبحوا من أكثر المروجين لها، بل إنهم شكلوا غلافًا خارجيًا متينًا يحمي تلك الأساطير بإدخالها في صلب البنية الإيمانية للديانة الإسلامية كما فعل المسيحيون من قبل، فأصبحوا الخط الأمامي لجبهة القتال اليهودية.

أراد كهان الأعراب أن يكون للنبي الكريم يوسف معنا شأن آخر، فرغم أنه مرسل للهكسوس الذين كانوا يحتلون مدينة مصر

في سيناء في زمن موازٍ لزمن الأسرة السادسة عشرة، أي في العصور الوسطى للحضارتنا المكتوبة (أقول المكتوبة، فما بالك بالتي سبقت عصر التدوين!) فإنهم نسبوا إليه ما يفوق الخيال من القصص التي راجت بغرض مسخ وتشويه شخصيتنا وتهذيب ومسح جوخ للشخصية اليهودية.

- جاء النبي يوسف، وهو بدوي من صحراء جرداء قاحلة، ليعلمنا نحن الفلاحين الزراعة والاقتصاد وطرق التخزين[1].
- أحدث يوسف الهندسة ولم يكن الناس يعرفونها من قبل! (هكذا).
- علمنا يوسف كيف نحول مجرى النهر وكيف نبني السدود! (هكذا).
- وأن يوسف أول من قاس النيل وأول من وضع له مقياسا!

تم كل هذا خلال الأسرة ١٦ (زمن حضور يوسف حسب ادعائهم)، في حين أننا غيرنا مجرى نهر النيل لبناء مدينة منف خلال الأسرة الأولى، وبنينا هرم زوسر في الأسرة ٣ وأهرام الجيزة العظيمة في الأسرة ٤ وقناطر سد اللاهون خلال عهد كامل يطلق عليه عهد بناة القناطر والسدود، أيام ملوك الأسرة الثانية عشرة... كله مكتوب ومرسوم ومنقوش ومحفور لمن يملك عينين وقلبًا سليمًا، نحن نكتب وننقش ونرسم ونحفر لنوثق ما نفعل، وليس مجرد أقوال وكلمات مرسلة للمجاملة.

بعدما تمكنا من طرد الجنود الرعاة (العرب الهكسوس) عام ١٥٧٣ ق.م استطاعوا العودة والسيطرة على أرض الإله الأسطورية مرة

(١) ما قالوه حدث فعلاً، لكنه حدث في قرية مصر البدوية الصحراوية الفقيرة، وليس في دولة إيجبت الأسطورية.

ثانيــة، وذلك بالاحتلال العربي عام ٦٤٠ ميلادية، لكن هذه المرة كان معهم دين قيم وتعاليم عبقرية متمثلة في الإسلام.

رغم اقتران الغزو العربي لمصر بظهور الإسلام، ورغم أن الإسلام قد هذب من طباعهم كبدو أجلاف فإنهم كمنتج صحراوي ظلت الغالبية العظمى منهم على قسوتهم وغلظتهم، فعندما جاءنا الاسلام تنفسنا الصعداء، فقد كانت بداية رائعة وانتشارًا حميدًا لديانة غنية بقيمها وتحضرها، لكن هذه الديانة كانت أكبر في محتواها الأخلاقي وأعظم في حجمها الروحي مما يتحمل الأعراب الذين وقع عليهم عبء نشرها؛ لهذا نجدهم سرعان ما تحرروا من هذا العبء وعادوا لطباعهم الجاهلية وظلت الغالبية العظمى منهم على قسوتهم وغلظتهم، ذلك لأن أغلب الغزاة كانوا من عرب الجنوب ومن القبائل التي ارتدت عن الإسلام بعد موت الرسول، وعادوا إليه مهزومين مرغمين بسيف أبي بكر بعد حروب الردة، وبسبب كثرة مشكلاتهم وافق الخليفة عمر بن الخطاب على خروجهم للغزوات لاتقاء شرهم وللتخلص منهم.

حمل الأعراب إلى البلاد التي احتلوها من ضمن ما حملوا ثقافتهم الأصلية المتمثلة في الغزوات، لهذا نراهم ساحوا في معاقل الحضارات "مصر والفرس والروم" وما إن احتلوها حتى نظروا لأهلها نظرة السادة للعبيد واتخذوا من نسائها جواري ومن رجالها موالي. ولم يغب هذا عن ابن خلدون عندما كتب في مقدمته الشهيرة:

"فصل في أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب"

ولا أدل على خراب البلاد من الأمر الذي أعطاه الخليفة سليمان بن عبد الملك لمتولي خراجه على مصر:

"احلب الدر حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم"

أي احلب الثدي حتى القيح واستمر في الحلب حتى يأتي الدم، وينقطع!

كانت هذه هي نوعية القبائل التي احتلتنا، ودخلنا في منطقة سوداء من الزمان، ٢٠٠ سنة من أعاجيب القدر[١]، وضعوا فيها أمام أعيننا ركامًا ثقافيًا بدوًا نابعًا من بيئتهم، فتوقفت عقولنا عند زمانهم وبيئتهم، ثم دمجوا ثقافتهم البدوية مع أساطير بني إسرائيل وألبسوها لباس الدين، فبدت كأنها من صلب الدين فتخدرت عقولنا وغط المجتمع في النوم فظهرت الأكاذيب بثياب القداسة، وظهرت الحقائق بثياب البدع، فكبر الركام الثقافي وأصبح جبلاً من المحرمات التي تجعل من كل جديد بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ونسبوا هذا الكلام لرسول الإسلام، الذي هو نفسه أتى بكل جديد ومخالف للجاهلية، وبشَّر بمن يأتي على رأس كل مئة عام ليجدد علوم وعقول هذه الأمة، ومع ذلك ما زال يتردد يوميا أن كل جديد بدعة نهايتها في النار، لصالح أساطير تسببت في تخلف وانحسار بلادنا؛

(١) وقائع أتى بها لمجرد ضرب الأمثلة لما حدث في بلادنا، سأسردها كما حدثت ووقعت دون محاولة غسلها وجعلها أكثر بياضًا، وجعل الفاعل (الأجنبي) من الملائكة والمفعول به (نحن) من الشياطين، لأن هذا الغسيل الأحمق الغريب خلق حالة تعصب لهذا الماضي ناصع البياض كما صوروه لنا، فتولدت عندنا رغبة في الهروب إليه فرارًا من الحاضر الأسود؛ ونسي المزيفون في أثناء غسيلهم أن التاريخ تاريخ أفراد وبشر، ليست لهم قدسية من لا يأتيه الباطل، لهذا فأنا أنقل ما أورده المؤرخون القدامى وكان معظمهم من العرب؛ والغريب أنهم كانوا أكثر صدقًا مع أنفسهم ولم يحاولوا تزييف تاريخ ممارسات وسلوك خلفاء وحكام عرب أو تلميعه أو حتى تبريره، مثل عدد كبير يعيش بيننا ويعتبر نفسه ملكيًا أكثر من الملك نفسه.

فإذا رفضنا ثقافتهم يضعون على رقابنا سيف التكفير، لأن أساطيرهم أصبحت مما هو معلوم من الدين بالضرورة، ورفض المعلوم بدعة نهايتها معروفة.

على كل حال انتهى حكم العرب للبلاد... ففي عهد الدولة العباسية بدأت العناصر غير العربية تحكم مصر، وسقط العرب وانقرضت دولتهم عام ٢١٩ هجريًا ٨٣٢ ميلاديًا عندما جعل المعتصم جندها العجم والموالي، وبهذا السقوط انتهى تأثير العرب الأوائل حيث فقدوا مركزهم السامي في الدولة الإسلامية، وبدأت الكثير من القبائل العربية التي كانت قد هاجرت إلى مصر تخرج منها، ومن بقي إما انزوى في الصحراء وإما ذاب وفني بين المصريين، ودارت الدائرة عليهم بما خالفوا، وسقطوا وباد جيشهم. مثل هذه الأمور جعلت حكماءنا يتملكهم العجب كيف غَلبنا العرب؟!

واعتبر البعض أن حكم العرب لنا ضرب من سخرية القدر!

لكن ما إن تولى الفاطميون[١] حكم مصر، ومن بعدهم الكردي صلاح الدين الأيوبي حتى اتجهوا إلى تشجيع القبائل العربية للعودة مرة أخرى، واشتهرت هذه القبائل باسم "العربان". أما "المماليك" فقد تم إحضارهم بدءًا من العصر الأموي فالعباسي ثم استخدمهم الفاطميون، وزاد الأكراد في جلبهم وتضخمت أعدادهم، وعندما سيطر المماليك على الحكم أوقفوا الهجرات العربية تمامًا بسبب كراهيتهم

(١) أسس الخلافة الفاطمية سعيد بن حسين الذي يرجع نسبه إلى عبد الله بن ميمون الفارسي، المؤسس الثاني للحركة الإسماعيلية، وقد ادعى كذبا أنه حفيد الإمام جعفر الصادق ولقب نفسه عبد الله المهدي، ويعود نجاح هذه الحركة إلى عبد الله بن الحسين الذي ذهب للمغرب وعمل فتنة بين البربر، وبسببه سموا أنفسهم بالفاطميين كخداع سياسي ينطوي على البسطاء، وقد انطوى.

للعنصر العربي، وأصبحت نسبة الدماء المملوكية في مصر لا تقل عن نسبة الدماء العربية.

وأصبحنا في عصر آخر فيه لصان ومُصيبتان، مصيبة مماليك جاءوا ليخدمونا فحكمونا بتراث العبيد، ومصيبة عربان جاءوا ليسدوا أفواههم الجائعة، فسدوا عقولنا وحياتنا بتراث مبني على نهب وجهل وخشونة وعنف. وتصارع اللصان على حكم البلاد، فالمماليك كرهوا العنصر العربي فنبذوه وأسسوا دولة المماليك، ورفض العربان البدو دولة المماليك قائلين: "نحن أصحاب البلاد (هكذا!) ونحن أحق بالملك من المماليك وكفى أننا خدمنا بني أيوب وهم خوارج خرجوا على البلاد" بل وقام العربان بمحاولة لإقامة دولة بدوية منفصلة عن السلطة المملوكية[1].

ثم جاء الباشا العثمانلي، وهو يملك قدرة هائلة على كراهية التطور وعشق التخلف، فجنى العثمانيون علينا وعلى حضارات الشرق بفعل واحد، فهم لم يفعلوا غير إيقاف الزمن.

جاء المحتل العثماني سليم الأول ـ وقبل أن ينسى ـ شنق طومان باي آخر سلاطين المماليك، وتركه معلقًا على باب زويلة ثلاثة أيام حتى فاحت رائحته، وفصل ٣٣٠ رأس مملوك عن أجسادهم، بعد ذلك "أخذت قوافل المنهوبات واجهة إسطنبول، وسارت المراكب في البحر حاملة الصناع والحرفيين وكل جميل نزعوه من مصر من أخشاب وبلاط وموزيكو ونحاس ومشربيات ومصاحف ومخطوطات، حتى الأبواب والشبابيك والأسقف، أما البر فسار

(١) كتاب العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر د. إيمان محمد عبد المنعم ص ١٧

فيه ألف جمل محمل بالذهب والفضة والتحف والسلاح والرخام والصيني ومن كل شيء أحسنه، أما عسكره فإنهم غنموا من النهب ما لا يحصى، وبطلت من القاهرة نحو خمسين صنعة".

ورغم كل المصائب والبلاوي التي حدثت في هذه السنة لم ينس ابن إياس أن يقول إن "هذه السنة مرت على خير"[١].

ولم ننس نحن أن نجعل من أكبر شوارعنا شارعًا باسم القاتل سليم الأول! وبجواره شارع باسم المقتول طومان باي!

جاء العثمانيون بشرعية السيف، وشرعيته تجب أي شرعية أخرى، فذهب إليهم العبيد المماليك واتفقوا على تغيير اتجاه نهر الجزية لتأخذ وجهة الأناضول بدلا من بغداد، مقابل أن يتركوهم ليحكموا مصر؛ ويبدو أن حكم الأتراك رغم كل الجبروت كان أرحم من حكم البدو، فقد قال المصريون في أمثالهم الشعبية "ظلم الترك ولا عدل العرب". وعندما جاءت الحملة الفرنسية ذهب قائد المماليك مراد بك إلى القائد الفرنسي الذي كان يطارده في الصعيد، ليعرض عليه دفع الجزية مع تغيير اتجاه تدفقها "بلاها بغداد وبلاها الأناضول" ولتأخذ شطر باريس هذه المرة، أليسوا هم الفاتحون الجدد، وبالتالي تكون باريس هي كعبة الإيمان وعاصمة الخلافة! رفض القائد الفرنسي - ولله الحمد - هذا الانبطاح، ذلك لأن الفتح من الغرب مختلف عن الفتح من الشرق رغم ثبات المفتوح.

بنفس فكر الخليفة عمر بن الخطاب الذي وافق على خروج القبائل العربية للغزوات اتقاء شرهم وفرصة للتخلص منهم، استخدم محمد علي العربان أحفاد الأعراب في حملاته التوسعية الخارجية، خاصة

---

(١) سندباد مصري - حسين فوزي ص ٣١ نقلاً عن ابن إياس

على جزيرة العرب، فنجح بإشراكهم في تلك الحروب في استنزاف قوتهم وقتلهم في ميادين القتال. وبسبب طباعهم الجافة استخدمهم محمد علي كعصا للسلطة لتعقب الفارين من الجهادية، وإخماد الفتن وأعمال الشغب، كما استخدمهم في أعمال الخفر والحراسة.

وبعد أن ضرب محمد علي العربان وأخضعهم وكسر أنفهم استخدم معهم وسائل الترهيب والترغيب لتوطينهم، وساعده على ذلك رغبة الكثير منهم في الخروج من عزلتهم الخاصة، وما إن حل القرن العشرون حتى تناقص عدد العربان الرحل إلى أقل من ١٪ من مجموع تعداد السكان، ولا نكاد نرى من العرب إلا بقايا على حواف المدن الصحراوية يجمعون القمامة ويربون الماعز ويستولون على الأراضي ويقطعون الطرق؛ وبعدما كان العربي البدوي يعتز بعروبته أصبح يخشى إعلانها، ففي حديث لأحد العربان قال: "من ذا الذي يرضى أن يكون بدويًا، يوجه إليه الاتهام ويقع تحت طائلة العقاب كلما وقعت حادثة سرقة؟!"

رفض محمد علي الاعتماد على العربان في حالة حدوث غزو أجنبي، نظرا لأنه كان يعرف جيدا أنهم لن يتخلوا بتاتًا عن المبدأ الرئيسي عندهم وهو "الانحياز دائمًا إلى الجانب المنتصر" واعتمد على المصريين وصحح خطأ عدم تجنيد المصريين، مخالفًا سُنة سنها عرب كانوا عُميًا حتى عن أحاديث الرسول؛ ومثلما خلصنا محمد علي من الأعراب خلصنا من المماليك، وقتل منهم ١٢٠٠ مملوك في مذبحة القلعة عام ١٨١١م، وأكمل ابنه إبراهيم باشا عليهم بمذبحة أخرى قتل فيها ٤٠٠ مملوك كانوا خارج القلعة، إضافة إلى عمليات القتل الفردي التي لحقت بهم في الأقاليم بعد إذاعة خبر المذبحة.

* * *

كل من غزانا أقنعنا بأنه جاء ليحررنا فصدقناه وساعدناه، فركبنا وأتى بأسوأ مما أتى به الأولون. وهذا تاريخنا مع من ركبونا، الفرس استبدوا وفسقوا وهدموا في بلادنا فأتى الإغريق وطردوهم، ثم جاء الرومان وطردوا الإغريق وجعلونا مزرعة قمحهم وسلة طعامهم، ثم جاء العرب وطردوا الرومان وكبسوا هم على قلوبنا، واستولى الفاطميون على المُلك من العرب، ثم جاء الدور على الأيوبيين الأكراد ليزيحوا الفاطميين، ثم المماليك ليحلوا محل الأكراد مؤقتا حتى جاء الباشا العثماني. وقالوا جميعا ما قاله نابليون عندما وصل الإسكندرية:

"إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين وإنني أكثر إيمانا من المماليك، أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم" .

اعتقد ـ الله يرحمه ـ أننا صدقناه، ولم يكن يعرف أننا سمعنا هذا المونولوج من قبل عشرات المرات وحفظناه!

كل من احتلونا أرغمونا أن نستكين في خنوع وندفع لهم الجزية، أوهمونا أن الجزية مقابل دفاعهم عن بلادنا بدلاً منا[1]، حرمونا من شرف الدفاع عن بلادنا وحرموا أنفسهم شرف الاستعانة بخير أجناد الأرض، أكثر من هذا خاف العرب من نمو النعرة القومية وإيقاف الجزية، فكان سلوكهم في تنصيب الحكام سلوكًا مخزيًا فلم يعينوا

---

(١) لم يحدث ولو مرة واحدة أن أفلح العرب في الدفاع عن بلادنا، فلقد احتلها الفاطميون وصلاح الدين الأيوبي الكردي، وجاء الصليبيون والمغول من دون أن يحركوا ساكنًا أو يفعلوا شيئًا، فالذي طرد هؤلاء هم المماليك، الذين استولوا على البلاد ثم جاء بعدهم العثمانيون واستولوا أيضا على البلاد ولم يجابهم إلا المماليك، أما العرب فكان حديثهم الوحيد أنهم يأخذون الجزية مقابل الدفاع عنا. وصدقناهم ولا حرج.

طوال حياتهم واليًا مصريًا واحدًا ليحكم بلاده، حتى لو كان المصري أكثر علمًا وتحضرًا من الوالي الأجنبي.

دفعنا الجزية بالقوة وبالذوق، دفعناها للكفرة والمؤمنين؛ دفعناها للرومان الملاعين الذين أكلوا ولبسوا من أرضنا من دون أن يبذروا بذرًا أو يغزلوا خيطًا، دفعناها ليأكل كسالى بدو عرب وهم ينظمون الشعر في صحرائهم، وليتمتع أمويون بجواري بيزنطة وبالخمر والغلمان داخل قصورهم، دفعناها ليرفل عباسيون مع الجواري في الحرير (الذي كان ذات يوم حرامًا على الرجال)، ويتباهون بسيوف من الذهب المنهوب وليشتروا في آخر أيامهم مماليك وطواشي ومرتزقة، دفعناها لعثمانلي جعلنا خراسيس، ولمملوك حولناه لمالك.

لم يجعلوا منا حُكامًا، ولم يأخذوا من أولادنا جنودًا، ما نحن إلا نساء تحبل لتلد ضمانًا لجزية الرؤوس، وإلا ذكورًا تزرع وتحصد ضمانًا لخراج يضمن لهم طعامًا لا ينقطع.

اهتزت شخصيتنا لدرجة أننا تركنا الجميع في غيهم يعمهون وفي تاريخ وجسد بلادنا ينهشون، وقبعنا في قاع الحارات نسبح لله ونمجد سيدنا ونتسول من كل محتل خبز يومنا ونجتر تاريخنا المجيد. لم يترك لنا المحتلون بجميع أصنافهم من وسائل الترفيه إلا العبادة، ففرحنا بها وشجعونا عليها، وفوق ما اخترعوا لنا من مناسبات وطقوس دينية، اخترعنا مناسبات وفوانيس وحلويات وطقوس دينية وأولياء ومقامات، واستدعينا المزيد لننشغل ونغرق في الدين، وكان هذا خيرًا وأبقى لنا ضمانًا لجنة، وخيرًا وأربح لهم ضمانًا لسلب لا ينتهي.

عندما أهملونا وأخذوا منا الدنيا انشغلنا بالآخرة فظهر التواكل

والتكاسل، وعندما ألغوا هويتنا اختلت المفاهيم وتبلبلت العقول وأصبحنا مقلدين. ظهر فينا مرض غريب اسمه "مرض المصريين"... وهو مرض خاص بنا نحن فقط دون خلق الله، مرض يحتوي عقدة عظمة وتفوق وكبرياء متلازمة مع عقدة خوف وكراهية، عظمة وتفوق وكبرياء ناتج عن تفرد بحضارة عظيمة، وخوف وكراهية لتلك الحضارة بعدما أقنعونا بأنها حضارة كافرة؛ فأصبحنا نفتخر بحضارتنا وننفر منها في نفس اللحظة، فأدمنا العيش وسط المتناقضات واللعب على الحبلين ـ الشيء ونقيضه ـ فأصبحت مفاهيمنا ممسوخة ومبنية على التلفيق من أجل إرضاء الجميع!

انكمشنا وتدهورنا من يوم أن ارتضينا بتغير اسم بلادنا وتغيير ثقافتها، والتفريط في علومها ورموزها وأسرارها والانتساب لجيراننا، وزادت سرعة وتيرة الانهيار بعدما اعتقد كهنة الأديان الإبراهيمية الثلاثة أن رموز الطاقة والحكمة والقوة الخاصة ببلادنا رموز وثنية، وأقنعونا بما اعتقدوا، لهذا أصبحنا نحن أصحاب تلك الحضارة من أهم أسباب انهيارها؛ بعدما سلمنا عقولنا لرجال الأديان واعتنقنا مظاهر التدين وسلمنا سلطان البلاد وعلومها وقوتها إلى الآخرين.

ذهب شبابنا إلى دول الخليج، هاربًا من أزمة اقتصادية فعاد محملاً بأزمة هوية، عاد محملاً بتدين شكلي منحصر في إطلاق اللحية وتقصير الجلباب ودفن المرأة حية في نقاب أسود، وبدلاً من أن يصدق أن بلاده تجاوزت هذه الشكليات من سنين، صدق أن بلاده بعدت عن أصل الدين، فقام بمهمة إحضارها بحد السيف، ووضع الابن خنجر الإرهاب في صدر إيزيس للمرة الأولى منذ خُلقت بلاده.

أخذوا بقشور العقيدة والمتروك من الفقه والضعيف من الأحاديث

النبوية، واعتقدوا أن هذا هو الدين، وفرضوا ما اعتقدوا على مناحي الحياة، ما ولّد رد فعل لم يكن على البال، هو التعصب الديني المسيحي، فزاد رواج كل الأديان وزاد المتربحون بتجارة أدوات المظاهر الخارجية للتدين، بدءًا من الجلابيب القصيرة والمسابح الطويلة والصلبان على كل شكل ولون، كما ظهر رجال دين قدموا لنا حتمية الشفاعة تقليدًا لمن سبقوهم وقدموا صكوك الغفران، فاختلطت الأوراق وحدث التصادم.

فقدنا شخصيتنا وهويتنا الثقافية، عندما تبرأ كثير منا من عار انتسابهم للفلاح المصري الذي صار يرمز للضعف والهوان، ونسبوا أنفسهم لأصول وجذور عربية اخترعوها، إن لم تكن لهم جذور من المجاليب المماليك.

تخلفنا عندما دخلت أساطير بني إسرائيل وخرافاتهم إلى صلب ديننا، وتحولت سلوكيات وعادات وطباع البدو والأعراب إلى تراث، وقدس الفقهاء هذا المقحوم على الدين باعتباره تراثًا إسلاميًا وفرضوه علينا كوحي من السماء، وطلبوا منا تقليد سلوكهم وطباعهم وخرافاتهم، فتقليدهم سيكون غاية الإيمان لأنه تقليد للأوائل أصحاب خير القرون، ونقدهم سيكون كفرًا ماحقًا، وأصبح التراث ثقافة وعلمًا وأسلوب حياة... وتدرج معنا لدرجة أننا أصبحنا نأخذ كل أمور حياتنا الحاضرة ومستحدثات العلم والتكنولوجيا ونحرّمها أو نحللها تبعًا لقصة ألفها يهودي، أو لقول قاله أعرابي من ألف عام، وأصبحت مرجعيتنا كلها لثقافة بدوية هي مثلنا الأعلى للقوة والعدل والعلم؛ وكثرت كتب الفقه بما يوازي ندرة كتب العلم، وأصبحنا نعرف عن حلقمة بن بلتعة (رضي الله عنه!) أكثر مما نعرف عن الملك أحمس ومصطفى مشرفة أو حتى جمال عبد الناصر.

وانحدرنا بقوة دفع التخلف إلى تحت عباءة فكر العبيد وسيطرته، لدرجة أنه في يوم جمعة أسود حزين في نهاية عام ١٥١٨م وبعد أن احتل السلطان سليم العثماني بلادنا وتسبب في تأخيرها قرونًا للوراء، ختم أئمة مساجدنا خطبتهم في هذه الجمعة وهم يدعون للسلطان سليم المحتل لبلادنا:

"انصر اللهم السلطان ابن السلطان، ملك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين، وسلطان العراقين، وإمام الحرمين الشريفين المظفر سليم شاه... اللهم انصره نصرًا عزيزًا، وافتح له فتحًا مبينًا، يا مالك الدنيا والآخرة، يا رب العالمين."

هكذا... (!)

واستمر معنا فكر العبيد لليوم، لدرجة أننا ما زلنا نطلق اسم سليم الأول والحجاج الثقفي وابن سندر وابن شريك والمأمون، واسم كل من احتلنا وبهدل كرامتنا، على أكبر شوارعنا!

تخلفنا عندما اعتمدنا على حلول العقيدة بدلاً من حلول العلم، فرغم أن حلول العلم حقائق ونواميس ثابتة تحكم الكون وغير خاضعة للعاطفة، وحلول العقيدة مرنة فضفاضة تتسع لتبرير أي وضع ونقيضه، ذلك لأنك لا بد واجد نصوصًا وآراء وشروحًا وسوابق تاريخية تعزز وجهة نظرك؛ رغم ذلك اعتمدنا عليها فضاعت كل الحلول!

كثرة المحرمات صنعت سياجًا يحد من السلوك الإنساني الطبيعي، وكثرة المقدسات صنعت تراثًا أسطوري يمجد أساطير ضحلة متضاربة جعلتنا نهلل لمعجزات وهمية.

(٢)

قضى محمد علي وابنه إبراهيم على المماليك بقتلهم، هذا صحيح، لكنه أدخل زوجات وأولاد القتلى إلى هيكل الجهاز الإداري للدولة، بعدما أبقى عليهم ووزعهم على أفراد اسرته وأتباعه؛ فسيطروا عليه وأصبح للعرق المملوكي والعرق التركي الأولوية للوصول للمناصب العليا في الدولة، وبالتالي أصبح الفكر المملوكي والعنجهية التركية هما المسيطران على الجهاز الإداري، ففسد.

فسد الجهاز الإداري وظهرت مصطلحاته[١]:

- جزية، فأتاوة، فمعلوم... تطور طبيعي.

فالجزية... نهب للخارج وكانت تخرج "من برة لبرة"، وقد فرضها العرب؛ أما الأتاوة... فهي من عادات العربان وهي نهب للداخل؛ ثم وضع المماليك بصمتهم بطوير الأتاوة وجعلها "المعلوم"... ذلك لأن المملوك لم يكن منتميا إلا بقدر ما يُدفع له، فتأصلت عادة الرشوة بينهم من جهة، وبينهم وبين أفراد المصريين من جهة أخرى، ورغم إبادة العربان والمماليك أصبح "المعلوم" حقًا، واستقر لدرجة أن أصبح عرفًا يطلق عليه الإكرامية، من الكرم!

جعلت الإكرامية الموظفين يقومون بأعمالهم بتلكؤ شديد لأنه (على قد فلوسهم) وببطء مقصود (علشان توسع مخك) و(خليك مفتح)

(١) تأثرنا في هذا الجزء بكتاب تراث العبيد في حكم مصر المعاصرة، دراسة في علم الاجتماع التاريخي للدكتور ع.ع إصدار المكتب العربي للمعارف.

لتدفع المعلوم عن طيب خاطر، ويصبح كل واحد راضيًا ويعتقد أنه ضحك على الطرف الآخر؛ والجميع متأكد أن المعلوم والإكرامية غير الرشوة، فالرشوة حرام!

* كلمات في غير موضعها... عادي!

الجدعنة... تعني الشهامة وعزة النفس، لكن المجتمع الذي فقد هويته حولها إلى الإعجاب بالخارجين عن القانون، فاللصوص "عيال جدعان"، وقليل الأدب "واد جدع يحط صباعه في عين التخين، ومايخافش إلا من اللي خلقه".

النزاهة... تعني البعد عن السوء وترك الشبهات، لكن المجتمع الذي فقد هويته يستخدمها بمعنى "ده واد نزيه مش بتاع شغل".

الحُكم... كلمة تعني القيادة، لكن المجتمع الذي فقد هويته من طول الاحتلال حولها إلى معنى الركوب؛ نعم ركوب الحاكم للمحكوم!

يحكي الدكتور ع.ع في كتابه الممتع هذه الحكاية: عندما توفي عبد الناصر رحمه الله، سألني فلاح عجوز: عبد الناصر مات؟

فقلت: نعم، قال: ألف رحمة تنزل عليه. ثم سكت قليلاً وقال سائلا: (والحين، مين اللي ركب) ولم أفطن إلا بعد جهد وحوار غير

قصير إلى أن الرجل يسأل: من الذي سيحكم (سيركب) مصر بعد عبد الناصر؟ فعدت بعقلي إلى تراث المماليك، قبل أن أقول له (اللي ركب السادات). وأصبح من عناصر تكويننا أن ننتظر من سيركب مع علمنا أنه لن ينزل إلا محمولاً.

"من طول الاحتلال فقد المجتمع هويته، والذي يفقد هويته مؤهل لاكتساب أسوأ ما في الآخرين".

واكتسبنا أسوأ ما في الآخرين.

* النفاق والخوف والتبرير... حزمة واحدة

اكتسبنا عادة الخوف من طول الاحتلال، لأن المجتمع لم ير على مدار عشرات المئات من السنين حاكمًا من أبناء بلده، فتساوى عنده الاثنان الأجنبي وابن البلد، وأصبح يخاف من أي حاكم ومن أي حكومة، بل ويخاف من أي شخص يمثل الحكومة ويخضع له (من باب الواجب)، وإن كان هذا الممثل مجرد مُخبر، عليه أن يتقي شره وبلاه، فالمخبر يعيش حياته هو أسرته عادة مجانًا، وأمناء الشرطة (بهوات) وأصحاب الرتب (باشاوات) لهم عدد لا يحصى (من أبواب الواجب).

لم يقف الخوف عند الخوف من الحكومة، بل سيطر على علاقاتنا الاجتماعية، فأول شيء يعمله المدير الجديد هو تكوين مجموعة مملوكية خاصة به تسمع كلامه وتوجيهاته، ما أدى إلى انتشار كلمات النفاق مثل: "مانستغناش عنك" و"أنت الكل في الكل" و"مش

عارفين من غـيرك كنا حنعمل إيه"، وفي نفس الوقت نجد هذا المدير الجديد يراقب بعين الحذر أي تكتلات أو صداقات أو حتى همسـات بين المماليك الصغار؛ فأصبح "كله يخاف من كله" واسـتخدم الجميع "المهموز" و"البعبوص" و"الدبوس" و"الزُنب" وهي مفاهيم مملوكية أصيلة ما زالت متغلغلة فينا بألفاظها.

التبرير ناتج طبيعي في مسار الخوف، فنحن نبرر أي سلوك سيئ سواء لنا أو حتى لغيرنا، فلأنفسنا ظهرت كلمة "ماعلِشّ"، وللآخرين أصبحنا ملكيين أكثر من الملك، وعربًا أكثر من العرب، ونبرر أفعال الفاعل بما لا يخطر على باله، ونضرب المفعول به على دماغه.

رفعنا الأنبياء لمصاف الإله جل جلاله، ورفضنا أي خطأ حتى لو جاء في آية قرآنية قاطعة، فإذا جاء بالقرآن أن يوسف هَم بامرأة العزيز، وأن موسى قتل رجلاً ليس من شيعته، أوجدنا تبريرًا يلغي الفعل من أصله، ونتحرج في ذكر الأحداث كما حدثت بكل ما فيها من غرائز وطباع بشرية. ورفعنا الصحابة والحواريون لمقام من لا يخطئ، وألبسناهم لباسا مقدسًا لا نرى فيه سوى الجوانب المثالية المتعالية على الواقع البشري، وبررنا لهم أي فعل فعلوه.

وكان من الطبيعي أن يستمر المسلسل معنا، فالحكمة تقول: مثلما يكون إلهك يكون حاكمك، فأضفينا على أي حاكم يحكمنا القداسة والإلهام وبررنا أفعاله وغسلنا تاريخه، بحيث يصبح دائمًا الفاعل، سواء كان خليفة أو مملوكًا أو حتى عسكري درك، من الملائكة الأبرار ومعه حق وعدّاه العيب، والمفعول به "نحن" من الشياطين و"نستاهل أكتر من كده".

هذا هو حالنا وحال بلدنا اليوم.

(٣)

لما كان اغتصاب بلادنا قد تم بالقهر الذي نتج عنه حَمل سفاح استمر قرونًا عدة، فطبيعي أن يحتاج الجنين لجهد جهيد ليشفى من أمراضه.

بعث التاريخ هو السلاح النافذ وربما يكون الوحيد لبعث الأمم، وهذا عكس ما يفعله أي غاز، فكل الغزاة على استعداد لإنفاق أي جهد للخلاص من رموز الأمة وإسقاط الهيبة عنها وإجبار أهلها على تحقير ماضيهم. إنه لا يفكر إلا في محو ثقافة الأمة التي يغزوها ومحو تاريخها؛ وبالتالي محو ذاكرتها وتحقير معتقادتها وهدم رموزها وأي شيء يمكن أن يجمعهم.

سوف نلاحظ أن الدول التي تمسكت بقوميتها وثقافتها وخصوصيتها هي التي أنجزت في مجال التقدم والتنمية، كالصين والهند واليابان، بل إن أميركا نفسها لم تصبح أميركا إلا بعد أن تحررت من التاج البريطاني واستقلت بفكرها ومنظومتها الاجتماعية.

نحن فلاحون وطبيعة عمل الفلاح وتفكيره السليقي البسيط يجعله ينظف التربة أولاً من الفضلات والزبالة والنباتات الشيطانية؛ قبل أن يلقى البذور ويرويها، وتربتنا بها الكثير من هذه الرواسب المتبقية من تراث البداوة وتصرفات الرقيق الأبيض. ثم نقوم بإعادة تنشيط مكونات وموروثات هويتنا التي ما زالت موجودة في الأعماق، وبمجرد

إحيائها نخرج من تحت هيمنـة الثقافة البدوية وتراث العبيد وننجو. وهناك عمودان من أهم الأعمدة التي علينا إرجاعها:

- العمـود الأول رموزنـا وثقافتنـا القديمـة: فقـد انكمشـنا وتدهورنا من يـوم أن ارتضينا بتغير ثقافـة بلادنا، والتفريط في علومهـا ورموزها وأسرارها وتبنى ثقافة جيراننا، وزادت سرعـة وتيرة الانهيار بعدما اعتقدنا أن رموز الطاقة والحكمة والقوة والثقافة والحكمة القديمة الخاصة ببلادنا رموز وثنية، وانها ضد الدين والتدين.

كنا على خطأ عندما انجررنا وراء الأبواق التي لا تعي الحقيقة وهاجمت الماسونية ولم تع ـ كما هي حال معظمنا ـ أنهم أحفاد وتلاميذ أجدادنا الذين احتفظوا بعلومنا وحكمتنا، ونقلوها وطبقوها في العالم الجديد، ووصلوا بالعالم لما هو فيه من ثراء وعلم وتكنولوجيا. والحل هو الاتصال بهم ودعوتهم والاستفادة من قوتهم وحكمتهم.

كما أننا كنا على خطأ عندما عادينا أميركا ولم نع أنها التطبيق الثاني لحضارتنا وأنها امتداد لنا، وأنها هي الطريق الوحيد للبدء الحقيقي لدخول بلادنا لعصر القوة الجديد إذا أردنا أن نعود.

- العمود الثاني قوميتنا واسـم بلادنا ولغتنـا القديمة: الثالوث المقدس وهو مـن أهم عوامل الفخر بالذات وتعميق الانتماء والولاء الوطني، بل إنـه هم علامات التحرر هم العاصمين مـن التبعيـة والوقوع تحت الهيمنـة الثقافيـة للآخرين، وهنا يظهر واجـب الدولة نحو فرض قوميتنا واسـم بلادنا الذى

يذكره العالم كله إلا نحن، وتدريس اللغة الإيجبتية فى جميع المراحل التعليمية، وتدريس خطوطها وآدابها وتسهيلها وتبسيطها والارتقاء بها، حتى نستطيع استخراج كنوز ضخمة من العلم والأسرار المكتوبة والمدفونة بين ثنايا البرديات التي لن يستطيع أحد قراءتها غيرنا نحن أصحابها الذين نمتلك حبل الاتصال الروحي معها، فاللغة كائن حي لا يعطي أسراره إلا لمن كان من روحه ودمه ليحدث بينهما التناغم والتواصل، وأصبح في حكم اليقين أن كل الترجمات الأوروبية لعلومنا وثقافتنا القديمة ناقصة في أكثر من وجه، وتحس عند قراءتها أنها مبتورة بترًا وهناك شيء ناقص في المعنى والسياق، فبإعادة لغتنا نستطيع استنهاض المخزون الثقافي المختفي في ثنايا جيناتنا الوراثية في أحد أدوار الكمون انتظارًا لكشف الغمة، لننطلق من جديد قبل أن يأتي دورنا في طاحونة الإبادة.

الذين يحاربون إحياء لغتنا القديمة، أغلب الظن أن موقفهم هذا نتيجة عشرين قرنًا من ذل وجبروت استعمار طويل متعدد الجنسيات، ومن كل شكل ولون.

كان الفضل للأوروبيين في اكتشاف مفاتيح فك لغتنا القديمة الإيجبتية، لهذا سيطروا على ميادين البحث في علوم حضارتنا، وانحصر ما نعرفه عن أنفسنا بما جادوا به علينا وسمحوا لنا بمعرفته ونشروه في أصل لغاتهم، لكنهم عن غير قصد أضروا لغتنا لأنهم

درسوها بعين ولسـان وعقل أوروبي، فترجموها[1] وكتبوها على نمط كتاباتهم ونطقوها على نمط نطقهم، فألغوا حروفًا تتميز بها مثل العين والحـاء والخاء والهمزة والقاف والطاء، أو نطقوها محرفة، فبعدوا عن أصـل المعنى، ولولا وجود النطق القبطي في الكنائس والأديرة ولولا وجـود مصريين في أعـماق الأرياف والقـرى ينطقون بلسـان إيجبتي مبـين، وأصبحوا يمثلون مرجعية في الصوت والنطق للغتنا القديمة، لضاعت. ورغم هذا فعميق شكرنا للأوروبيين فقد اهتموا بما لم نهتم به نحن أنفسنا لأننا كنا مهتمين بغيرنا.

كان أول قرار اتخذه اليهود بمجرد حصولهم على وعد بعمل وطن قومي لهم، هو إحياء لغتهم الوطنية القديمة "العبرية" ورغم ضحالتها وعدم غناها استدعوها من أعماق التاريخ واستطاعوا إحياءها وتفعيلها وفرضها على كل نواحي الحياة والأنشطة في دولتهم، تم كل هذا بسرعة

---

(١) بسبب الجهل بأسرار اللغة والديانة القديمة، والجهل بشمولية الواحد للصفات المتعددة، وعدم قناعتهم بأن يحمل الواحد تسعة وتسعين اسمًا، وقع علماء الغرب وأوقعونا معهم في ترجمات خاطئة، ففي لغتنا القديمة هناك رموز للملائكة، ورموز لأسماء الله الحسنى، لكنهم ترجموا كلا الرمزين إلى "إله" فتحولت أسماء الملائكة وأسماء الله الحسنى في ثقافتنا المصرية إلى آلهة تبعًا لثقافتهم هم، فأصبح اسم (ماعت) تبعًا لترجمتهم يعني إله العدل بدلاً من اسم الله الأحسن (العادل) كما كان عندنا نحن في دياناتنا الأولى، وتحول الملاك (تحوت) الذي ينقل تعاليم السماء للأرض إلى إله العلم طبقًا لمفهومهم وترجمتهم، وهكذا مع كل الأسماء المصرية القديمة التي أوهمونا أنها آلهة، وتحولنا نحن الإيجبتيين من موحدين خالصين نعرف الميزان والدار الآخرة والجنة والنار قبل بعث أبي أنبياء (العبرانيين والعرب) بآلاف السنين إلى عبدة آلهة متعددة، وأتحدى من يأتي لنا بحفرية أو تمثال أو حتى صورة تبين ركوعنا أو سجودنا لهذه الآلهة، إن كانت حقًا آلهة، أخطأوا هم في الترجمة وكفرنا نحن، وسبحان من له الأمر من قبل ومن بعد. كذلك في مجال الطب والكيمياء يظهر من ترجماتهم الناقصة أنها سحر وخزعبلات وليس علمًا وتكنولوجيا خلقنا بها حضارة استمرت آلاف السنين.

مذهلة بسبب الحس الوطني والإرادة الجماعية لليهود، وهو ما كنا نفتقده وبدأنا الآن في اكتسابه.

الوحدة الأوروبية، وحدة اقتصادية عظيمة لم نسمع في أثناء تحقيقها عن المطالبة بالتخلي عن اللغة أو القومية من أجل الوحدة، أو أن تتخلى أي دولة عن ردائها الثقافي الطبيعي وتتمسح في ثقافة أخرى تريد الهيمنة، هذا لم يحدث بل العكس هو الذي حدث تمامًا، ذلك لأن الوعي بالهوية والقومية دفع كل الدول الأوروبية إلى أن تتمسك كل دولة بلغتها بل وتنقيها مما لوثها من لغات أوروبية أخرى، وأفردت كل دولة قانون لحماية لغتها وموروثها الثقافي، بصرف النظر عن الوحدة الأوروبية الشاملة التي يبحثون عنها، ذلك لأن الحفاظ على اللغة والثقافة الخاصة لكل شعب هو حفاظ على حياته العقلية، فلا يقع تحت سيطرة شعب آخر حتى لو كان الداعي هو داعي الوحدة.

المراجع

١- القرآن الكريم

٢- التوراة

٣- جرجي زيدان "تاريخ الماسونية العام" (١٨٦١ ـ ١٩١٤)

٤- الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية

٥- شاهين مكاريوس اللبناني الذي أصدر مجلة "اللطائف" ووضع عدة كتب عن الماسونية وهي "الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية"، و"الآداب الماسونية"، و"الفضائل الماسونية"، و"تاريخ الماسونية"

٦- حسين شفيق مجلة "الأيام" الماسونية

٧- محمد علي الزغبي، الماسونية منشئة ملك إسرائيل

٨- إبراهيم فؤاد عباس ـ الماسونية تحت المجهر

٩- وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية والماسون في مصر، رسالة ماجستير صدرت كتابًا عن سلسة "مصر النهضة"

١٠- كمال الشرقاوي ـ النشاط الماسوني في مصر

١١- د. إيمان محمد عبد المنعم، كتاب العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر

١٢- د. حسين فوزي، سندباد مصري

١٣- الدكتور ع.ع، كتاب تراث العبيد في حكم مصر المعاصرة، دراسة في علم الاجتماع التاريخي، إصدار المكتب العربي للمعارف

١٤- إبراهيم الزيني، مصر بين العقل والعقال.

١٥- د. سيد كريم، لغز الحضارة المصرية.

١٦- الجبتانا أسـفار التكوين المصرية، جمع الأصل اللاهوتي الديموطيقي المؤرخ مانيتـون السـمنودي، بروايـة الراهـب أبيب النقـادي، الجمـع والتحقيق والمراجعـة التاريخيـة والصياغـة العربية للأسـتاذ علي علي الألفـي، روافد للنشر والتوزيع.

١٧- د. عبد المحسن الخشاب، تاريخ اليهود القديم بمصر، مكتبة مدبولي طبعة أولى ١٩٨٩

١٨- د. علي شلش، الماسونية في مصر، مصر النهضة، مركز وثائق وتاريخ مصر

تعريف بالكاتب

عاطف عزت، باحث وكاتب مصري ومهندس استشاري، حاصل على دراسات عليا وماجستير في الطاقات المغناطيسية والتحكم الآلي، ويعمل حاليًا في مجال الزراعة بالماء المالح. له العديد من المؤلفات، مثل كتاب «طاقة الهرم الأكبر»، و«طاقات العقل البشري»، و«المرجع الكبير في أسرار طاقة البندول»، و«فرعون موسى من قوم موسى»، الذي صُنّف كأحد أكثر الكتب مبيعًا.

للتواصل مع الكاتب:

nefertari2@live.com

المحتويات